

شرح  
ديوان المتنبي

وَضَعَهُ  
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدَّامَاتُ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيْعَابِ . بَحِيثٌ تَلَوَقَتْ  
فِي هَذَا الشَّرْحِ جَمِيعَ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّيِّ وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا  
وَصَارَ بِذَلِكَ مَعْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

لِلْجَمْعِ الْأَوَّلِ

النَّاشِرُ دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ  
بِهَرَات - بَشْتَان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

## مقدمة الطبعة الأولى

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبي أُخْرِجَهُ بعد شرح ديوان حسان  
الذي أُخْرِجَتْه في العام الماضي ، ورآه القراء وعرفوا من مقدمته ما كابدت فيه

أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي  
الكندي الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب  
إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون  
العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد  
ابن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال : إن أباه  
كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا  
أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمَحْيَا

قدم الشام في صباه ، وجال في أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية  
السيارة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب  
الأخشيدية — فأسرّه وتفرق أصحابه وحبسّه طويلاً ؛ ثم استتابه وأطلقه ، ومن ثم  
سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة —  
وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في  
مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح  
كان معه ، فشجّه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، ففضض ، وفارق سيف الدولة ،

وفي الحق : إني لم أعان في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما —  
وذلك أن المتنبي رَبُّ الماعى الدقاق — كما قال — فلذهن في شعره جولان  
وما دامَ هناك ذهنٌ يَلْفَفُ ، وذوقٌ يَسْتَدِقُّ ، وملكةٌ بيانية ، وبَصَرٌ  
بمذاهب الشعر : أمكن إدراكُ ما يترامى إليه مثلُ المتنبي ، ولو بشيء من

وذهب إلى مصر سنة ست واربعين وثلاثمائة ، ومدح كافر الأخشيدى ، وكان  
يقف بين يدي كافر ، وفي رجله خفان ، وفي وسطه سيف ومنطقة ، ويركب  
بمجاجين من ماليكه ، وهما بالسيف والمناطق ، ولما لم يرضه كافر هجاه وفارقه  
ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافر خلفه رواحل إلى جهات شتى ،  
فلم يلحق ، وكان كافر وعده بولاية بعض أحواله ، فلما رأى تغالية في شعره وسجوه  
بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم  
أما يدعى المملوك مع كافر؟ لحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق  
ينشاه في علة ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا  
وقطعتني مبلا ، فان رأيت أن لا تشب العلة لى ، ولا تكدر الصحة على - فملت  
إن شاء الله . ولما رحل عن كافر قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه  
الديلمى ، فأجزل جائزته . ( وكذلك مدح ابن العميد ) ولما رجع من عند عضد الدولة  
قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه - عرض له فاتك بن الجهلى  
الأسدى في عنة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل  
المتنبي وابنه محمد وغلماه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ،  
وقيل جبال الصافية - من الجانب الغربى من سواد بغداد عند دير العاقول - وذلك  
يوم الأربعاء لست بقين - وقيل ثلاث بقين ، وقيل لليلتين بقيتا - من شهر رمضان  
سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قتل : رثاه أبوه القاسم مظفر بن على الطبرى بقوله :

لا رعى الله سِرْبَ هَذَا الزَّمانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسانِ  
مَا رَأَى النَّاسَ نَائِيَ الْمَتَدَّبِّى أَيْ نَانَ يَرْمَى لِيَكْرِ الزَّمانِ  
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كَبْرِيَاءِ ذِي سُلْطانِ  
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

دا ه ملخصا من ابن خلكان ،



الجهْد اللذِّ ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم ، وشروحه مُتوافرة ، ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا ، لا إرهاق فيه نلاطر ، ولا إعنات لروية . وهنا قد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبي مخدوماً وشروحه متوافرة - كما تزعم - فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رسلك

### شيء من أخلاقه وشيئانه

حدث علي بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة - وهي أنه ما قرأ القرآن - فإن أظن الراوي يريد أنه ما قرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبي في فضله وأدبه ودهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ؛ وأى قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ؟ ! وقال ابن فرج : كان المتنبي رجلاً ذاهية من اللسان ، شجاعاً ، حافظاً للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه إلا ببخله وشهره على المال . .

أقول : وهذا ببخل المتنبي هو على الحقيقة بما استتبعه طاحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والمجد والعلاء . وقد سئل في ذلك فقال : إن للبخل سبباً ، وذلك أتى أذكر - وقد وردت في صحابي من الكوفة إلى بغداد - فاتخذت خمسة دراهم في جانب منديل ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع القفاكة ، فرأيت خمس بطيخات باكورة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس بطايطيخ ؟ . . فقال - بغير أكثرات - اذهب ، فليس هذا من أكلك ؛ فهاستكت معه وقلت : أيها الرجل : دع ما يعيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ؛ فلشدة ما جهني به ما استلمت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يا مولاي : ها بطيخ باكورة بإجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال : بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه

يا هذا . فالتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثيرة قلة . . ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حفظه أن شَرَحَهُ وعلق عليه ، ونقده وتمصب له وعليه ، نَيْفٌ وخمسون أديباً ، بَيَّدَ أَنَّ المتداول من شروحه إنما هو العُكْبَرِيُّ والواحدى واليازجى حَسْبُ : أمّا الواحدى : فَلَا نَهْ لَمْ يُطْبِعْ إِلَّا فى أوربته وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخه قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالضاد لِنَدْرَتِهِ وغلاء ثمنه ، ومن ثمَّ كان فى حكم غير المتداول . ثم هو - الواحدى - وَمِثْلُهُ العُكْبَرِيُّ كلاهما موضوعٌ ذلك الوَضْعَ الخلق البالى القيم - بعثرة الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، وهكذا دَوَالِيكَ - وَضَعٌ لا يَتَّفِقُ ومزاج هذا الجليل ، ولا سيما من يتنقى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى أَلَمَّ بالواحدى والعُكْبَرِيُّ معاً ، وهنا لا يسع المرء إلا أن يَأْسَفَ كل الأسف وتتقطع نفسه حَسَرَاتٍ جَرَاءَ

---

مسروراً بما فعل ؛ قتلت : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولاً ! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار . . .

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طلاح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الخاتمي وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . - وكثيراً ما يصيب هذا الداء التواضع والعبريين حولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولاً . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطيبه النساء . . وكان لا يشرب الخمر . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيماً ، وكان عبقرياً ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقرى عظيم ، والله أعلم . .

ذلك الداء الخبيث العيأ الذي ألمّ - ولا يزال يُلم - بالمطبوعات العربية - داء التصحيف والتحريف - حتى لا يكاد يسلم منه كتاب عربي ، فذهب بحال التوليف وشوّه خلقها وصار بها إلى حيث تنبوعها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدري : ما مصدر هذا الداء ، ولا من تقع عليه تبعه هذا الجرم : هل هو الناسخ ؟ - بل الماسخ - [ ولقد حاولت - أخيراً - أن أنسخ رسالة في سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين في تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نقل الكراسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل مانسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت مانسخ منه ضفتنا على إباله . . . فما كان إلا أن انصرفت نفسى عن المسألة برمتها ] . . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ! ؟

ولقد لقيت الألقى في تصحيح « بروفات » - أو تجارب - المتنبي ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت : إن الجهد الذى يبذل فى سبيل التأليف أهون على المرء من الجهد الذى يقاسى فى سبيل التصحيح .

وتصوّر مقدار ما يعرّو الإنسان من الموضض والامتعاض حين يرى الكتاب - بعد هذا العناء الذى يبذل فى التصحيح - لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يفتن إلى الخطأ المطبعى أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره فى ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما فى ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومن هنا كان له - للمؤلف - هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره فى ذلك قائماً . . .

أقول : إن عيب الواحدى والمكبرى هو ما ذكرت : وضع لا يتفق وروح المعصر ، وتحريف كثير شائع فى الكتابين ، ذلك إلى هفوات تلحق كلاً على حدّته ، وقصور أو تقصير أو إقصار يلمّ بساحته ؛ فإذا أردت أن تجتزئ

بالعكبرى - مثلاً - وتستغني به عن غيره فإنه لا يفتنى كل الفناء ، وكذلك الواحدى .  
ويزيد الواحدى على العكبرى أنه لا يحفل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه  
لا يفسر كثيراً من الآيات ، فكأنه موضوع للمنتهين . ولذا لا يأتى الشادين . أما  
اليازجى أو اليازجيان - الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم - فهما - على فضلها  
الذى لا ينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء  
وهو مفعم يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى  
طبّق المنصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما - على الرغم من  
ذلك - يصدق عليهما قول الواحدى فى ابن جنّى : وأما ابن جنى فإنه من الكبار  
فى صنعة الإعراب والتصريف ، والحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه  
إذا تكلم فى المعانى تبلد حماره ، ولجّ به عثاره . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى  
ما قاله - أى اليازجيان - فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لما الله ذى الدنيا مُناخاً لِرَاكِبِ  
فكلُّ بَعِيدٍ الهمُّ فيها مُعَذِّبُ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لا همّ له لا يخلو فيها من  
العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ؟ ! ولست أدرى : كيف لم يفتننا إلى معنى هذا  
البيت وهو من الوضوح والجللاء - كما ترى - . . . على أنهما - فى شرحهما  
عامة ، لافى شرح هذا البيت - لم يجيدا عن الواحدى والعكبرى قيداً أنملة ؛ فهما  
عدتاها ، وعليهما معولها ، فإذا حاولا أن يتفصيلاً منهما ، ويستقللاً بالشرح  
دونهما ، ويأتيا بشيء من عندهما : زلت قدماهما ، وكباجوادهما ، أوتبلد حمارهما .  
ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصر فيه ومرّض  
ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

- اليازجين - تركا كثيراً من شعر المتنبي الذي يريان فيه خشكاً لوجه الأدب ،  
وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلاً ، وهذه جزئية  
من المزايا قد وفيناها حقها في هذا الشرح ...

على أننا لا نبخس الناس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطباع البشرية  
وما قد يعرفها الخطرة بعد الخطرة : من الفتور والانتكاس ، وانفلاق الذهن ،  
وتبدل الحس ، وإظلام البصيرة ، وغرور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى  
أحياناً على العليم الأملئ وجه الصواب وهو منه على جبل الذراع وطرف التمام  
- كما يقولون - فيعتسف الطريق ، ويتخبط تخبط العشواء ...

وهذا ابن جنى - الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فيلسوف اللغة العربية ،  
العليم بخصائصها ، الطب البصير بدقائقها - تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من  
ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي - متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل  
المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : أسألوا الشارح - يعني ابن جنى - .  
وكان ابن جنى يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذي يغزوه .  
وبرغم ذلك تراه في كثير من المواضع - كما قال الواحدى - وقد تبدل حماره ،  
ولجَّ به عثاره .

وهكذا تتبعت جميع من تعرض للنتنبي بالشرح أو النقد - كابن فورج ،  
والعروضى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفلح - فوجدت لهم  
جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سدادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالكمال !  
ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمادة متوافرة ؛ فقد  
أكون - فى بعض الأوقات - مستعجاً ، نشيطاً ، مهزوزاً . مرهف الطبع . مصقول  
الذهن ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح - من قوافى المتنبي -  
فأتى بما أرضى به عن نفسى ، ويعزوفى له من الطرب ما يستخفى ، وأكون

في أوقات أخرى منقبض النفس ، مظلم الحس ، مغلق الذهن ، قدما ، بليداً ، لا أكاد أذهنُ شيئاً ، وأكون مضطراً إلى العمل ؛ فأشرح - وأنا على هذه الحال - بعض الآيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جام من نفسى إلى ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم ؟ وأتهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا نَدَّ به القلم ...

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع في تفكيره نزعة لغوية ، وذاك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخيل ، وأن هذا أصح تمييزاً من ذاك ، وأنفذ بصيرة ، وأبعد مدارك ، وأصنى نفساً ، وألطف حساً ، وأكثر ألمعية ، إذا أذنت أذناه شيئاً شاء ما ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من آيات المعاني الدقاق : تشعبت آراؤهم ، وذهب كلٌّ في تأويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر ، تبعاً لتباين قرائحهم ومحصولاتهم ، كما قال المتنبي :

ولكن تأخذ الأذان منه على قدر القرائح والعُلوم

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح في تأويلاتهم لمثل شعر أبي الطيب . ذلك أن المتنبي كان رجلاً ما كرأ باقعة داهية ، فكان من دهائه يعمد إلى بعض المعانى التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعمىها على الناظر فيها ويريفها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطنَ إلى أن غيره أبو عُذر هذا المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته - كما سنبينه - فيجىء البيت متنافر اللحمة ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرُّقى ، فيظن بمض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكده ذهنه ، ويمجد فكره ، ويسافر في طلب المعنى أميلاً وهو لا يفوت أطراف بنانه ، وينضى إليه رواحله ذهنه وهو على جبل ذراعه ، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبي :

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ السَّطِيعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ

وهناك شيئاً يرجع إليه ذلك التعميق الذي نراه في بعض شعر المتنبي . هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة في حاب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب - في الشام وفي مصر وفي بغداد وفي فارس - وكانوا له بالمرصاد يتلسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير - ممن يمدحهم كذلك - شعراء أدياء - وناهيك بسيف الدولة وابن العميد - فكان لذلك كله - يمتشد لكثير من قصائده ويتعمل لها ، وينتطس في ألفاظه ومعانيه ، ويمحتفل ، ويمعن في الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛ فيجىء بعض نظمه كزاً جافاً معقداً حُرْم طُلاوة الطبع وروقه ، وفقد نصف الجمال الشعري .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفتن إليه أحد ، أو فطنوا إليه ولم يصِفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذي هو به أليق ، ذلك أن المتنبي - للأسباب التي أساقناها ، ولسبب آخر سنبينه - نراه في أكثر شعره ينقصه التعبير الشعري ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه في الصنعة والاحتفال بالمعنى - وهو أبو تمام .

وإني لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهي : إنما حبيب أبو تمام كالتقاضي العدل : يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى في كلامه ، ويتخرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالمملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، كالشجاع الجريء : يهجم ما يريد ، ولا يبالي ما نتق ولا حيث وقع ٥١ .

فأنت - إذا نظرت إلى أبي تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعاني الدقاق وترى الصنعة - من الجناس والمطابقة وما إليهما - وترى - مع ذلك كله -

التعبير الشعري : أى ترى النصاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ،  
وتساوق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوى الذى  
يظالمك من بين فقره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة - أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي - هم لات  
الشعر ، وعزاه ، ومنأته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ،  
وجعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين  
إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى  
مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه  
على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه  
إلا عن تنقيب وتنقيح ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره  
برائضه ، أطاعته أعنة الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، فخذ منى  
فى ذلك قول حكيم ، وتعلم ، ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادة البحتري : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فنفى ،  
ولقد حاز طرقي الرقة والجرالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث  
بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال :  
أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف فى حكمه ،  
وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من  
الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ،  
مع قربته إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاق الغالية ، وورق  
فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه



خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف موافق القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأتماً ، ولا منه مثلما : وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بمنذر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْتِهِ    إِنْ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خَتَمُوا  
وَلَا تُبَالِ بِشَعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ    قَدْ أَفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمِدَ الصَّمَمُ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه ، غيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتقهرة التي لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هي التي ألبنسته لباس الملام ، وجعلت عِرضَهُ غرضاً لسهام الأعرام ، « هـ كلام ابن الأثير ».

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذي يماب على أبي الطيب ويُظن أنه يتخَوَّنُه وَيَسِينُه : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر ؛ فمن ثمَّ يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد وتبينُ طَريقَةُ من طَريقَةٍ وإن تواردوا جميعاً على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول .

ولقد أتى مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم ،

فيدرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعتهم في أخذه مختلفة ، وترام قد تناولوه بوجوه كثيرة مُتحقق فيه عمل أمرجتهم ، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجري به في طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ<sup>(١)</sup> فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع مهالك ؛ وتارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكراراً ؛ وبطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثاً بالياً ؛ وزهبع الذاهيين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا للنسخ لقب الشاعر من الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام .

وشأن المتنبي كالشأن في نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا يهر بإرادته ، ولا ينبغ بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها ، وإنما هو يولد مهيئاً بقوى لا تكون إلا فيه وفي أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ - كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس - ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ ؛ فتتنوع وتتباين ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية ؛ ويستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنى من المعاني تناوله على طريقته : فإما حذف منه ، وإما زاد فيه ، وإما غيرَه وقلبه ، وإما صبَّ على حدوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقته حسب . فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بعمان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

---

(١) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا - بعد شرح بعض الآيات - : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو التوليد الذي هو من خصائص النوابغ : وإنما ذكرنا هذه الأشباه والنظائر : هو ترى كيف يكون التوليد . واتخار ما يحلو . .

بسبيله وجها من الشبه - لا قريباً ولا بعيداً - وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري ما هي ولا أين هي ؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة - وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ - ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهي تكون فيه هو وحده بمقام الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة - وبصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان - فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشيء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتبها له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحياناً بالتمقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتمصف ويتخبط ويُسِف ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذره ، وهو قادر على أن يُفنى عنه وليس في حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يحينه الردىء أن يجعله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذي انبثق له عن الجيد ، كما تضرم النار من مادة . فإذا هي سُكِل ودخان ، ثم تضرمها من مادة أخرى فإذا هي لمب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يقن به إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي ، فأشدُّ يدك عليه ، وادرس المتنبي على هذه الطريقة ، فستجده نابغة في جيده وورديته ، وستجده لا يستطيع غير

المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك أهم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

\*\*\*

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتي فيها أحد بمجديد . . . وقد أصبح المتنبي - دون غيره من شعراء العربية - كأنه في غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كالمقطعة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعض ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة ببيان سره الشعري ، ثم أنت - بعد ذلك - في حقيقة الرجل : أى شعره وشرح شعره الذى تقدمه إليك . . .

\*\*\*

وبعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلقيَنَّ في رُوعك أنه بدع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّراحُ مِنْ مَرَدَمٍ ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عَكْرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدام - كما يقول أبو الطيب - وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأى شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يفنى عنه شرح ، ولكنه هو - بحمد الله - يفنى عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّ فَاخِرٍ      وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البرفرقي

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

## مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أمضيتُ النيةَ - سنة ١٣٤٩ هـ - سنة ١٩٣٠ م - على أن أضعَ شرحاً على ديوان أبي الطيب المتنبى ، وأخذتُ في معالجة هذا العمل - وكان الناشرُ إذ ذاك يَحْفِزُنِي حَفْزاً ، ولا يكاد يُبْلغُنِي رَيْقاً ، وكان يتناول مني « أصول » هذا الشرحِ دِرَاقاً « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعةِ نيتاً لم تنضِجْهُ نار التثبت والروية ، وأخيراً تمثل بالطبع ولم يمض على وضعه وطبعه أكثر من عشرة أشهر - لما حدث هذا طَفِقْتُ أَقْلَبُ النظر في هذا الكتاب وَأَعِيدُ الكَرَّةَ ، الخطرةَ بعدَ الخطرةَ ، وكلما أنعمت النظر في الشرح بدا لي ما يسوء ويكهد ، ويحزُّ في الكبد ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير في شرح بعض الأبيات ، وهنئيات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيَّثْ فيه ، ولم يُوفَّ حَقَّهُ من الأناة والتحقيق .... فلم يك مني إلا أن صححت النسخة التي بين يدي ، وتناولتها بالتنقيح والتهديب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة . .

وما زلت على هذه الحال مستعمماً بالصبر حتى نَفِدَت نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدُّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أحييت ميِّتَ الأمل ، وحفزتني إلى استئناف العمل ، فكان أن وَجَّهْتُ عَزِيمَتِي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحاً أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزايا كل الشروح ؛ وليس ذلك أثره مني ( ٢٢ - المتنبى )

واستبدادا بالمتنبى . . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكَدَهُ الإعراب وما يتعلق بالآيات من جهة النحو والتصريف ، وآخرين قصرُوا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بيدَ أن هذه الأشباه - ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرِيُّ ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جنى ، والواحدى محتاج - هي الأخرى - إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت في بعض عبارات القدامى من الشراح غموضاً يحتمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يواهم أذهان هذا الجيل . . . فكان كلُّ أولئك مما حفزنى إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . . فكان أن أوردتُ فيه جميع تفاسير الشراح - من متقدمين ومتأخرين - وأقوال نقدة المتنبى - من متعصبين له ومتعصبين عليه - وأكثرت من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التي أمت بالشرح الأول ، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً لمتنبى ، وشرحاً لشروح المتنبى . . .

على أننى لا أدعى أن الكمال الذى نَشَدْتُ قد تحققت ، وحسبى أنى لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعاً ، وإن كان جُهد المقلِّ ، وغاية المستطيع ؛ ورحم الله العباد الأصفهائى حين يقول : إنى رأيت أنه لا يكتب لإنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جملة مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسط شيئاً فى سيرة المتنبى - ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التى قيلت فيها قوافيه - وكذلك رأيت أن أترجم

شراح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي  
وَحِكْمَهُ وَالْحَقَّتْهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ .

وإنما نترأى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب - ديوان المتنبي وشرحه  
ومقدماته - كفيلاً بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله - سبحانه - أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ،  
ويُضْفِي عليه من القبول ما يَعْمُرُ به انتفاع المتأدبين ، إنه سبحانه بذلك كفيلاً  
وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

**عبد الرحمن البرقوقي**

١٣٥٧ هـ - سنة ١٩٣٨ م

## سيرة المتنبى •

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . الخ .

وجعفي جد المتنبى : هو جعفي بن سعد العشيرة من مدحج من كهلان من قحطان ، وكندة التي ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبى يعرف بمبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهي همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صاحبات النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشرف العلويين ، وكان لأبي الطيب منهم خلصاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبى في شعره نسبه أو قبيلته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، في أشعار منها :

أُمْنِسِي السُّكُونِ وَحَضْرَمَوْنَا  
ووالدتي وكندة والسبيعا

وقد روى الخطيب عن علي بن الحسن عن أبيه قال : « سألت المتنبى عن نسبه فما اعترف لي به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين

---

قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ، وعمدته في هذا التلخيص : كتاب  
« ذكرى ذ المتنبى ، للدكتور عبد الوهاب عزام .



القبيلة التي أنتسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني .

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا ، في القصيدة التي مطلعها :

لا تحسبوا ربكم ولا تطله أولَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتْلَهُ

وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بأباه له عظام ، في قصيدته هذه ، وفي مواضع أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .

ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي نفرت لا بمجدودي  
وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي : إن بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية ، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع ابن محمد الأزدي ، وعلي بن أحمد الطائي ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين في اللاذقية . وقال للحسين بن إسحق التنوخي يمدحه - بعد أن هجاه بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبي - :

أبت لك ذمّي نخوةً يمنية ونفس بها في مازقٍ أبدأت رمي

على أن ذلك الذي يكلم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذي يختلف المؤرخون في تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابه على كل حال ، ثم إن خلط كنيده التي ولد بها المتنبي ، بكنيدة القبيلة ، شيء يحقق حول نسب شاعرنا الكبير وتفاهته ، وهو - على الرغم من كل أولئك عربي قح ، هريق في عروبتة ، فلا يعنيه أن كان من بيت فقير .

أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المنبج كان سقياً ، وقد جهاه ابن لنكك  
البصرى لما سمع بقدمه بغداد راجعاً من مصر فقال :

لكن بغداد جاء الفيت ساكنها      نعالم في قفا السقاء تزدحم  
وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً  
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما      وحيناً يبيع ماء الحيا

وروى أن والد المنبج سافر به إلى الشام ، وتنقل به بين حضرها وباديتها  
ومدرها ووبرها ، وورده في القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المنبج لم يكن رجلاً نابه الشأن - كما يرجح  
الرواة - أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما ولادة المنبج ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجح أنها ماتت في  
حدائثه قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى  
التي تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم . قال إبان  
احتقاله :

ييدى أيها الأمير الأريب      لا لشيء إلا لآنى غريب  
ولأمّ لها إذا ذكرتنى      دم قلب فى دم عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره - كما أخبرنا الرواة - أنها ماتت فرحاً  
بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤنسة . وإنك لو اجد أثرها البليغ فى حياته  
وسيرته ولا مس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً      فما بطشها جهلاً ولا كفتها حِلماً

وأجمع رواية أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذي لا ينق غلة ، جاء في الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الطويين ، فكان يتعلم دروس العربية شراً ولفة وإعراباً » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للملم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

وما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي ، وهي أن أحد الوراقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاهه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجبه قائلاً : يا هذا لقد عطفتني عن بيعه ، فإن كنت تبغى حفظه في هذه الفترة القصيرة ، فذلك بيدك عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فإلى عليك ؟ قال الرجل : أصطيكه . قال الوراق : فأسكت الكتاب أراجع صفحاته والفلان يتلوما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كفه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة هربياً صرفاً ، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين ، قال العلوّي : إنه أقام في البادية سنين ، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويرجح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عندما حاود القرامطة الغارة وهرموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثرٌ يبيّن في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره .

وقدر حل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء في «الصبح المنبى» : أن أبا الطيب قال : «وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد» ، وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلثمائة فقد جاء في النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات .

وبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كتاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية ، وما تعلمه في بغداد بحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكرى ونفطويه وابن دستويه ، ولقى كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي ، وأبا عمران موسى ، وأنه «طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حدائمه حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره ، وطاول شعراء وقته» .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، كما يقول المعري في رسالة الفران ؛ وفي دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان : إن القصيدة التي مطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ جَلَبْتُ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة

بأنطاكية ، ولا ريب أن مزور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى في شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا      والبين جارَ على ضعفٍ وما عدلا  
فى القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت فى الشام ، أما ما قبلها ، فقيل فى العراق ، وليس ما قبلها بكثير .

ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره فى بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فاتى خيراً وصحاباً ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نبأ به ، وضاق بأماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب الجدد والسؤدد ورفع الشان ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام - أن نلغ إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام - على عهد المتنبي - مقسمة بين الأخشيدي وابن رائق ، ثم بين الأخشيدي وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسى . وقد ولى محمد بن طنج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدي ولاية يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طنج مصر أيضاً ثم غزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الراضى بالله العباسى عظم أمر ابن طنج ، فأعيدت ولايته على مصر ،

وامتد ساطانه على الشام كلها ، وخال طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة ، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، وبقي الأخشيديون في دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومي ، والحسين بن عبد الله بن طنج ، وهو ابن أخي الأخشيد ، وطاهر العلوي ، قال في مساور القصيدتين اللتين مطلماها :

جَلَّا كَابِي فَلَئِكَ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْحُ

(و)

أَسَاوِرُ أَمِّ قَرْنِ شَمْسٍ هَذَا أَمَّ لَيْثِ غَابٍ يَقْدُمُ الْأَسْتَاذِ  
ويعنى الشاعر بلفظة «الأستاذ» : كافوراً .

وكانت طريق أبي الطيب إلى الشام هي طريق الجزيرة ، فمر برأس عين وانتهى إلى منبج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابي المنبجي — وهي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى في منبج وطرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولا نحب أن نمضي قُدُماً في سيرة الشاعر ، دون أن نقف بمحاذة ادعائه النبوة ، وهي الحادثة التي أثرت أكبر التأثير في صوغ سيرته في كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً ؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمنبجي ؟

\*\*\*

لا جدال في أن أبا الطيب سجن بالشام في أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم - كما أنبأ به في شعره - أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بمضمون مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادي : إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوي حسني ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوي ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهماً طويلاً ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضاً رواية عن حَاق يتحدثون : « إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدي ، فقاتله وأسر ، وشرذ من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبساً طويلاً فاعتل وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى للمري في رسالة الفران : أنه لما حصل في بني عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له - وقد تبينوا دعواهم - : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي رائحة في الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتكرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى المسحة ، وأنه ورد الحلة وهو راكب عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام ، فجرحته جرحاً مفرطاً ، ففعل عليها أبو الطيب من ريقه وشدها عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعد له أياماً وليالي ، فقبل الكتاب ذلك وبرى الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كعبي الأموات .

وفي الصبح المنبي : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة

فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لكتاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير . فقال :  
ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه - وهو  
مائة وأربع عشرة عبرة - ثم أراه معجزة ، ففزع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب  
المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام ، ثم  
لأنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سلية من عمل حمص قبض عليه ابن علي الهاشمي ،  
وأمر النجار بأن يجعل في رجله وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب  
أبو الطيب من حسبه إلى الوالي :

بيدي أيها الأمير الأريب . . . . . الخ

تلك بعض الروايات التي ألصقت بأبي الطيب دعوى النبوة ، وهي روايات واضحة  
الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاماً تسبقها  
وتعقبها دعوى العلوية ، فكأنما صح في ذهن جمهرة الرواة أنه تنبأ لجمال في رواياتهم  
مصدق ما سمعوه وصح في أذهانهم ، وأما الثانية فهي رواية عن خلق يتحدثون ،  
وهذه مقطوع ببطلانها مقضى بكذبها ، فأحاديث الخلق دائماً مزوقة الجوانب موشاة  
الحواشي ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعري فهي حديث خرافة أيضاً ،  
لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شيء بعيد  
الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلاً فمن المقطوع به أن أحداً  
من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فناطقة بالكذب الصريح والتلفيق  
البين . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككاً يناقض  
أوله آخره .

والذي يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن  
أبا الطيب لقب بالمتنبي لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاضمه ، ففي الديوان  
قطعة جاء قبها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد  
من تهوره فقال :



أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامي .  
وليس في هذه القطعة إلا المخاطرة ومصالوة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه  
من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات  
التي حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبي : إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قوماً من رائي نبله ،  
على الحدائثة في سنه ، والفضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأدى خبره  
إلى وإلى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسيرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبي بعد  
ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ في صباه ، وقتن شرذمة بقوة أدبه وحسن كلامه »  
وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لا كتبه  
الألسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخي : « فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤ هـ عند  
اجتيازها بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى التنبؤ ، لأنني أردت  
أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابني بجواب مغالط لي وهو أن قال : هذا  
شيء كان في الحدائثة » .

ويقول ابن جنى في شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان في صباه  
ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ  
بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، ووضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .

أما رأى ابن جنى في تلقيبه بالمتنبى فهو قوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وذلك رأى تيميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته في الاعتقال ومطلمها :

أَيَا خَدَّ اللَّهِ وَرَدَّ الْخُدُودِ وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسانِ الْقُدُودِ  
إن التهمة التي ألصقت بالمتنبي لم تكن ادعاه النبوة ، وإنما كانت دعوى  
أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهي  
اتهامه « بالعدوان على العالمين » أي بالخروج على السلطان .

ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبي ذلك البيت :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود  
وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبي ، وفي أيامنا  
هذه من أمثال ذلك كثير في الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب  
وذاع وسرى في الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع  
أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ،  
ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

\*\*\*

ونعود إلى سيرة المتنبي فنقول :

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، أو في السنة التي بعدها ، ويؤخذ ذلك  
من أنه قال في قصيدته التي أرسلها من سجنه إلى الوالي يمدحه :

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشَنِيَّ كِشَاءَ أَحْسَ زَيْبِ الْأَسْوَدِ

والخرشني هو : بدر الخرشني والى حلب من قبل الخليفة العباسي ؛ وثابت  
في كتب التاريخ أن الأخشيدي استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة  
بعد أن تركها الخرشني إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح  
الخرشني إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيدي على حلب ؛ فيكون سجنه في هذه السنة  
أو في التي تليها .

ولقد لبث أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير

مستقر على حال ، يقصد المملوحين ، فيخييون أمله ، فتشور نفسه ، وتتحكم  
كبرياؤه ، ثم يعود فيكبت النفس الأبية ، ويمسك كبرياه بيده ، وتلجته  
الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا  
بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التنوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي  
نائب ابن رائق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ؛ وقد لزم  
التنوخيين وابن عمار زمناً . وأكثر البلاد نصيباً من مدائحه : منبج ،  
وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك في طرابلس ، وطرسوس ،  
وجبل جرش ودمشق ، والرماة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامحه  
ويفخر ويشور . وهي القصائد التي أبانت عن آماله وأوضحت عن أحلام  
نفسه الكبيرة .

\*\*\*

ولم يُفد أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل .  
روى ياقوت في معجم الأديباء : أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق  
الطرسوسي بقصيدته :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيئًا نُمِّ أَقْنِيَتِ وَمَا شَفِيَتِ نَسِيًا  
وصله عليها بعشرة دراهم . فقيل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو  
أم قبيح ، ولكن أزيدة لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين  
درهما . وروى الثعالبي : أن علياً بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً  
حينما مدحه بقصيدته :

بأبي الشمس الجانحات غوارياً اللابسات من الحرير جلابياً  
فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة

والخسة من الدراهم ، ولكن الذي لا ريب فيه ، أن كبار المدوحين أعطوه عطاء  
ضخماً ، يلاثم شعره ومكاته .

\*\*\*

ولقد كان المتنبي في عهده هذا ، يبغى المجد والسؤدد ، ويهتج بالملك ، ويبنى  
صروح الآمال الجسام . قال في صباه :

ومن يبغ ما أبغى من المجد والعلو تساوى الخابي عنده والمقاتل  
وعند ما لاهه معاذ اللاذق على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة  
إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك في شعره في غير  
موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه المريضة ، لام  
نفسه وأنها تأنبها .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر  
الآمال وطلب المجد والسؤدد ، في أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء  
يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك في قصيدته التى مدح بها على  
ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا للنوطة بالتناد

وكذلك في قصيدته التى مدح بها الميث بن على بن بشر العجلي ، والتى  
مطلعها :

فؤاد ما تسليه للدام وعمر مثل ما تهب اللثام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس  
أنه تواعد بقتل المدوحين أيضاً ، وذلك في قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله  
الخصيبى .

وفي شعر المتنبي : أنه حارب في سبيل غايته، وعارك وقتل ، ولا ندرى متى حارب  
ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :  
ومن يجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والاسطان ، الذي وسع صدره هذه  
الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول في إحدى  
قصائده صباحاً :

أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد  
ضاق صدرى وطلال في طلب الرزق قيايى وقل عنه قمودى  
ويقول بعض القصيدة الدينارية :

اظلمتى الدنيا فلما جتتها مستقيماً مطرت على مصائبها  
ويقول الثعالبي : إن أبا الطيب كان يحشم نفسه أسفراً أبعد من آماله ،  
لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة ماله في سبيل غايته من  
مشقة ، وشح ماله من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن  
فيها ، ويخالها بناسها حرباً عايبه ، وليس يفتب عن الذهن ما قاله في تحقير الناس ، من  
شعر ممن في الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد  
إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان متعالياً على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه  
على أهل زمانه ، ونحبه كان محققاً في ذلك ، وإلا لما حضل الناس به  
إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه المدحون بدل أن يسى إليهم . يقول في إحدى  
قصائده صباحاً :

إن أكن معجباً فمعجب عجب لم يمدفوق نفسه من مزيد  
إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتعنى بالثورة والمجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يُسنى نفسه بالقول  
( ٣٢ - المتنبي ١ )

دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى المشيخ المجدّ ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل في سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله في عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمنّي النفس ، ويبسط أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله . فأب صامتاً محتملاً يشكو نفسه مظل الزمان ، ولا يشكو لبني الإنسان ، فهو يراهم دونه بكثير .

\*\*\*

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب في مداخمة الأمراء والحاكمون ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طنجج إلى الرملة ليمدحه - وهو أخو الأخشيدي كما قلّمنا - ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبي العشائر بن حمدان ، فهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذي هيا له السمادة والمجد ، وأعانته على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طنجج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتتع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يجف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخلا على ابن طنجج فأنشده إياها وهي :

أنا لآئمي إن كنتُ وقت اللوأم علمت بما بي بين تلك المعالم  
وكان هذا أول شعر للمتنبي أجزى عليه إجازة كبيرة . جاء في الإيضاح : « أن المتنبي حدّث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طنجج ، وفي الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة

أكثرها بيتان ، وقد قيت قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر  
الشاعر بالرملة قاصداً مصر وما قوله :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسي      وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد      هذا الوداع وداع الروح للجسد

\*\*\*

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى ،  
وفي شرح المعرى وشروح أخرى : أن ابن طفج سأل الشاعر مدح أبي القاسم  
مرات عدة ، وألح عليه في ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة في  
أبي القاسم بدل قصيدة كان يريد لها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر  
إلى أبي القاسم ومعه حاشية ، وجده في فريق من أشرف قومه يجلس على سريره ،  
وقد نزل لأبي الطيب عن سريره ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يتحدث ويؤنس ويجلسه  
على سريره ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً في المديح حقاً ، فلم يسمع  
أحد قبـل أبي الطيب أن شاعراً جلس المدوح بين يديده ، وهذه  
القصيدة هي :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب      وردوا رقادي فهو لحظ الجباب

\*\*\*

ويجمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غلبَ العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء  
في أيدي القواد والأمرء ، نشأت في قبائل العرب أربع دول : هي بنو حمدان  
بالموصل وحلب ( ٣١٧ — ٣٩٤ هـ ) وبنو مرداس ، وبنو المسيب ، وبنو مرید ،  
ولمّا يعيننا من هذه الدول دولة بني حمدان التغلبيين ، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني ،  
وتنسب هذه المشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بني تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث

ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :

وحدان حمدون ، وحمدون حارث و حارث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى أمراؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غلب عليهما ، فأصطلح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب ، فلما استقر له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحمي ذمار ملكه ، وأن يناضل عن بني دينه ولفته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقاة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم الروم ، وسيفاً مشهوراً يذود عن العروبة والإسلام . لم تمض منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال ، فقد ر له النصر مرات عدة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية وقد ر له كذلك أن يلتقى الهزائم المرة ، وكان شر هزائمها واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلاً ، ونهبوا دار الأمير وخربوها .

على أن سيف الدولة - الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخسين وثلثمائة - لم يقعه ذلك عن حرب الروم ، فنأر منهم واتصر عليهم في السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى



العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفى في حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن في ميفارقين .

وأضاف فتي الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرماً وسماحة بالغة ، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالم ومحط رحالم ، فيروى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونحو الأديب والعلم .

ومن قصده من الشعراء - غير أبي الطيب - أبو فراس ، وأبو العباس الناهي ، وعلى بن عبد الله الناشئ ، والسرى الرقاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائمه عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجموها في كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضاً منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي ، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من يمد عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، وقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد .

\*\*\*

و بارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببعلبك ، وكان فيها على ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى أنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب اللمع خلقة في المآق

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ في أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عند ما شهد الناج يكسو أديم الأرض ويفشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته في أنطاكية ، أغار عليها بانس المؤنسي - قائد الأخشيديين -

وفوجيء أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبي قصيدته :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم  
ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ،  
فلما سمع بقدمه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراد إسحاق بن كيفلغ  
على مدحه - وكان جاهلا - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك  
مدحك استصفاً لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح  
أحدًا إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة  
أملأها على من يثق به ، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه  
ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً فأهجم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقدح فيها المتنبي  
وأخش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .  
ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

\*\*\*

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى بمدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما  
على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان والياً على أنطاكية  
من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ،  
قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح  
الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض  
بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء  
جميعاً ، ومما أوجت به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان ، فقد تموّد  
أن يتخذ من ممدوحه أصدقاء له وصحاباً . وكان سيف الدولة سمح النفس  
كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً ، وأن يكون  
هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بآثره ،  
ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يحسد

بدرره العوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبنى مصاحبته شاعر  
اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم  
وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة  
وألف بيت ، فى ثمانٍ وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع  
عشرة قصيدة فى وصف وقائمه مع الروم ، وأربع فى وقائمه مع العرب ، وخمس عشرة  
فى المدح المجرى عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث  
الروم ، والباقى فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصبا ومراتع الأرام جلبت حمى قبل يوم حمى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها  
بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك  
التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك ،  
مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبي الذى اعتمدنا عليه  
فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخته بأخرى ،  
وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يقد على شاعره أيما إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف  
عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير  
ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبي قطعه :

موقع الخليل من نذاك طفيف ولو أن الجياد فيها ألوف

حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعتة :  
اخترت دهماً تين يا مطر ومن له في الفضائل الخير  
حين خيرته في فرسين ، إحداهما دهماً والأخرى كيت ، وقال قطعتة :  
فطت بنا فعل السماء بأرضه خلع الأمير وحقه لم نقضه  
في خلع أنفذاها إليه ، وقال قطعتة :  
أيا رامياً يوصي فؤاد مرامه تربى عداه ريشها لسهامه  
وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرة النعمان ، وجاء في الشروح ذكر  
لهدايا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .  
وينطق شعر المتنبي في سيف الدولة ، بالنبطة والرضا ، ويفيض بالشكر  
الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحمامه  
وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكرم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن  
حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلاً ، وكان  
يصحبه في أغلب حروبه ، فتكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان .  
ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه  
في أم الكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبها الشاعر في كنف الأمير كانت  
أولى قصائد مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه  
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين  
وثلثمائة وهى .

عقبى اليمين على عقبى الوجى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم  
وأما سبب فرقة الصديقين فهو حسد أكل قلوب شعراء سيف الدولة  
والمحيطين به غير أبي الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعاً بالشاعر

للتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستمع لها أشهراً طويلاً .  
أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت  
شمس المتنبي غالباً على شمسهم ؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو  
المتكبر المتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد  
وحده برضى الأمير وإيثاره . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حباً أو وفاءً أو إخلاصاً .

على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك ويحسدون مكائده

عند الأمير وعظمته بين الناس . قال المتنبي :

أزل حسد الحساد عنى بكيههم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً

ولا مراة فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائده

وناصبوه العداة ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضميم يقاوينى قصير يطاول

ويقول غير ذلك كثيراً بين يديك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مفرماً بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة

له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمساً غير القطع ،

فكان الأمير يفض علىه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة

سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين

التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر

فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح النبى : أن أباً فراس قال للأمير : « إن هذا المتشدد كثير

الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن

أن تعقد مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » .

وفي شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ،  
وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما  
لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك في غيظ سيف  
الدولة . . الخ »

وقويت النفرة بين الرجاين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن يجسمى وحالى عنده ألم  
وقد اضطرب المحاس عند إنشاد هذه القصيدة ، وثار حاشية الأمير مطالبة  
بدمه ، فرخص الأمير في ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر  
في السامري - وهو أحد كتاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه - :  
أسامري ضحكة كل راء فطنت وكنت أغبي الأغياء  
إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد  
أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو المشائر  
جماعة من غلامائه وقتت في سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى  
وفي ذلك يقول :

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حنيف

ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفياً فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ،  
فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوماً ودخل على الأمير  
نفلع عنيه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب  
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يعطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه

الأمير هدايا فقال القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل  
دعا فلباه قبل الركب والإبل

\*\*\*

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه في القصيدة :  
دروع لملك الروم هذى الرسائل يَرُدُّ بها عن نفسه ويشاغل  
وتبرم في قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفي قصائده التي  
مدحه بها تعريض بسيف الدولة والمحدثين ، يراه القارىء واضحاً في الديوان ؛ من  
ذلك قوله لكافور :

حبيتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكنت أنت وافيًا  
على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به في  
القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه  
بقصيدتين ، وهي :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمماً لأمر أمير العرب  
من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون  
آماله الواسعة في السلطان هي التي حملته إلى مصر ، يبني ما عز عليه في رحاب بني  
حمدان . ويقول ابن جنى : إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم  
كانت وداعاً . . . وياله من وداع .

\*\*\*

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المنبى بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر فى الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت فى نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابيه . جاء فى شرح المعرى « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوى إليه أولى من دمشق ، لأن حصص من عمل سيف الدولة » وقال فى الصبح المنبى ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المنبى لم يرض أن يستأذن سيف الدولة فى الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المنبى أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذى عرض بغيره - بعد - فى إحدى الكافوريات وسار المنبى من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمدانى إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي . وقد لبث الشاعر فى دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث فى دمشق متسلكتنا لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضمون مقدمة للهجاء المرثى الذى هجا به الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خير مديح . . ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والى كافور على دمشق أراده على مدحه - لما كان نازلاً ببلده - فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب - لما نزل الرملة فى طريقه إلى مصر ، ولقى فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طنج - لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى      وقليل لك المدح الكثير

( و )

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد      هذا الوداع وداع الروح للجسد



وكن قد مدحه من قبل ، ويفلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو في طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر مجزوم .

فأما كافور الأخشيدى هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لحظة خاطفة ، وهو تاريخ لا يخال القارىء إلا علماً به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طفج الأخشيد ، ومحمد بن طفج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسى على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته في مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رقاها حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدية حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة في الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره في مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً - وكان الحاكم الفعلى - سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطالحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور في أن يبقى الأمر لبني الأخشيد ، ونجح في ذلك ، إذ نال من الخليفة المنطبع لله تولى لعلى بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن على بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير - وكان أمرها في يد كافور - فاتفق أعيانها على تأميره ،

فأصبح بذلك هو السلطان - اسماً وفعلاً - حتى توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسماً من الشام اثنتين وعشرين سنة .  
وكان كافور الأخشيدى داهية فى السياسة ، شجاعاً حكيماً ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذى آخر غزو جيوش المزمصر حتى مات ، نغلى لها السبيل ، وإن حرمة وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له - إلى هذا - بصر بالعربية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويمجزيهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخياً كثير الهبات والخلم والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذى عرفه التاريخ السياسى ، غير كافور الذى عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فن هؤلاء من صوره فى أقبح الصور ، متأثراً بما لطفه به أبو الطيب من صفات أدوعها كل نقمة وبفضاء ؛ فن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكاتته وفطنته وكفايته ، لنسير فى سيرة شاعرنا - بعد ذلك - سير المحايد غير المحابى أو المتجنى .

\*\*\*

وقدم أبو الطيب مصر فى جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها فى ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ؛ وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كنى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنسايا أن يكن أمانيا  
وختم مدائحهم بقصيدة أنشدها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقى بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحهم وخاتمتها أربعة أشهر وثلث سنين مدح فيها المتنبى كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو ربيع ما مدح به سيف الدولة .

وكانت بنية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء - وسيبين كل ذلك بعد - وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثلها ، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه مبالغة في تعظيمه وابتغاء معونته . ولن ننسى أن نقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بني حمدان في مواضع مختلفة ، وأطنب في مدح أبي المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها ، يقول :

إذا كسب الناس العلى بالندى فإنك تعطي في ندادك المعاليا  
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا  
وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنيء بها كافوراً بدار بناها ، وهي التي أولها :

إنما التهنئات للأكفاء ولن يدني من البعداء  
وأنا منك لا يهنيء عضو بالمرات سائر الأعضاء  
وتلك كانت طريقة التنبي في المدح ، لا يفضل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع المدوح فيما يفتق عليه من صفات طيبات .  
وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشراء  
ويقول المعري : « ولما أنشده أبو الطيب حلف ليلفنه جميع ما في نفسه ، وإنه لأكذب ما يكون إذا حلف » .

ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :  
من الجآذِر في زى الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلآيب  
وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب  
ثم أنشد الشاعر كافوراً فى عيد الأضحى قصيدته الرابعة :  
أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما ينتهيه ، وبدأ بالشكوى الخفية  
والبيننة من مظل أبي المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فضلاً  
بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده ويسأله أن يجزبه فيقول :  
ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس  
المتنبى قد جرح فحزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ،  
وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذم وأمّ ومن يمتّ خير ميم  
وفى هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ،  
كأنما ضاق بكافور روعده ، وفى آخرها يقول :  
ولو كنت أدرى كم حياتى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكيمية مدح فيها كافوراً ، وذلك إثر شقاق  
قال بين أبي المسك وبين الأمير أنوجوز انتهى بالصلح .

على أن حال أبي الطيب لا يطيب لها أن تسير فى طريق واحدة أو تستقر  
على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، ويطنح الكيل فلا يستطيع اصطباراً

وها هو يقول - بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستائة دينار ذهباً صلى أن تلميه عن رجائه - قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفي هذه القصيدة - كما بين من الديوان - يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بني حمدان ، ثم يختهما بمدح كافور لعله بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهرأ واضحاً ، فقد سكت الشاعر عن المدح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وإن ولا يتمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولي شيبياً العقيلي الخارجى عمان والبلقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة ، وفي غمرة من المرح والمرج ألقى شيب ميثاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره فقال قصيدته التي مطلعها :

عدوك منموم بكل لسان وإن كان من أعدائك القمران

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وإنك لو اجد - من قراءة القصيدة - أن الشاعر الذى سكت عن مدح أبي المسك ثمانية أشهر ، ثم قيه في هذه القصيدة ، لم يكن مادحاً ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبّن القتل ويرثيه بدل أن يقتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبي المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصاحبه في أثناء ذلك حصى فقال قصيدته :

( ٤٣ - المتنبي ١ )

ملومكما يحل عن الملام ووقع فعآله فوق الكلام  
وقد عرض فيها بكافور وبخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل  
مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلغت .

وفي أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالجنون ، وقد كان  
روميا وأسروربي في فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه  
صاحبه ، فكان معه في عدة الممالك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد الهمة ،  
ويقول المعري : إنه كان في أيام كافور مقبياً بالقيوم ، أنفة من الأسود وحياء من  
الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن  
أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام ،  
وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها  
هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن القيوم كان أقطاعاً لفاتك ، وإن أبا الطيب  
كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن  
كافوراً في مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك  
والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتكـ مع ما بينه وبين كافور من المنافسةـ  
إلا ليأسه من أبي المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا في جمادى الثانية سنة  
ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وفي هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ،  
وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها ، وبعد أن تعرض لكافور في مدح  
فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مديح كافور كانت خارجة

عن إرادته ، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحميا في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهي :

مُنَى كُن لِي إِنْ الْبِياضُ خَضَابُ      فَيُخْفِي بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافور له في غالب أبياتها ، ويمدحه فيها باثني عشر بيتاً .

ثم بقى أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فإما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لثلا يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافور مدة مقامه في مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافور ، أنه لم يكن يبغى منه مالا نخسب ، بالنأ ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً      فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشَفْلُكَ يَسْلُبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه ، أوفقاً مؤلفة ، ونخسب أن كافوراً لم يدر بذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد ، وإن كان يعده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبي الطيب : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصارك أتباع فن يطيقك؟ » ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوى إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده في قصائده ، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً

معتقولا ، فقد ذكر الشاعر سواد الممدوح في مواضع طرب لها كافور واحتز لها  
وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فهو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرهه  
في قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه ومداومته على  
التذكير بالوحد في لغة يصح أن تسمى توبيخاً ونأيباً ، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته ،  
ثم إن تمدى الشاعر في أشباه ذلك ، ورثائه لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها ،  
وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى ، ومدحه لقاتك - كل أولئك كان سبباً في أن  
يخيب أمل الشاعر في بيته ، وأن يحمل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة التنبؤ  
وعلو نفسه ، يأيان له إلا أن يقول ما يجوز بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ،  
داخلاً في نطاق التوبيخ ، لا الاستطاف والطلب الدليل .

ومما كان له أثر بين في خيبة الشاعر في أمه في كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح  
الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ  
غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً  
أديباً ميالاً لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبغى الفكاك من ذلك  
النطاق المضروب ، فلقد طللما ردد ذلك في قصائده ، وقد طللما تبرم بمطل كافور  
وضاق به ذرعاً . . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً - لما نزل الشاعر بمصر - أنزله داراً ، وأغدق  
عليه من ماله وأغرقه في عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفيه ، فلما طلبه  
الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعده إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين  
أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حبل به ماضيه من حبس وأدعاء



النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القارىء أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد ، ويندد بالمطالمة ، بعد بقائه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مدح كافور - بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة - سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل في شعره صرات عدة ، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفوته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منعاً ، ففي هجاء الشاعر له من بعد ما ينطق بذلك في صراحة وبيان ، وجاء في شرح المعرى وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه في المسير إلى الرملة ليتنجز مآلاً بها ، وأراد أن يعرف رأيه في مسيره فأجابه : لا ، والله ، أطال الله بقاءك ، لا نكلفك المسير ، ولكن نفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : آياته التي أولها :

آخلف لا تكلفني مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذي لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اصطباراً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبي شجاع فاتك ، الذي اتخذه صديقاً مؤنساً طوال مدة بقائه بمصر بعد سكوته عن مدح كافور ، وكانت وفاة فاتك في شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء في شرح المعرى وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على صر الأيام في لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة في المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماح في الرمل ، وحمل الماء على الإبل في الليل من النيل لمشر ليال ، وتزود لمشرين » .

وفي ليلة عيد الأنهى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مرأ ، وعرض يامسأ كه إياه عن الرحيل .  
وقد اتمهز أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن ،  
وهم بأخذ طريقه التي بيئت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبس نزل على عبد  
العزیز بن یوسف القیسی فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته  
التي أولها :

جزى عرباً أمست بلبائس ربها بمسعاتها تقرُّ بذاك عيونها  
وكان الشاعر يعرف عبد العزیز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها :  
لئن مر بالفسطاط عيشى فقد حلا بمعد العزیز المـاجد الطرفین  
ولا ريب في أن كافورا ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد ،  
ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف  
يلاحق بعضه بعضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخليل والرجل ،  
وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجعة الطبر حتى خرج إلى مساء يعرف  
بنحل بعد أيام ، فلقى عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخدم  
وتركهم ، ولما قرب من النقب رأى رائدين لبني سليم على قلوبين ، فركب  
الخليل وطردهما حتى أخذها ، فذكر له أن أهلها أرسلوها رائدين ، فلما  
أمنها استبقاها ورد عليهما متاعهما . وسار متهما حتى توسط بيوت بني سليم  
آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له ، ثم غدا فسار إلى النقع فنزل  
بيادية من معن وسُنْبُس ، وهناك أكرمه عفيف المعنى وذبح له . ثم غدا من عنده  
فسار يومه وبعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِمْي . وهي أرض طيبة خصبة ،  
وبها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطاب له  
المقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبيده - وكان كافور قد كتب لمن حوله

من العرب ووعدهم - فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ،  
وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه في الليل ، والقوم لا يعلمون  
رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس  
الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن  
يخنونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الغلمان فقطعوه ، وفي ذلك العبد  
قال أبو الطيب :

أعددت للغادرين أسيافاً . . . الخ  
ويقول ارتجالاً في هجاء وردان :  
إن تك طيء كانت ثاماً فالأمهم ربيعة أو بنوه  
إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها ،  
فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون  
عليه عيون بحسنى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث  
ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة - وهي أرض بقرب الكوفة - رأى بعض  
عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامة ، فقال : هذه نخلة ،  
فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى  
إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز بنى جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ،  
ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثانى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .  
ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة ، فقد سار  
« على الحلال والأحياء والمفاوز الجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى في شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها :  
ألا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

وقد عدد فيها المواضع التي سر بها في سيره ، ونخر ، وهما كافوراً .. وقد استفرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر - وقد بارح الديار المصرية - أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحمر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نعمة على كافور وكراهة وبغضاء . وقد رثى فاتكا في ثلاث قصائد .  
أنشأ أولها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والسمع بينهما عصى طبع  
وأنشأ ثانيها في الكوفة ، وقد أخرج فتاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :  
يذكرني فاتكا حلمه وشيء من الند فيه اسمه  
وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :  
حتم نحن نساوي النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جنوة مشتعلة من النعمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغي ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه - في كل ذلك - أهله لشماتة الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد - تضمنت أغراضاً أخرى - هجاء كافور

وهي قصيدة العيد التي تقدم ذكرها ، والقصيدة التي وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التي رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التي رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك - لهجاء كافور - ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التي أولها :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً  
ومنها القطعة التي أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه  
ومنها القطعة التي أولها :

أسودَ أما القلب منه فضيَّق نخيب وأما بطنه فرحيب  
وقد نظمت في شوال سنة خمسين وثلثمائة .

ومنها القطعة التي أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفا لأوسعناه إحسانا  
وقد نظمت حينما هم بالرحيل عن مصر .

\*\*\*

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب في أيدي بني بويه ، وقد نشأت دولة بني بويه هذه في أوائل القرن الرابع الهجري ، فتعاون الإخوة الثلاثة : علي والحسن وأحمد على التسلط في فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلثين وثلثمائة . فنجهم الخليفة المستكن بالله الولاية على مابأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بني بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكدم معز الدولة يملك في العراق أسابيع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين . وكان ذلك إيذاناً بالخراب والدمار وانتشار الظلم والظلمة والفوضى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشاركه في الحرب والدفاع عنها .

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلب . وكان أديباً شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضي التنوخي ، وأبو الفرج الأصفهاني وشعراء منهم السري الرفاء ، وكان جواداً مسرفاً كلفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين - وكانت إقامته بالكوفة - وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر . ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجرت بن يزيد العيني ، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح ، يفدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخذ يشتمهم أيما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لوسبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فخطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال . . الخ .

وفي هذه القصيدة أفدح المتنبي غاية الإفداح . وفاض حقه فمر القصيدة وأفعمها .

وجاء في شرح ابن جنى : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال الواحدى مثل ذلك .

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ، ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصد غارة الأعراب من بني كلاب على الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بفسداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة ، فنزل القائد وأنفذ إلى أبي الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده هذه القصيدة فى الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين ، وأول القصيدة :

كدعواك كل يدعى صحة العقل      ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة - قبل أن يبرحها إلى فارس - فى شعبان سنة اثنتين وخمسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقي الوزير المهلبى ، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها ، ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذة سيلاً إلى معز الدولة ، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه فى السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج فعلق بلجام دابته وقد تكأ كأ الناس عليه وأخذ ينشده :

يا شيخ أهل العلم فينا ومن      يلزم أهل العلم توقيره

فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .  
وقد كان الوزير المهلبى راغباً في مدح أبي الطيب ، مفيظاً مُحَنَّقاً من إغفاله إياه ،  
وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأنشده في حضرة المتنبي ، فقال المتنبي :  
« ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .  
ولما كان الوزير المهلبى وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد  
إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .

ولم يشأ المهلبى أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من  
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ،  
وابن سكرة الهاشمي ، والحاتمي . فلم يجبهم المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له في ذلك ،  
فقال : إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غرّوا بذي      ومن ذا يحمّد الداء المضالاً  
ومن يك ذا فم مر مريض      يجد مرأً به الماء الزلالاً

وقولي :

أني كل يوم تحت ضنبي شويعر      ضعيف يقاويني قصير يطاول

إلى آخر الأبيات .

وقولي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص      فهي الشهادة لي بأني كامل

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبى ما حكاه الحاتمي من مناظرته  
لأبي الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحاتمي كذب في ذلك على خصمه وبالغ في دعواه  
إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحاتمي هذا : إنه كان مبغضاً لأهل العلم ،  
وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد ، قرىء عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن  
حمزة البصري ، وابن جنى ، والقاضي أبو الحسن الحمالي .



وشاء الله أن يملود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي  
الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بمخروج أبي الطيب  
من مصر مرافقاً كافوراً ، وبلوغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب  
ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخمسين  
بقصيدته التي مطلعها :

مالنا كأننا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول

وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير الهام . وقد قالها لما  
بلغه خروج سيف الدولة - وهو مريض - للقاء الروم ورجوعهم عن  
غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين  
وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر في شمعان قصيدته :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية  
ومالا وأماناً بخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب في ذي الحجة سنة ثلاث  
 وخمسين قصيدته التي مطلعها :

فهمت الكتاب أبرالكتب فسمعاً لأمر أمير العرب

وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بئداد ، في  
طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بئداد للمرة الثانية في صفر  
سنة أربع وخمسين ، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى سنة وخمسة  
أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي . وبلغ أركان في الشهر  
نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والصور والمساكن ؛ فضرب  
يده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتصلون بي وتصدت رب هذه  
للدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته

إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه في الطريق ، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبي الفضل بن العميد فسلم له ، وطرح له كرسى عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يفتش أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هذا - كما لا يخفى - هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد - وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل ناقماً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخمل ذكره ، حتى إنه ليروي أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجده واجماً - وكانت أخته قد ماتت - فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليغظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمل ذكره ، وقد ورد على نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فرزت فيه بآمالى إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاديشرق بي  
ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه ، ولكن الذى لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملاً من آماله وأمنية من أمنياته المسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولها القصيدة التى مطلعها :

بادِهواك صبرت أم لم تصبرا وبكالك مالم يجر دمعك أو جرى  
وكانت ثانيها القصيدة التى مدحه بها فى النوروز وهى التى أولها :

جاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ وَوَرَّتْ بِالذِي أَرَادَ زِنَادُهُ  
وفيهما يتواضع الشاعر ويتعذر ، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً  
على غيره من المدوحين :

وبعد هذه القصيدة - وقبل القصيدة الثالثة - قطعتان قال الشاعر إحداها حين  
ورد ، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد وأولها :

بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد

وثانيتها قالها يصف مجرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرئ حبَّ الأنس وأطيب ما شمه معطس

ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد  
وهي التي مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد

وما كاد المتنبى - بعد قصيدة الوداع - يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى

جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبى ، فأنبأه ابن العميد به فقال :

مالي وللدليم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف

ما وصلتك به ، فأجاب : بأني ملقي من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ،

وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النهرين ويمطونني عرضاً فانياً ، ولي ضجرات واختيارات

فيموقونني عن مرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكاتب ابن

العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام

والظمن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بني بويه عامة دولة

للأدب العربي ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبى .

وسار المتنبى من أَرَجَان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد

الدولة بأبي عمر الصباغ أخى صاحب كتاب حقائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل

داراً مفروشة ، ولما نفذ غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فتوسط الدار  
واتتهى إلى قرب السرير قبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية  
حملتني إليك ، وأملا وقف بي عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه  
القصائد هي :

أَوْهٍ يَدِيلُ مِنْ قَوْلِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذَكَرَاهَا

وهي التي يعزى بها عضد الدولة في وفاة عمته - وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية  
القصائد هي التي أولها :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَغَانِي بِنْمَزَلَةِ الرِّيسِجِ مِنَ الزَّمَانِ

وفيها يحمن الشاعر إلى العربية التي افتقدها في فارس فما وجد لها أثراً .  
ووصل عضد الدولة الشاعر صلوات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتي ألف درهم ،  
ولما استأذنه في المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير - وقد ظهر  
أثر ذلك في شعر المتنبي .

وأقام أبو الطيب في شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرىء عليه ديوانه ، ثم أنشد  
قصيدة الوداع في شعبان سنة أربع وخمسين ، وفيها يطنب في شكر الأمير ، ويرغب  
في الرجوع إليه ، ويحمن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شرأ سيصيبه في طريقه ، وهي القصيدة  
التي أولها :

فِدَى لِكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَاصِلِكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ

\*\*\*

وكان خروج أبي الطيب من شيراز ، في الثامن من شعبان ، قاصداً ببغداد  
فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلطانه حتى بلغ الأهواز ، فقطع  
بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط  
ونزل بها ، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن

يحتازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق ، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة ، وإلى الجنوب الشرقي من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قنى أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطئ قليلا ، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخا . وأمام دير العاقول « الصافية » وهي على فرسخين جنوب شرقي دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ، وفي ذلك اليوم كتب عنه علي بن حمزة البصرى - على روايته - القصيدتين الأخيرتين في شعره .

وبلغ جبَل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخاً ، فنزل عند أبي نصر الجبلى ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فرجرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقي من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدى خال ضبة بن يزيد الذى هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك فى نيف وثلاثين فارساً راحين وناشين ، ولا ريب أنه كان يتربص لأبى الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا من يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبى الطيب ابنه محسد وغلمانه ، وقد وصفهم من قبل فى قصيدة رثاء فاتك الميية ، وفى قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلمانه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبانصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً » .  
( م ٥ - المتنبى ١ )

ومن المرجح أن اليوم الذي أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جنى بقصيدة أولها :  
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحه الكتب<sup>(١)</sup>  
ورثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بأربعة أبيات رواها الثعالبي في اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذلك اللسان  
ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني ، وحرص عضد الدولة على عقاب  
من قتلوه بقصيدة أولها :

الدهم أخبث والليل أنكد من أن تعيش لأهلها يا أحمد

\*\*\*

وقبل أن نختتم سيرة المتنبي ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ،  
ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حن إليهم في شعره وتشوق للقائهم ،  
وقد ورد في أخبار المتنبي ذكر لابنه محمد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن  
زوجه كانت من الشام .

\*\*\*

ذلكم كان أبو الطيب المتنبي ، الشاعر الذي خُلد مع فنه الخالد وشعره  
الشاعر ، ولا ريب أن القارئ أدرك من مجمل سيرته ما كان يدين به من خلق  
واضح الحدود ، بين العالم ، فقد كان الشاعر - كما يبين في شعره - متكبراً

---

(١) انظر ترجمة ابن جنى .

أياً معجباً بميد المهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجملته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال علي بن حمزة :  
إنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان بنفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كسحه لهم على الموجدة والضعيفة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه - برغم هذا - كان وفياً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفراقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان في كل هذا حزين الطبع ، ثائراً ، يتنزى قلبه الماء وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلاً ، حريصاً على المال ليلبغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولا نحسب الشاعر - ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده - إلا بالنأ المبالغ في مماته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقي بقاء الضاد .

## ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسننا - لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني - أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جنى لديوان المتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو من عاصر ابن جنى ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومُغْتَرَبِهِ ، وما دل عليه شعره من ممتقده إلى مختَم أمره ، ومَقْدَمِهِ على الملك - نصر الله وجهه - بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتله بين دِيرْقَنَةِ ، والنعمانية واقْتِسَامِ عقائله وصفاياها . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بِكِنْدَةَ بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رَوَاءِ ونساج .

واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية<sup>(1)</sup> شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبيّاً ، ثم وقع إلى خير بادية - بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نَزَبَ به ، فنى خبره إلى أمير بعض أطرافها - فأشخص إليه مَنْ قَيَّدَهُ وسار به إلى محبسه ، فبقي يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسمَ به ، في كلته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلامِ      وقد رُ الشهادَةِ قدر الشهودِ  
وفي جودِ كُفكُ ما جُدْتُ لى      بنفسى ولو كنتُ أشقَى نمودِ

(1) كذا في الأصل ويتمل أن تكون « العربية » .



وقد هجاه شعراء وقته ، فقال الضبي :

الزَّمْ مقالَ الشعرِ تَحْظُ بِقَرْبَةٍ  
وعن النبوة ، لا أبالك ، فأنزح  
ترِيحَ دَمًا قد كنت توجبُ سفكهُ  
إن التمتع بالحياة كمن ربح  
فأجابه المتنبي :

أمرى إلى فإن سمحتُ بمهجة  
كرُمتُ على فإن مثلي من سمح  
وهجاه غيره فقال :

أطلتَ يا أيها الشقيُّ دمكُ  
بالمذيان الذي ملأتُ فك  
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على  
قتلك قبل العشاء ما ظلمك  
فأجابه المتنبي :

همكُ في أمرٍ تقلبُ في  
عين دواقٍ من صلبه فلك  
وهمتي في انتضاء ذى شُطب  
أقدُّ يوماً بحده أدمك  
فأخسَ كلييا واقعدُ على ذنب  
وأظلِّ بما بين أليتيك فك

وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفه وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره فتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره  
فإنما يقظات العين كالحلم  
مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تتمتع من سهادٍ أو رقادٍ  
ولا تأمل كرمي تحت الرجام  
فإن لثالث الحالين معنى  
سوى معنى انتباهك والنمام  
مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فا بالنا  
نمافُ ما لابدُ من شربهِ

فهذه الأرواح من جَوْه وهذه الأجسامُ من تُرْبِه  
مذهب الفضاية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :  
فإن يكن المهديُّ مَنْ بان هديُّه فهذا ، وإلا فالهدي ذا ، فما المهدي  
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ  
قَعِيلٌ : تَخَلَّدُ نَفْسَ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرَكَ جَسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ  
فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية . والإنسان  
إذا خلع ربة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزَّ وجلَّ إلى حوله وقوَّته ، وجد  
في الضلالات مجالا واسعا ، وفي البدع والجهالات مناديجَ وفُسحا . ثم جئنا  
إلى حديثه واتجاعه ، ومفارقته الكوفة أصلا ، وتطوافه في أطراف الشام ،  
واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة  
ما يوصل به ، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبى  
دفعات في حال عسره ويسره — أن المتنبى قد مدح بدون العشرة والخمسة من الدراهم  
وأنشد في قوله مصداقا لحكايته :

انصُرْ بِمَجْدِكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا  
قَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَمِلُ وَذَا الْوَدَاعِ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا  
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبى يقول : أوَّلَ شَعْرٍ قَلْتَهُ وَابْيَضَّتْ  
أَيَّامِي بَعْدَهُ ، قَوْلِي :

أَنَا لِأُنْمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَوَائِمِ

عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ  
فإني أعطيتُ بها بدمشق مائة دينار . . . ثم اتصلَ بأبي العشائر ، فأقام  
ما أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنه لا ينشد إلا قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحمله  
وأجابوه إليه . فلما سمع سيف الدولة شعره حكَّم له بالفضل ، وعدَّ ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس . . . وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جادة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، وبستصبحهما في أسفاره ويحجدهما ، فلما قتل توزعت دقاته ، فوقع ديوان البحترى إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إذالم تَنْطُبِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً لِحُجُودِكَ يَكْسُونِي وَشُغْلِكَ يَسْلُبُ  
يَلْتَمِسُ وِلَايَةَ صَيْدَاءَ . فَأَجَابَهُ : لَسْتُ أُجْسِرُ عَلَى تَوَلِّيَتِكَ صَيْدَاءَ ، لِأَنَّكَ  
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، تَحَدِّثُ نَفْسَكَ بِمَا تَحَدِّثُ ؛ فَإِنَّ وَلِيَّتِكَ صَيْدَاءَ ، فَمَنْ  
يَطْبِقُكَ ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :

فَارْمِ بِي حَيْثَا أَرَدْتَ فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِيُّ الرِّوَاءِ  
وَفُوَادِي مِنَ الْمَلُوكِ وَإِنْ كَانِ لِسَانِي يُرَى مِنْ الشُّرَاءِ  
ليس قول ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبي إلى أن قال :  
هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ الْقَنَاءِ وَصَرَ عِي رِجَالِي فِي وَغِي أَنَا حَاضِرُهُ  
وأحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذَرَا عَقَدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَوَادِرِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : في إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأمل حالاً في جنبته بعد أن كان حويلة . وكان سيف الدولة يستحب الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان

مَلَّتِي مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، يَشْكُوهَا أَبَدًا ؛ وَبِهَا فَارَقَهُ حَيْثُ أَنْشَدَهُ :  
وَمَا ائْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ  
وآخِرُهَا :

بَأَى لَفْظٌ يَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا مَجْمٌ  
وَقَالَ فِي أُخْرَى :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهَوْ بِلُحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ !  
فَلَمَّا اتَّهَتْ مَدَّتَهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَقْطَاعِهِ ؛ فَأُذِنَ لَهُ وَامْتَدَّ  
بِاسْطِ عَنَانِهِ إِلَى دِمَشْقَ ، إِلَى أَنْ قَصَدَ مِصْرَ فَأَلَمَّ بِكَافُورٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَقَامَ مَا أَقَامَ ، إِلَّا  
أَنَّ أَوَّلَ شَعْرِهِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نَدَمِهِ لِقِرَاقِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ :  
كُنِي بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا  
حَتَّى اتَّهَى إِلَى قَوْلِهِ :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاكِيَا  
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَوْلَدِينَ بِبِعْدَادِ ، وَخَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ يَتَوَزَّرُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ . أَنَّ  
سَيْفَ الدَّوْلَةِ رَسَمَ لِي التَّوْقِيعَ إِلَى دِيْوَانِ الْبَرِّ بِإِخْرَاجِ الْحَالِ فِيمَا وَصَلَ بِهِ الْمُنْتَبِي ،  
فَخَرَجَتْ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِ سَنِينَ .

ثُمَّ لَمَّا أَنْشَدَ الثَّانِيَةَ كَافُورًا خَرَجَتْ مُوجَّهَةً يَشْتَقُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ . وَأَوَّلُهَا :  
فِرَاقٌ ، وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرُ مَنْمَمٍ وَأُمَّ ، وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرُ مُيَمَّمٍ

وَأَقَامَ عَلَى كَرِهِ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ وَرَدَ فَاتَكَ غَلَامُ الْأَخْشِيدِيِّ مِنَ الْيَوْمِ - وَهِيَ  
وَبَيْتُهُ ، فَنَبَتْ بِهِ وَاجْتَوَاهَا - وَقَادُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَدْخَلِهِ إِلَى مِصْرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ  
جَنِينَةً مُنْعَلَةً بِالذَّهَبِ ؛ فَسَاءَ أَهْلَ مِصْرَ فَاتَكَ الْجُنُونُ . فَلَقِيَهُ الْمُنْتَبِي فِي الْمِيدَانِ  
عَلَى رِقْبَةٍ مِنْ كَافُورٍ فَقَالَ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقَ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ،  
ثم مضى فاتك لسبيله ، فرثاه المتنبي وذمّ كافوراً :

أيموتُ مثل أبي شجاعٍ فاتكٍ      ويعيشُ حاسدُهُ الخِصِي الأوكعُ !

فاحتال بعده في الخلاص من كافور ، فاتته الفرصة في العيد — وكان رسم  
السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتمدّ فيه الخلع والحلانات وأنواع المبار ، لرابطة  
جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثاني اليوم يذكر له من قبل ومن ردّ  
واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برّاً ، وسار ليلته وحمل بفاله  
وجماله وهو لا يالو سيراً وسرّى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع في تيه بني إسرائيل ؛  
إلى أن جازه على الحلل والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والناهل الأواجن ، ونزل  
الكوفة ، وقال يقص حاله :

الأ . كل ماشية الخيزلي      فدأكل ماشية الهيدني

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيه ضربَ القِما      ر : إماً لهذا ، وإما لذا

ثم مدح بالكوفة دليّ بن لشكر وّز ، وأنشده في الميدان ؛ فحمله على فرس  
بمركب ذهب .

وكان السبب في قصّده ، أبا الفضل بن العميد — على ما أخبرني أبو عليّ بن شبيب  
القاشاني — وكان أحد تلامذتي ، ودرس عليّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزّر  
للأصبهيد بالجبل وأبوه أبو القاسم توزّر لوشمكبير بمرجان — عن العاويّ العباسي نديم  
أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه :

أبلغ رسالاتي الشريف ،      وقلّ له : قدك اتنذ أريت في الفلواء

إن المعروف المطوّق الشاشي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور :

\* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب \*

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة

المتنبى إلى أبي الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفى درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبى ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعرى هذا ، فما تكون صلتها لي؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الرىّ خرجتين إلى أَرْجَان ، يجيى بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم . فما حديثه إلى المتنبى بمحصله بأَرْجَان ، فلما حصل المتنبى ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلبى ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرَفَتْ مَكانها جُرَاما ومَلِكوما وبَدَرَ فالعمرأ  
وقال المتنبى : هو جُرَابَا ، وهذه أمكنة قتلتها علما وإنما الخطأ وقع من النقلة !  
فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيويته في كتابه جراما ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجملة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبى مرَّ النفس صمبَ الشكيمة حادًا مجدًّا فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أَعْرُوا به ابن الحجَّاج حتى عاقَ لجامَ دابته فى صينية الكرخ وقد تكاسبَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومن يلزم أهلَ العلمِ توقيرُهُ  
فصبر عليه المتنبى ساكنًا ساكتًا ، إلى أن نَجَزَها ، ثم خلى عنان دابته ، وانصرف المتنبى إلى منزله ، وقد يقن استقرارَ أبى الفضل ابن العميد بأَرْجَان وانتظاره له فاستمدَّ للسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن على بن حمزة البصرى قال : كنت مع المتنبى لما ورد أَرْجَان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون لى ، وقصدتُ

ربّ هذه المدرة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيّب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيولة ، وهو مضطجع في دسّته - فنار من مضجعه واستثبته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير ، فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويّاً ، وطرح له كرسي عليه تحفة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيّب ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذّ عنه ، وأخرج من كفه عُقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

\* بادِ هواك صبرت أو لم تصبرا \*

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤه فضة ، وقال : هذا عوض عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تمب السفر كان يعشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلمه النيروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يُجِر جواباً ، إلى أن حضره النيروز وأنشده مهنتاً ومعتزراً فقال :

هل لمُذرى إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ ، سواد عيني مدادُه

فأخبرني البديهي ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قروود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجواد زمان الديلم وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أفلامٌ بكفك أم رماح وعزمٌ ذاك، أم أجلٌ متاح

قال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار، وكذلك أبو الفضل البلعمي وزير بخاري أعطى المطراني الشاعر على قصيدته التي أولها:

\* لا شُرْب إلا بسير النَّايِ والعودِ \*

خسة عشر ألف دينار، وكذلك خلف صاحب سجستان، أعطى أبا بكر الحنبلي خمسة آلاف دينار على كلمة فيه، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه، وكان يأتيه علوي من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جارياً على التأيد، فأتاه وهو في بعض الثغور، فقال للخازن: أطلق له ما في الخزانة، فبلغ أربعين ألف دينار، فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره في الحرب، وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده في طريقه:

أنت علىٌ وهذه حَلْبُ قد فني الزادُ واتهي الطلبُ

فأطلق له ألف دينار، وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه فأمر له بمخسائة دينار، فجاءه الخازن بالدواة والبياض، فوقع بألني دينار؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علي: الكلام ربح، والخط شهادة، ولا يجوز أن يشهد علي بدون هذا . . . ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودع أبا الفضل بن العميد، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه، فمرّفه ابن العميد فقال المتنبي: مالي وللديلم؟ فقال أبو الفضل عضد الدولة أفضل مني، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به، فأجاب بأني مكفي من هؤلاء الملوك: أقصد الواحد بعد الواحد، وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين، ويعطونني عرضاً فانياً، ولي ضجرات واختيارات، فيعوقونني عن مرادى، فأحتاج



إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ، فسكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث .  
فورد الجواب بأنه مملك مُرادَه في المقام والظن . فسار المتنبي من أَرَجَان ، فلما  
كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ أخى  
أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حدائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشده  
قال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس  
العالي . فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

الأكل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة  
فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كلبته وهي :

فلما أمخنا ركزنا الرما ح حول مكارمنا والعلما

وبثنا نُقبَل أسيفنا ونمسحها من دماء العدا

لِتعلّم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى الفتى

وأنى وفيت وأنى آيت وأنى عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هونا ، يتهددنا المتنبي ! ...

ثم لما نفص غبار السفر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار  
انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقتل الأرض واستوى قائما وقال : شكرتُ  
مطية حملتني إليك ، وأملا وقف بي عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من  
مصر ، وعن علي بن حمدان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السباط  
وقام بيده دَرَج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغاني الشعب طيبا في المغاني

فلما أنشدها وفرغوا من السباط ، حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب  
في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب

بالجروح - وكان اشترى له بخمسين ألف شاة - وبدرّة دراهمها عدلية ، ورداء  
حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسمائة دينار ، ونصلا هندية مرصع  
النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يحدث قصيدة ، إلى أن  
حدث يوم نثر الورد . فدخل عليه والمالك على السرير في قبة يحسّر البصر  
في ملاحظتها . والأتراك ينثرون الورد ، فثل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت  
عيني قاي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت نثره ديما  
كأنما مأنح الهواء به بحر حوى مثل مائه عينا

فجئ على فرس بمركب ، وأليس خيلة ملكية ، وبدرّة بين يديه محمولة .  
وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ المنازل والمناهل  
من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ، فقال : كنت حاضرة ، وقام ابنه يلتمس  
أجرة الفسّال ، فأحد المتنبي إليه النظر بتحديد فقال : ما للصلوك والفسال !  
يحتاج الصلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويُنعّل فرسه ،  
ويغسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلفت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل - وكان من أجواد  
زمان الديلم ، فرّق في يوم واحد بشيذيز قرميسين ، ألفين وخمسمائة قطعة لإبريسم -  
ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشفّقه إلى نظرته فأجابه المتنبي :

يكتب الأنام كتاب ورّد فدت يد كاتبه كل يد

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورة يدرسها ، ويحكم للتنبي  
بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لوارد شعير كذوب البرد أانا به خاطر قد جمّد  
فأقبل بمضفه بعضنا وهم السنابير أكل الغدّد

وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المقتصدُ  
ولو وليَ النقدَ أمثاله لظلتْ خفافيشنا تنتقدُ

فاستخفَ أبو الفتح به وجرهَ برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ، والأميرُ  
أبو سالم ديسم بن شاد كويه على الإمرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام .  
وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيدَ شعره بالغرب فأخبر المتنبي به فقال  
الشعر على قدر البقاع . . . .

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابرُ حواشيه  
وقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس  
مولانا سوى أحد الطائين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما  
فلما أقام مدةً مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأنقاله  
وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف  
بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهوازَ من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي  
ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبلٍ مسّها في الطريق ،  
وصارت الأرض كأنها مطارفُ منشورةٍ فحضرتُهُ أنا وقلت : قد أمت للشيخ  
نُزلاً . فقال المتنبي : إن كان تمّ فآتية . ثم جاءه فأتك الأسدَ بجمع وقال : قدم  
الشيخ في هذه الديار وشرفها بشعره ، والطريق بينه وبين دَيْرُقَنَّةَ خَشِنٌ قد  
احتوشته الصالكة ، وبنو أسدٍ يسرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة  
ويبركل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أتى الله ييدى هذا الأدم  
وذبابَ الجراز الذى أنا متقلده فإنى لا أفكر في مخلوقٍ أقام فأتك ونفض ثوبه  
وجمع من رُتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج حسواً ، سبعين رجلاً  
ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبتته ،  
وحمل فأتك على المتنبي وطعنه في يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا

أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتع خلفه الفرسَ أحدهمَ وجزَّ رأسه ، وصبوا أمواله  
يتقاسمونها بطرُطورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسية ، وإنما كان سيف الدولة  
سلمه إلى النخاسين والرواضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر فأما استعمال  
السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من  
(الفريب المصنف) سوى حرف واحد هو في (كتاب الجهرة) وهو قوله :

يَطْوِي الْمَجْلَحَةَ الْمُقَدُّ<sup>(١)</sup>

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونمت الخليل  
والحرب من خصائصه ؛ وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل الساقط  
الردى كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وهي ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويض  
أه كلامه مع بعض اختصار .

---

(١) من بيت هذا نصه :

وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السَّنَانُ لِطَيْبِي وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةَ الْمُقَدُّ

## شرح المتنبي

وإليك تراجم بعض شرح المتنبي ، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح . . . وقولنا هنا : « شرح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح ؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف ، أى أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة ، وإنما تصدّوا لشرح بعض مشكلات الأبيات . أو لقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي ، مثل أبى السعادات بن الشجرى ، وابن فورّجه ، وأبى الفضل العروضى . وابن وكيع ، والصاحب ابن عباد ، وأبى بكر الخوارزمى . ولم تتبسط فى هذه التراجم . ولم نهج فيها منهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتمتع بأسمائهم فى هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المحظوظ ، ومن ثم لم نعد أن نسرّد لك فى هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرفا من أخباره وسيرته وتواليفه ومكاته العلمية وآراء الناس فيه .

## ابن جنى

أظننى فى غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جنى هو أول من شرح المتنبي ، فله بذلك فضل سبق ، ومن ثمّ كان حقيقا بأن نبدأ بترجمته . . .

\*\*\*

جاء فى معجم الأدباء لياقوت زوى وفيات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه :  
أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى : كان أبوه جنى مملوكا روميا لسليمان  
ابن فهد بن أحمد الأزدي الموصلى - أقول : فهو إذن من أبناء يونان ، لامن  
( ٦٢ - المتنبي ١ )

أبناء عدنان .. وبعبارة أخرى : هو من أبناء الموالى ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ،  
ونوابغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فإن أصبح بلا نسبٍ فَعَلِمِي في الوري نَسْبِي  
على أني أوَّلُ إلى قرومٍ سادَةٍ نُجِبُ  
قياصرةٌ إذا تَطَقُّوا أرمَ الدهرُ ذو الخُطْبِ (١)  
أولاك دَعَا النبي لَهْمُ كَفَى شَرَفًا دُعَاه نَبِي

ولد ابن جني بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة ، وتوفى يوم الجمعة لليلتين  
بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح مُتَمَتِّعًا بإحدى عينيه ، وما أظرفه  
حين يقول لأحد أصدقائه :

صدودك عَنِّي ولا ذَنْبَ لِي دَلِيلٌ عَلَى نَبِيَّةٍ فَاسِدِهِ  
فَقَدْ وَحْيَاتِكَ مِمَّا بَكَيْتُ خَشِيْتُ عَلَى عَيْنِي الْوَاحِدِهِ  
وَلَوْلَا مَخَافَةُ الْأَرَاكِ لَمَا كَانَ فِي تَزْكَا فَائِدِهِ

وَحَدَّثُوا أَنَّهُ صَحِبَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ (٢) أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كله فما ترمم : أى مارد جوابا  
وما ترمم فلان بحرف : أى ما نطق ، وفي حديث عائشة رضی الله عنها - : كان لآل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج - أى رسول الله - لعب - أى  
الوحش - وجاء وذهب ، فإذا جاء ربح ولم يترمم مادم في البيت : أى سكن ولم يتحرك  
(٢) كان أبو علي الفارسي إمام وقته في علم النحو ولد سنة ٢٨٨ وتوفى سنة ٣٧٧  
ببغداد : وأقام بجلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ وجرت بينه  
وبين أبي الطيب المتنبى مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن  
بويه ، وحظي لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو  
وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو . يحكى أنه كان يوما في ميدان  
شيراز يسير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا؟

حبيته له : أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقَرَىء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : تَزَبَّبتَ وأنت حَصِرِم . . . فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ؛ فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء . . . وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبى كثيراً ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنفةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبى يقول في أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . . . وسئل المتنبى بشيراز عن قوله :

وكان ابناً عُدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَا أَيُّ حُرُوفِ انِّيْسِيَانِ<sup>(١)</sup>

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره . . . وكان لابن جني من الولد عليّ وعالٍ وعلاء ، وكلهم أدياء فضلاء قد خرَّجهم والدهم وحسن خطوطهم ، فهم معدودون في الصحيحى الضبط وحسن الخط . . . ولابن جني شعر - ولكنه كسائر شعر العلماء - فنه :

---

فقال أبو علي : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيدياً ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعته و قدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو علي وقال له : هذا الجواب ميداني . . . ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه . . . وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . . . (١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التي مطلعها :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الريبع من الزمان

غَرَالٌ غَيْرُ وَحْشِيَّةٍ حَكَى الْوَحْشِيُّ مُقْلَتَهُ  
رَأَاهُ الْوَرْدُ بِحَنِي الْوَرِّ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حُلَّتَهُ  
وَوَشَّمَ بِأَنْفِهِ الرَّيْحَانَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ  
وَذَاقَتْ رِيحَهُ الصَّبَاءَ ۚ فَاخْتَلَسَتْهُ نَكْهَتَهُ<sup>(١)</sup>

وقال الباخري في دمية القصر : ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ،  
وشرح المشكلات ، ماله ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، أو يسبق ذلك  
الجريض<sup>(٢)</sup> حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها :

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتْ نَضْرَةَ الْأَدَبِ  
وَصَوَّحَتْ بِمَدْرِيَّةٍ دَوْحَةَ السُّكْتِ<sup>(٣)</sup>  
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجَلِيِّ إِذَا انْشَمَبَتْ  
قَلْبًا جَمِيمًا وَعَزْمًا غَيْرَ مُنْشَمَبِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ حَلَبْتَ لَمَعْرِى الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ  
تَمَطُّوْ بِهَيْبَةِ لَأَوَانٍ وَلَا نَيْسَبِ<sup>(٥)</sup>

(١) الصبَاء من أسماء الخمر ، والنكهة رائحة الفم .

(٢) الريق الذى يفض به

(٣) صوح النبات ينس وتشقق ، والدوحة الشجرة العظيمة .

(٤) الجلى الأمر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر ، وقلب جميع ورأى جميع  
ويجتمع : شديد غير منتشر ، ومنشعب متفرق .

(٥) يقال حلب الدهر أشطره ، مارس الأيام وخبرها ، والمطو الجد والنجاء  
في السير ، ووان : متمهل ، ونصب : تمب .



مَنْ لِهَوَاجِلٍ يُحْيِي مَيِّتَ أَرْضِهَا  
بِكُلِّ جَائِلَةٍ التَّصْدِيرِ وَالْحَقَبِ (١)  
قَبَاءَ خَوْصَاءَ مُحَمَّدٍ عَلَاتِهَا  
تَنْبُو عَرِيكُهَا بِالْحَلْسِ وَالْقَتَبِ (٢)  
أَمْ مِنْ لِيْبِضِ الطَّبَا تَوَكَّاهُنَّ دَمٌ  
أَمْ مِنْ لِسْمِرِ الْقَنَا وَالزَّغْفِ وَالْيَلْبِ (٣)  
أَمْ لِلْجَحَافِلِ يَذُكِي جَمْرَ جَاحِيهَا  
حَتَّى يَقْرَبَهَا مِنْ جَاحِمِ اللَّهَبِ (٤)  
أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لَتَمْرُهَا  
بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخَطَبِ  
أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحَمَّرًا سَرَابِلَهَا  
مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوفَةُ الشُّهْبِ (٥)  
أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءِ عَاطِفَةٌ  
يُؤَاصِلُ الْكُرَّ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ (٦)

- (١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحقب : أى ناقة هذه صفتها ويقال صدر بعيره إذا شده بجبل من حزامه إلى كركرته ، والحقب : جبل يشد به الرحل فى بطنه .
- (٢) القباء من الخيل : الخيصة البطن . والأقب الضامر البطن : والحوصاء الغائرة العينين ، والحلس : كساء تجلجل به الدابة بوضع تحت البرذعة .
- (٣) القبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى السمع والمطر إذا نزل ، وسمر القنا : الرماح ، والزغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية (٤) الجحفل الجيش العظيم .
- (٥) محمراً سرايلها : فالسرايل : الثياب . يقول : مضرجة بالدماء
- (٦) المناهل موارد الماء . والترب : طلب الماء ليلاً .

أَمْ لِلْقَسَاطِلِ تَعَمُّهُ الْحُزُونُ بِهَا  
أَمْ مِنْ لِيْضَمِّمِ الْهَزْبِ الضَّيْمِ الْحَرْبِ (١)  
أَمْ لِلْمُلُوكِ يُحْلِيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَاسِ فِي أْبْرَادِهَا الْقَشْبِ (٢)  
بَاتَتْ وَسَادِي أَطْرَابُ تُوْرُفِي لَمَّا غَدَوْتَ لَقِي فِي قَبْضَةِ الثُّوبِ (٣)  
عُمِّرْتَ خِدْنَ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدْنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِّ  
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ سَلَامُ الْمَجْدِ مَا قَلِقْتَ  
خُوصُ الرَّكَّابِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعْبِ

ومن شعر ابن جني :

رَأَيْتُ مَحَاسِنَ ضِحِكِ الرَّيِّعِ أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابِ  
وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لِمَّتِي فَلَمْ لَا أَبْكِي رَيِّعَ الشَّبَابِ  
أَأَشْرَبُ فِي الْكَاسِ - كَلَّا وَحَاشَا - لِأَبْصَرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابِ

ومنه :

تَحَبَّبْتُ أَوْ تَذَرَّعْتُ أَوْ تَأَبَّيْتُ فَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ حُبًّا  
أَخَذْتُ بِيَمَضٍ حُبِّكَ كُلِّ قَلْبِي فَإِنْ رُمْتَ الْمَزِيدَ فَهَاتِ قَلْبًا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي : قال لنا

(١) القساطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرأس في حومة الوغى ، والضغم  
العض أو النهش ، والهزبر الضيغم الحرب : الأسد .

(٢) تماس : مجذف إحدى التامين . أى تماس وتتمايل

(٣) اللقي ، الشيء الملقى في الطريق ونحوه .

أبوزكريا : رأيت بخط ابن جنى : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال : قرأ على أعرابي « طَيْبِي لَهُمْ وَحُسْنُ مَأْب » فقلت « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فلما طال على قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابي « طِي طِي » أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشدّ محافظة هذا البدوي عليها حتى أنه استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو الكلبي وقد أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نعيمةً والدنيا مفرقةً وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ  
 فقيل له : لا يقال مزعوج ، إنما يقال مُزَعَجٌ ، فجفا ذلك عليه ، وقال يهجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرأ يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنّت وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبد الله من حُمَي	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضي أرض لا تُشبُّ بها	نار الجوس ولا تبنى بها البيع

قال ابن جنى : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابي عَقِيلِي جَوْثِي تَمِيئِي ، يقال له محمد بن العسّافِ الشَّجَرِي ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً - شفقاً بفصاحته والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زندي فطنته : كيف تقول : « أكرم أخوك أباك » فقال كذلك ، فقلت له : أفتقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبدأ فقلت : فكيف تقول « أكرمنى أبوك » فقال كذاك ، قلت :  
« أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَقُولُ « أَبوك » أبدأ ؟ فقال « إِنْ شِ هَذَا ؟ اِخْتَلَفْتَ جِهَتَا  
الْكَلَامِ » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام . إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان  
في الأول مفعولاً ! فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم .

أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل  
ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقَ النَّهَارِ » فقلت له : ما أردت ؟  
قال أردت سابقَ النهارِ ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن  
أى أقوى وأفصح ، ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها :  
أنهم قد يراعون من معانيهم ما ينسبه إليهم ونحوه عليهم ، والثاني : أنهم قد ينطقون  
بالشيء وفي أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده  
قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشيء  
وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أى  
أقوى وأعرب .

قال ابن جنيّ : وسألت الشجرى صاحبتنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له :  
كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت :  
فكيف تقول « اليوم إن زيدا قائم ؟ » فأبأها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما  
قبلها ، لأنها إنما تأتي أبدأ مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها  
قلت له يوماً ولابن عمّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنّاً وألين  
لساناً : كيف تحقران « حمراء » فقالا : حميراء ، قلت : فصفراء قالوا : « صفيراء »  
قلت : « فسوداء » قالوا : « سويداء » واستمرت بهما في نحو هذا ، فلما استويا  
عليه دست بين ذلك « علباء » فقلت « فعلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته  
فقال : « عليباء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً

فقال إله « عَلَيَّي » وأشم الفتحة دائماً للحركة في الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : يا أبا عبد الله ، كيف تجمع مُحرَّنجماً - وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَراجم أم يصححُ فيقول محرَّنجماتٌ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصدّق ، وذلك أن المحرَّنجم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحسِّسٍ لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرَّنجمةٍ وأخرى مُحرَّنجمةً ، وأخرى محرَّنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال - وقد أحس الموضوع - « يا هذا هكذا أقول : مررت بإبل محرَّنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبتة استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لِصَاقِبَتِها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيها لاسيما إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعتدُّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتتزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب<sup>(١)</sup> ، وضَيون<sup>(٢)</sup> ، وهزَ نَبْران<sup>(٣)</sup> ، ودودري<sup>(٤)</sup> ، وقرنفل ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاجه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد للنوى فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال : دكانين قلت : فقَرطاناً ، قال : قراطين ، قلت : فعثمان ، قال : عثمانون ، قلت ، هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأبأها ألبتة وقال : « إيش ذا ؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لفته ؟ والله لا أقولها أبداً . . . استوحش من تكسير العلم لكثراً له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان باجهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان ...

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دوية تشبهه (٣) يقال : رجل هزبر وهزبران ، أى حديد وثاب (٤) الذي يذهب ويحى من غير حاجة .

ونكتفي بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جنى شارح المتنبي ، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة فريد الرفاعي .

## الواحدى

وهذا الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى أحد شراح المتنبي هو - كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما - الإمام المصنف المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتلمذ لأبى الفضل العروضى<sup>(١)</sup> ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القهندزى ، ولازم مجالس الثعلبى<sup>(٢)</sup> فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غزوه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم . قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحد عالمنا المعروف بالواحدى

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق أحمد بن محمد لإبراهيم الثعالبى النيسابورى المفسر المشهور : كان أوحده زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعالبى والثعالبى وهو لقب له وليس بنسب ، توفى سنة ٤٢٧ هـ وهو - طبعا - غير الثعالبى صاحب يقيمه الدهر

قال ومن غرر شعره :

أيا قادمًا من طوس أهلا ومرحبا  
لعمري لئن أحيا قدومك مدنفًا  
يَظَلُّ أُسِيرَ الْوَجْدِ نَهَبَ صَبَابَةٍ  
فكم زفرة قد جتتها لو زفرتها  
وكم لوعة فاسيت يوم تركتني  
وعادَ النهارُ الطلق أسودًا مُظْلِمًا  
وأصبح حُسن الصبر عني ظاعنًا  
فأقسيم لو أبصرت طرفي باكيًا  
مسالكُ لهو سدها الوجد والجوى  
فداؤك رُوحى يا ابن أكرم والِدِ  
وأنشدله :

شوهت الدنيا وأبدت عوارها  
وضاقت على الأرض بالرحب والسعة  
وأظلم في عيني ضياءُ نهارها  
لتوديع من قد بان عني بأربعة  
فؤادى وعيشى والمسرة والكرى  
فإن عاد عاد الكلِّ والأنس والدعة

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً  
فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمنا هذا وتسعه سنو عمري  
على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - وله الحمد - حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه في هذا الباب من مَظَانِّه ، وأخذته من معادِنه ، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله (١) . وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخْبِجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابنى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتبه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — قلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أجزم الأدب بجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من كُتُب ، ثم لم أُعِيبْ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

---

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النمشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى والطائفة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .



وأما النحو فإني لما كنت في مبيعة صباى وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس في ، وتوسم الخير لدى ، فتجرد لتخريجي ، وصرف وكده إلى تأديبي ، ولم يدخر عنى شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل ، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحد دهره ، وبقعة عصره ، في علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة الإعراب . ولقد صحبتته مدة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرماً ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيرى ، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي ، وكانا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه<sup>(١)</sup> وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله وكان خير العلماء

---

(١) هو أبو علي الفارسي .

بل بحرم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل نغرم ، وأوحد الأمة  
بل صدرم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذى  
زفت به المطايا فى السهل والأوعار وسارت به الفلك فى البحار ، وهبت هبوب  
الريح فى الأقطار .

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ  
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وأصفت عليه كافة الأمة على اختلاف نِحْلِهِمْ ، وأقرؤوا له بالفضيلة فى  
تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فن أدركه وَصَحْبُهُ عَلِمَ أَنَّهُ منقطع القرين ،  
ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدلَّ بها على أنه كان بحراً لا يُنَزَفُ  
وَعَمراً لا يُسَبَّرُ ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، منها تفسيره  
الكبيرُ وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرها ، ولو أثبت المشايخ الذين  
أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطأتها  
طال الخطب ومَلَّ الناظرُ ، وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى  
الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نقتل على غيرى إمامه ، ونعيت عليه إغفاله ،  
لا يدع لمن تأمله حارةً فى صدره حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين ، إلى  
نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون المتأمل مرئاضاً فى صنعة الأدب والنحو ،  
مهتدياً بطرق الحجاج ، مارحاً فى سلوك المنهاج ، فأما الجذع المرخى من المقتبس ،  
والرييض الكرز من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كراولٍ غلقاً ضاع عنه  
المفتاح ؛ ومضطبط فى ظلماء ليل خانة المصباح :

يُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَا بِي كَعَيْنَيْنِ يُرِيدُ نِكَاحَ بَكْرٍ  
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مُجَالَةٌ الْوَقْتِ ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ،  
وَتَذَكُّرَةٌ يَسْتَصْحِبُهَا الرَّجُلُ حَيْثُ حَلَّ وَارْتَحَلَ وَإِنْ أُنْسِيَ الْأَجَلَ ،

وأرْحَى الطَوْلُ ، وأنظَرَنِي اللَّيْلُ والنَّهَارُ ، حتى يتلَفَعُ بِالْمَشِيبِ العِذَارُ أُرْدَفْتَهُ  
بكِتَابِ أَنْضِجُهُ بنارِ الرُّويَةِ ، وأرَدَّدَهُ على رُواقِ الفِكرَةِ ، وأضْمَنَهُ مِجَابِ  
مَا كَتَبْتَهُ ، ولطائف ما جمعتهُ ، وعلى الله المَعولُ في تيسير ما رُمْتُ ، وله الحَمْدُ كما  
قَعَدْتُ أو قَتُّ .

### ابن فورجه

قال ياقوت - ونقله السيوطي في بنية الوعاة - : هو محمد بن حمد بن محمد بن  
عبد الله بن محمود بن فورجه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح  
الجيم - البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ،  
والتجني على ابن جنى ، يرد فيه على أبي الفتح بن جنى في شرح شعر المتنبي ، ومولده  
في ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،  
ومن شعره :

أيها القتلى بعيني رفقاً إنما يستحق ذا من قلاكا  
أكثر اللأمون فيك عتابي أنا واللأمون فيك فداكا  
إن لي غيرة عليك من اسمي إنه دائماً يقبل فاكا

هذا وقد ضبطه ابن شاكر صاحب فوات الوفيات . هكذا : ابن فوزجَه فقال :  
بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاي وتشديد الجيم .

## ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدررة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب لمح الملح ، جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس . وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجادة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسائة وبالع أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الرواية ومن شعره في ألثغ :

وشادِنِ في لسانه عُقْدٌ حَلَّتْ عقودي وأوهنت جَلدي  
عابوه جهلاً بها ققلت لم أما سمِعتم بالنفث في العقد  
وله من قصيدة :

فلا تُنفدن العمر في طلب الصبا ولا تشقين يوماً بسُفدى ولا نعم  
ولا تندبن أطلال مية باللوى ولا تسفنن ماء الشؤون على رسم  
فإن قُصارَى المرء إدراك حاجة ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يامن رمى النار في فؤادي وأنبط العين بالبكاء  
إسمك تصحيفه بقلبي وفي ثناياك برء دأى  
أردد سلامي فإن نفسي لم يبق منها سوى النماء

وارفق بصب أتى ذليلاً قد مزج اليأس بالرجاء

أنهك في الهوى التجنى فصار في رقة الهواء

وله شعر كثير ، وتوفى بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسة رحمة

الله تعالى .

## ابن الإفليلي

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفليلي<sup>(١)</sup> إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام عرضاً كذلك ، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع والزوابع إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفليلي فإنه من نفسى مكين ، وحببه بفؤادى دخيل ، على أنه متحامل على ، ومنتسب إلى . . . فقال ابن بسام قفلا عن ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفليلي الذي به عرض قد بذأ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في أشمار الجاهلية والإسلام والمشاركة في بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكباً رأسه في الخطأ البيّن إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعديم علم العروض ومعرفة مع احتياجه إليه وكال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ، وكان لحق الفتنة البربرية ومضى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء الكاثنين بقرطبة من آل سحود إلى أن نال الجاه ؛ واستكتبه محمد بن

(١) الإفليلي - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء - المشتاة من تحتها وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفليل وهي قرية بالشام كان أصله منها .

عبد الرحمن المستكنى بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه نائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم ينجح في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شرّحه ديوان المتنبي لاغير ، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام الروانى فى جملة من تتبع من الأطباء فى وقته كابن عاصم والسامى والحمار وغيرهم ، وطلب ابن الإفيلى وسجن بالمطيق ، ثم أطلق . . . . . وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذاكراً للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن المنيب ، صافى الضمير ، وكانت ولادته فى شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفى يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن فى صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

## الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانى . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأعموبة العصر فى فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبى الحسين أحمد بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجل فى اللغة ، وأخذ عن أبى الفضل بن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبي فى كتابه اليتيمة فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله فى العلم والأدب وجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرد به بالغايات فى المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدُ وضمي يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه . . . ثم شرع فى شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب  
ودرج من وكرها ، ورضع أفاريق درّها ، وورثها عن آباءه كما قال أبو سعيد الرستمي  
في حقه :

وَرثَ الوزارةَ كِباراً عن كِبارِ موصولةَ الإسنادِ بالإسنادِ  
يروى عن العباس عبيد وزا رته وإسماعيل عن عباد  
وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد  
فقبل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقى  
صلماً عليه .

وذكر أبو إسحاق الصابي في كتاب التاجي : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه  
صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب  
واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده ، وكان أولاً وزير مؤيد الدولة  
أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد أبي الفتح على  
بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين  
وثلاثمائة بمرجان استولى على مملكته أخوه نضر الدولة أبو الحسن على فأقر الصاحب  
على وزارته ، وكان مبعجلاً عنده ومعظماً نافذ الأمر ، وأشدّه أبو القاسم الزعفراني  
يوماً أبياتاً نونية من جملتها :

أيا من عطاياه تُهدى الفِئى إلى راحتيّ من نأى أودنا  
كسوت المقيمين والزائرِين كِسى لم نَحَلْ مِثلها ممكنا  
وحاشيةُ الدار يمشون في صُنوفٍ من الخِزِّ إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار من بن زائدة الشيباني أن رجلاً قال له : احلني  
أيها الأمير ، فأمر له بناق و فرس و بقل و حمار و جارية ، ثم قال : لو علمت أن الله  
سبحانه و تعالى خلق مركوباً غير هذا لملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخِزِّ بِجِبَّةٍ  
و قميص ، و عمامة ، و درّاعة ، و سراويل ، و منديل ، و مطرف ، و رداء ، و كساء ،

وجورب ، وكيس ، ولو علنا لباساً آخر يتخذ من المزل لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بِمُرِّ اللدائح ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلة مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها : في حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؛ وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فقال الصاحب : إخشوا فيها ولا تكلمون ، ونواذره كثيرة ، وصنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبته على حروف المعجم أكثر فيه الألفاظ وقيل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فنه قوله :

وشادِنِ جَمالِهِ      تَمَصَّرُ عَنْهُ صِفَتِي  
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي      فَعَلْتُ قَبْلَ شَفَتِي

وله في رقة الخمر :

رَقَ الرُّجَاجُ وَرَاقَتِ الخَمْرُ      وَنَشَابِها فَتَشَاكَلِ الأَمْرُ  
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ      وَكَأَنَّمَا قَدْحٌ وَلَا خَمْرُ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي : أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السري استدعيه ليفوض إليه وزارته وتدير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .



قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان ، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالرّى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزیه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني : رأيت في المنام قائلاً يقول لي لِمَ لَمْ تَرِثَ الصَّاحِبَ مَعَ فَضْلِكَ وَشَرِّكَ ؟ قُلْتَ أَتَجَمَّنِي كَثْرَةُ مَحَاسِنِهِ فَلَمْ أُذِرْ بِمَا أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَقَدْ خَفْتُ أَنْ أَقْصِرَ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِي الْإِسْتِيفَاءَ لَهَا ، قَالَ أَجْزَ مَا أَقُولُهُ قُلْتَ قَل ، قَالَ :

\* ثَوَى الْجُودَ وَالسَّكَافِي مَعًا فِي خَفِيْرَةِ \*

\* لِيَأْنَسَ كُلَّ مِنْهُمَا بِأَخِيهِ \* : قُلْتَ :

\* مَا أَصْطَلَجَا حَتِيْنِ ثُمَّ تَعَانَقَا \* : قَالَ :

\* ضَجِيْعِيْنَ فِي لَحْدِ بِيَابِ دَزِيْهِ \* : قُلْتَ :

\* إِذَا ارْتَحَلَ الثَّوَوْنَ عَنِ مَسْتَقْرَمِ \* : قَالَ :

\* أَقْلَمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ \* : قُلْتَ :

ذكر هذا البياسي في حسانته ، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الرّى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه نخر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى نخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، ورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله :

أَبْعَدَ ابْنَ عِبَادٍ يَهْشُ إِلَى الشَّرِّى أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُتَّاحُ جَوَادُ

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمُوتِهِ فَمَا لَهَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد نجر الدولة ووالد عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبى ، وتوفى نجر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطلاقى - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف - وبعد الألف الثانية نون : هذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوین ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوین ، لا طالقان خراسان .

### أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - وهو كما قال ابن خلكان - ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ - قال ابن خلكان : كان أحد الشعراء المجيذين الكبار المشاهير ، وكان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرّجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه : قل للصاحب على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد أئزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرّفه وانبسط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه فن ذلك قوله :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَّرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا  
مُقِيمًا وَإِنْ أُعْصِرْتَ زُرْتَ لِمَا  
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ  
أَغْبَّ وَإِنْ زَادَ الضَّيَاءُ أَقَامَا

ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ يُحَاوِلُ صِرْفَ الرَّاحِ يَشْرِبُهَا  
وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسَا  
الْكَا سُ وَالْكَيْسُ لَمْ يُقْضَ امْتَلَاؤُهَا  
فَفَرَّغَ الْكَيْسَ حَتَّى تَمَلَأَ الْكَا سَا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :

أَبُو بَكْرٍ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ  
مَوَدَّتُهُ إِذَا دَامَتْ نَحْلِيلٍ فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ

وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها في منتصف شهر رمضان  
سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه : أنه توفي سنة ثلاث  
وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راض فعمل فيه :

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أُخْجَلَ الدِّيَمَاءُ  
فَإِنَّهُ خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ لَا بُحْلًا وَلَا كَرَمًا  
فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشده :

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ خِرَاسَانَ قَافِلٍ أَمَاتَ خَوَارِزْمِيكُمْ قِيلَ لِي نَعَمْ  
قَلَّتْ أَكْتَبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ أَلَا لَعَنَّ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ

## العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدى : أديب نحوى لفوى مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أدييات . . . مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى يتولى ديوان الترتيب ، وعزل عنه — كما ذكر الروذبارى — فى سنة ثلاث عشرة فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الدهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة فى عشرة مجلدات ، رأيته بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرىء عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب الإرشاد إلى حلّ المنظوم والهداية إلى نظم المنثور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدلى مقرأ عبادة إلا القرافة  
لئن لم يرحم المولى اجتهادى وقلة ناصرى لم ألق رافة

## ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو - كما قال ابن خلكان والثعلبي - أبو محمد الحسن ابن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسي . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يَبَيِّنُ فيه سرقات أبي الطيب ، سماه المنصف ، وكان في لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق      فما يصبو إليك ولا يتوق  
جفاؤك كان عنك لنا عزاء      وقد يُسَلِّي عن الولد العقوق  
وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودّنا      باق ونحن على النوى أحباب  
كم قاطع للوصل يؤمن وده      ومواصل بوداده يرتاب  
وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي      لا فرّج الله عنه  
كم لنته في هواه      فقال لا بد منه

وقد ألمّ بهذا المعنى بعضهم فقال :

لا رعى الله عزيمة ضمنت لي      سلوة القلب والتصبر عنه  
ما وفت غير ساعة ثم عادت      مثل قلبي تقول لا بد منه

ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستمر جلياً على هجرانهم      فقواك تضعف عن صلود دائم  
واعلم بأنك إن رجعت إليهم      طوعاً وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد  
ابن مقلد القضاعى الشيرزى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه  
بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همتى بالحمول      وصدّت عن الرتب العالیه  
وما جهت طعم طيب الملا      ولكنها تؤثر العافیة  
فأنشدنى لنفسه على البديهة :

بقدر الصمود يكون الهبوط      فإياك والرتب العالیه  
وكن فى مكان إذا ما سقطت      تقوم ورجلاك فى العافیة  
ولابن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه      ولم يكن قبل ذا رآه  
فقال لى : لو هويت هذا      ما لامك الناس فى هواه  
قل لى إلى من عدلت عنه      فليس أهل الموى سواه  
فظل من حيث ليس يدرى      يأمر بالحب من نهاه

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين  
محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيمى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلى      لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ،  
ولابن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى  
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بمدينة تَنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى  
فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . ووَكيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون  
الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف  
وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقى ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من

أهل القرآن والفقهاء والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، منها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المسكيبيل والموازن وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء ، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بمسكن مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتبسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تبس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

### الخطيب التبريزي

هو أبو بكر يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرها ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري . وأبى القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبى محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادي وأبى القاسم عبد الله بن علي وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خير بن

المعري، يقول: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان يَمْزِيءُ الطريقة، وذكر عنه أشياء. ثم قال: وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال، ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يتقله، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة: منها شرح الحامسة وكتاب شرح ديوان المتنبي، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري، وشرح المعاني السبع وشرح المفضليات، وله تهذيب غريب الحديث، وتهذيب إصلاح المنطق، وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي، وكتاب في إعراب القرآن سماه الملخص رأيت في أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحامسة ثلاث أكبر وأوسط وأصغر، وله غير ذلك من التأليف، ودرس الأدب بالمدسة النظامية ببغداد، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري: أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأترفيها بالبلل، وهي بيمض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور، وكان الخطيب قد دخل مصر في عنفوان شبابه قرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى المات.

وكان يَرَوِي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محيريز البغدادى جملة من شعره، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعي في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر أشعاره:

خليلى ما أحلى صبوحى بدجلة وأطيب منه بالصرارة غبوق



شربت على الماءين من ماء كرمة فكانا كبر ذائب وعقيق  
على قرى أفق وأرض تقابلا فمن شائق حلوهوى ومشوق  
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى  
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى فقال نعم هذا أخى وشقيقى  
وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمد من معنى  
قول أبى بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن البانة الأندلسى فى مدح المعتمد  
ابن عباد صاحب إشبيلية من جملة قصيدة طويلة :

سألت أحاهُ البحر عنه فقال لى شقيقى إلا أنه الساكن العذب  
ما كفاه أنه جملة شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال : الساكن العذب والبحر  
مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة :

بكت عند توديعى فما علم الركب أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب  
وتابعها سرب وإنى لخطي؟ نجوم الدياجى لا يقال لها سرب  
وهى قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمن يَسأم من الأسفار يوماً فإنى قد سئمت من المقام  
أقنا بالمرافى على رجال لثام ينتمون إلى لثام  
وقال الخطيب : كتب إلى العميد الفياض :

قل ليحيى بن على والأفاويل فنون  
غير أنى لست من يكذبُ فيها ويخون  
أنت عين الفضل إن مد إلى الفضل عيون  
أنت من عز به الفضل وقد كاد يهون  
فقت من كان واتعبت لعمرى من يكون  
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون  
وإذا قيس بك الكل فصحو ودجون

وإذا فقتش عنهم فالأحاديث شجون  
قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون  
ووزناً بك من كان فثقل وقبون  
أين شيبان وأزد كل ما زال ظنون  
إنك الأصل ومن ذو نك في العلم غصون  
إنك البحر وأعيان ذوى الفضل عيون  
ليس كالسيف وإن حلل في الحكم جنون  
ليس كالقدح الملقى ليس كالبيت الحجون  
ليس كجلدة وإن آ نسا هزل وبجون  
ليس في الحسن سواء أبدأ بيض وجون  
ليس كالأبكار في اللطف وإن راققتك عون  
قلت للحساد كونوا كيف شئتم أن تكونوا  
سبق الزائد بالفضل فغزوا أو فمؤنوا  
دمت ما خالف في الحد حراك وسكون  
وتلقاك المنى ما قر بالظير الوكون  
إن وددي لك عما يصم الود مصون  
ليس لي فيه ظهور تتنافى أو بطون  
بل لقلبي فيك صب بالمصافاة يكون  
غلق الرهن وقد تفسق في الحب رهون  
ومن الناس أمين في هواه وخون

وقال ابن الجواليقي : قال لنال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى

العميد الفياض المذكور هذه الأبيات :

قل للعميد أخى العلاء الفياض أنا قطرة من بحرك الفياض

شرفتي ورفعت ذكرى بالذي أبستنيه من الثنا الفضاض  
أبستني حل القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض  
إني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ أبرزته من خاطر مراض  
وبخاطري عن مثل ذلك توقف ما إن يكاد يجود بالأباض  
العارض البحر الغطاميطُ جدول أم درة تنفاس بالرضاض  
يا فارس النظم المرصع جوهرًا والنثر يكشف غمة الأمراض  
يرى به الفرض البعيد وقد غدا فكرى يقصر عن مدى الأغراض  
لا تلمني من ثنائك موجياً حقاً فلت لحقه بالقاض  
فقد عجزت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض  
أنم على بسط عذري إنني أقررت عند نذاك بالإفاض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين  
بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز  
رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء  
المهملة وبعد الألف ميم .

## العكبري

أما الإمام المُكَبَّرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن  
أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي المولد والدار الفقيه  
الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير الملقب بحب الدين ، أخذ النحو عن  
أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من  
أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرها ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبي على الفارسي ، وديوان المتنبي ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم في مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب اللباب في علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصل للزمخشري شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النبائية والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير واتفَعوا به واشتهر اسمه في البلاد وهو حيّ وبعْدَ صِيتِه وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسة و توفى ليلة الأحد ثلثين شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبري بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

## ابن الشجري

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادى . قال ابن خلكان : كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلماً من الأدب صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالى ، وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلساً ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن

الخشب والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه في ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً وسماه الاتصّار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسممه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف : ما انفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جنى ، وشرح التصريف اللوكنى ، وكان حسن الكلام حلّ الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي ، وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرها . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزيني وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري ففضينا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه      فلما التقينا صفر الخبر الخبير  
ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا      عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر  
ثم التقينا فلا والله ما سمعت      أذني بأحسن مما قدرأى بصري

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هانيء الأندلسي وينسبان  
( ٨٢ - المتنبي ١ )

إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنباري : فقال العلامة الزمخشري : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخليل قال له : يا زيدا وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون ما وصف لي ، غيرك ؛ قال ابن الأنباري : فخرجنا من عنده ونحن نمجّب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل أعجمي ؟ وكان ابن الشجري نقيب الطالبين بالكركخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جبير وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يأسدرة الوادي الذي إن ضله الـ	ساري هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل المات لمفرم	عيش تقضى في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعي مضى الصباية طامح
شط المزار به وبوئي منزلا	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قمر يحف به ظلام جامع
وإذا العيون تساهته لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد سررنا بالمعيق فشاقتنا	فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبيكي فكم من مضمّر	وجدا أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما	تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حيتما	وسقى دياركما اللث الرامح
أدعى بدت لعيوننا أم ربّ ربّ	أم خرّد أكفاهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنت لنا	خلل البراقع أم قنا وصفاح
لم يبق جارحة وقد واجهتنا	إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسراهوى	ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة	ما أترت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأصرت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقته فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود      وهل مكذب قول الوشاة جحود  
وحتى متى تُفنى شئونك بالبكا      وقد حدّ حدّاً للبُكاء لبيدُ  
وإني وإن خفتُ قناتي كبرةً      لذو مرّةٍ في الثابتات جليدُ

وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابتناى أن يعيش أبوها      وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَر  
فقوموا فنوحاً بالذى تعلمانه      ولا تخمِشاً وجهاً ولا تحاماً شعر  
وقولا هو المرء الذى لا صديقه      أضاع ولا خان العهود ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما      ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر  
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظعنوا فكان بكاء حول بدمهم      ثم ارعويت وذلك حكم لبيد  
وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدنى أبو إسماعيل الحسين الطغرائى لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً      فكن عبداً للملكه مطيعاً  
وإن لم تملك الدنيا جميعاً      كما تهواه فأتركها جميعاً  
ها سبيان من ملك وترك      ينيلان الفتى الشرف الرفيعاً  
فمن يقنع من الدنيا بشيء      سوى هذين عاش بها وضيعاً

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكينا البغدادي الحرابي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعِيذُكَ مِنْ  
مَالِكٍ مِنْ جَدِّكَ النَّبِيِّ سِوَى أَنْكَ مَا يَنْبَغِي لَكَ الشُّعْرُ

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من القند في داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى . والشجرى بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء : هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سمت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

## القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلامياً ، مات بالرقي يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالرقي حينئذ ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيهٌ مناظر ، وأبو الحسن قد ناهز الحُلُم ، فسمعاً الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا<sup>(١)</sup> . وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار

(١) يريد لى أن مات ،



ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير  
مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، راجلين ، ووقع الاختيار بموته على أبي موسى  
عيسى بن أحمد الديلمي ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالرى  
وله يقول صاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار على  
قاضي الرى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورنا  
فإنهم لا يرتضون مجيئنا بجزع إذا نقلت أنت شذورها<sup>(١)</sup>

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا  
ذكره فى كتبه تبخّخ به<sup>(٢)</sup> وشمخ بأنه بالانتماء إليه . وطوف فى صباه البلاد  
وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره . وله  
رسائل مدونة ، وأشعار مفضّنة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة ؛  
ومن شعره :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه  
الورد قد أينع فى وجنتى قلت : فى باللثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فىك اتقباض وإمما رأوا رجلا فى موقف اللل أحجبا  
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمه عزة النفس أكرما  
ومازلت منحازاً بعرضى جانباً من اللم أعتد الصيانة مغمنا  
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحرّ تحتمل الظلمنا  
وما كل برقى لاح لى يستغزنى ولاكل أهل الأرض أرضاه منعمنا

(١) الجرع : الحرور اليماني .

(٢) أى قال : بخ بخ .

ولم أقضِ حق العلم إن كان كَلَمًا      بدأ طَمَعٌ صَيَّرَهُ لِي سَلَمًا  
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي      لأخْدمُ من لاقيت لكن لأخْدمَا  
أشقى به غرسًا وأجنيه ذِلَّةً؟      إذَنْ فابْتِئَاعُ الجَهْلِ قد كان أَحْزَمَا  
ولو أن أهل العلم صَانُوهُ صَانَهُمْ      ولو عَظَمُوهُ في النفوس تَعَظَمَا  
ولكن أذَلُّوه جَهَارًا وَدَنَسُوا      مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَمَّهَا  
ومنه :

وقالوا: اضطرب في الأرض فالرزق واسع

فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق  
إذا لم يكن في الأرض حرًّا يُعِينِي      ولم يك لي كسب فن أين أرزق؟  
ومنه :

أَحِبُّ اسْمَهُ مِنْ أَجَلِهِ وَسَمِيَّهِ      وَيَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ أَخْلَاقِهِ قَلْبِي  
ويجتاز بالقوم العدا فَأَحِبَّهُمْ      وَكَلِمَهُ طَاوِي الضَمِيرِ عَلَى حَرْبِي  
ومنه :

قد بَرَّحَ الشوق بمشتاقك      فَأَوَّلُهُ أَحْسَنُ أَخْلَاقِكَ  
لَاتَجَنُّهُ وَارِعَ لَهُ حَقَّهُ      فَإِنَّهُ خَاتَمُ عُشَّاقِكَ

وللقاضى عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب تهذيب التاريخ  
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل  
نيسابور :

أيا قاضياً قد ذنبت كُتِبَهُ      وَإِنْ أَصْبَحَتْ دَارُهُ شَاحِطَةً  
كتاب الوساطة في حسنه      لِعَقْدِ مَعَالِيكَ كَالْوَسِطَةِ

ومن شعره :

وما تطعمت لذة العيش حتى      صرْتُ لِلْبَيْتِ وَالكِتَابِ جَائِسَا  
ليس شيء أعز عندى من العا      مَـ فَلِمَ أَبْتغى سِوَاهُ أُنَيْسَا !!

إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً  
ومن سائر شعره قوله :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا

على شهوات النفس في زمن العسر

فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها

عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر

فإن فعلتَ كُنتَ الغنيَّ وإن أبت

فكل متَّوِّع بعدها واسعُ العذر

وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي

ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبيل العيد فجاءني  
رسوله بعمط الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه فكأتما أهدى له أخلاقه

قال وسمعته يقول : إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بمرجان أكثر

مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحميه بي وتواضعه لي ؛  
فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمده من فلك الحسن

فالمر مطلوب ومُلتَمَس وأعزه مانيل في الوطن

ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولي :

وَشَيْدَتْ مُجْدَى بَيْنَ قَوْمِي فَلَمْ أَقْلُ أَلَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ صَنِيعِي

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ

بِمَا غَفَرْتَنِي رَبِّي وَجَعَلْتَنِي مِنَ الْمُسْكِرِينَ » قال الثعالبي : القاضي أبو الحسن

علي بن عبد العزيز ، حصة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترى : وينظم عمدة الإقتان ، والإحسان في كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره » وقد كان في صباه خاف الخضري في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء علماء ، وفي الكمال علماء ، ثم عرج على حضرة صاحب فآلتي بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفقته ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من قرود ، وما منها إلا صوب العقل ، وذوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، من الولاية والمطلة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض على أبو نصر المصعبى كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، في معنى القاضى أبي الحسن نسخه بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصنى للقاضى أبي الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتيبى ما أعلم أنى لم أؤدّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه منى : فالموقع الذى تخطبه هذه المحاسن وتوجهه هذه المناقب ، وعادته معى ألا يفارقنى مقياً وضاغناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالمة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإمام . فطالبنى مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المتباد من فضله ، ليعمجل انكفاؤه إلى بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من

بَذْرَقَةٍ<sup>(١)</sup> إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يحمل من حظوظ الجسيمة عنده تعهد القاضى أبى الحسن بما يجعل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغائم الواجد ، مل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المروقة في إظهار مسلوى المنبي ، عمل القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المنبي وخصومه في شعره ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأحرب عن تبعره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أُنْثِرْ عَلَى خَدَى مِنْ وَرْدِكَ      أَوْدَعْ فَمَنْ يَفْطِنُهُ مِنْ خَدِكَ  
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ      قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَ مِنْ قَدِّكَ  
وَقُلْ لِمَيْنِكَ — بِنَفْسِي هَا —      يَخْفَتَانِ السِّقْمَ عَنْ عَبْدِكَ

وله :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَمَرْتُ بِمَنْ دَنَا      مَخَافَةَ نَائِي أَوْ حِذَارَ صُدُودِ  
قَدْ جَمَلْتُ نَفْسِي تَقُولُ لِقُلَّتِي      وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي  
فَلَيْسَ قَرِيبًا مِنْ يُخَافُ بِمَادُهُ      وَلَا مَنْ يُرَجِّي قُرْبَهُ بِبَعِيدِ

وله يستطرد :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنِ ظَالِمٍ      لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمٍ ؟

(١) الخفارة في الطريق .

يفعل بالإخوان أهدائه  
كأنما أصبح يرميهم  
وقال يذكر بغداد ويتشوقها :

يا نسيم الجنوب بالله بلغ  
قل لأجابه فذاكم فؤاد  
بتم فالرقاد عندي سهاد  
فعلى الكرخ فالقطيعة فالش  
يا ديَارَ السرور لازال يبكي  
رُب عيشٍ صَحِبْتَهُ فِىكَ غَضٌّ  
فى ليالٍ كأنهن أمانٌ  
وكان الأوقاتَ فيها كئوسٌ  
زمن مُسَعِدٌ وِإِلْفٌ وَوَصُولٌ  
كل أنسٍ ولذةٍ وسرور

ما يقول المقيم المستهام  
ليس يسلا ومقلّةٌ لاتنام  
مدّ نأيتم والعيش عندي لمأمٌ  
طّ فباب الشعير منى السلام  
بك فى مَضْحَكِ الرِياضِ غمامٌ  
وجفونُ الخُطوبِ عنى نيامٌ  
من زمان كأنه أحلام  
دائراتٍ وأنسهن مدام  
ومُنَى بستلذها الأوهام  
بعد ما بتم على حرام

وله فى ذلك :

سقى جانبي بغداد أخلافُ مزنةٍ  
فلى منهما قلب شجانى اشتياقه  
سأغفر للأيام كل عظيمه

وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كهدها  
وصحبة أحباب لبست لفقدم  
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق  
وإن أخلقتها الغاديات رعوّدها

إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها؟  
ثياب حداد يُستجد خليعها  
تجافت جفونى واستطير هجوعها !  
تكلف تصديق النمام دموعها

سقى جانبي بفداد كل غمامة  
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت  
بها تسكن النفس النفور ويفتدي  
يحن إليها كل قلب كأنما  
فكل ليالي عيشها زمن الصبا  
وكل فصول الدهر فيها ربيعها

وله في ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن  
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بدت  
في كل يوم لعيني ما يؤرقها  
ما زال يبعثني عنه وأتبعه  
حتى أوت لي النوى من طول جفوته  
وما البعاد دهاني بل خلاقه

وله في التخلص :

أو ما اثنت عن الوداع بلوعة  
ومدام تجري فتحسب أن في  
ملأت حشاك صباة وغليلا ؟  
آماقهن بنان إسماعيل

وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شموهم  
تلقين أطراف السجوف بمشرق  
فما سرن إلا بين دمع مضيع  
كان فزادى قرن قابوس راعه  
وقنا لتوديع الفريق المغرب  
لهن وأعطاف الخلدور بمغرب  
ولا قن إلا بين قلب معذب  
تلاعبه بالفيلق المتناشب

وله في الصحاب من قصيدة :

وما بال هذا الدهر يطوى جوامحي  
على نفس محزون وقلب كئيب  
تقسمي الأيام قسمة جائر  
على نظرة من حالها وشحوب  
كأني في مكف الوزير رغبة  
تقسم في جدوى أغرّ وهوب  
وله من قصيدة في الصحاب :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها  
إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها  
سبقت بأفراد المعاني وألفت  
خواطرك الألفاظ بمد شراها  
وإن نحن حاولنا اختراع بديمة  
حصلنا على مسروقها ومعادها  
وله في الصحاب من قصيدة ينهته بالبره من المرض :

بك الدهر يبدى ظله ويطيب  
ويقلع عما ساءنا ويتوب  
ونحمد آثار الزمان وربما  
ظللنا وأوقات الزمان ذنوب  
أق كل يوم للمكارم روعة  
لما في قلوب المكرمات وجيب ؟  
تقسمت العلياء جسمك كله  
فن أين فيه للسقام نصيب ؟  
إذا ألبت نفس الوزير تأملت  
لما أنفس تحيا بها وقلوب  
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه  
حياتي وفي وجه الوزير شحوب  
وليس شحوباً ما أراه بوجهه  
ولكنه في المكرمات ندوب  
فلا تجزعن تلك السماء تغيبت  
وعما قليل تبسدى فحسوب  
تهلل وجه المجد وابتسم الندى  
وأصبح غصن الفضل وهو رطيب  
فلا زالت الدنيا بملكك طليقة  
ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتي تجنى الحوادث والدهر  
فأما اصطباري فهو ممتنع وعر  
كأني ألاق كل يوم ينوبني  
بذنب وما ذنبي سوى أنني حر  
فإن لم يكن هند الزمان سوى الذي  
أصيق به ذرعا ففندي له الصبر



وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى  
وبيني وبين المال باذان حرما  
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دوننا  
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم  
وماذا على مثل إذا خضعت له  
وله :

سقى الفيت أو دمي - وقلّ كلاما -  
بميت استرقّ الدّعصُ وانبسط النقي  
أكثر من أوصافها وهي واحد  
وفي ذلك الخلدِ للسكر طيبة  
إذا خطرات الريح بين سجوفها  
تلقت بأثناء النصف لحاظنا  
أفي مثل هذا اليوم يمرح طرفه  
ومدت لإسبال السجوف بنانها  
لها أربما ، جور الهوى بينها عدل  
وحيث تنهى الحيف واتقطع الرمل  
ولكن أرى أسماءها في في تحلو  
لكل فؤاد عند أجفانها ذحل  
أباحت لطرف العين ما حطّر البخل  
وقالت لأخرى : ما لمستهر عقل ؟  
وأعداؤنا حَوْلٌ وحسادنا قُبُل ؟  
فمازلنا عنها الشمايل والشكل

## أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارىء هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء  
أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته  
وعبقريته علماً ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ ،  
وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العززي . واختصر ديوان أبي تمام  
وشرحه وسمّاه ذكرى حبيب ، وديوان البحتري ، وسمّاه « عبث الوليد » وديوان  
المتنبي ، وسمّاه معجز أحمد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم  
من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .  
قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبوزكريا  
التبريزي - أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له - وغيرها ، والله أعلم .

## « أمثال المتنبي وحكمه »

---

انظر أمثال المتنبي وحكمه في ذيل الجزء الرابع  
من هذا الديوان



## قافية الهمزة

قال - وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر مهمل بن محمد الكاتب (\*) - :

أَلْقَابُ أَعْلَمُ يَا عَدُولُ بِدَائِهِ      وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ (١)  
 فَوْزٌ أَحَبُّ لِأَعْيُنِنَا فِي الْهَوَى      قَسَمًا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ (٢)  
 أَحِبُّهُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ      إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

(\*) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور . وكان شيخ سيف السولة :

يَا لَأَيْبَى كَفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي      أَضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ  
 إِنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فِدَاؤِ سَقَامَهُ      وَأَعْنَاهُ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِقَائِهِ  
 حَتَّى يُقَالَ بِأَنَّكَ الْخَلْلُ الَّذِي      يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرِخَائِهِ  
 أَوْ لَا ، فَدَعَهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ      طُولِ الْمَلَامِ فَلَسْتَ مِنْ نُصْحَائِهِ  
 نَفْسِي الْفِدَاءَ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي      فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقْبَائِهِ  
 الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَسْرَةٍ وَجْهَهُ      وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ

(١) الضمير في مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه ذمومه يقول : القلب أدري منك أيها اللأم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتبس شقائه في البكاء ويأمر الجفن به \* وإن شقائي عبء مهراقة \* والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليك بأن تمصى ولا اكتراث لنهيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطمعتك أيها اللأم فيه .

(٣) الاستفهام في أحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص :

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعِ مَا بَرَكَ صَفَفْتَ عَنْ إِخْفَانِهِ (١)  
مَا الْخَلُّ إِلَّا مِنْ أَوْدٍ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ (٢)  
إِنَّ الْمَعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أُولَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَانِهِ (٣)

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَدَيْدَةً حُبًّا لِدِرْكِكِ فَلَيْسُنِي اللَّوَمُ

وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللأم هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا تكلف لا موجب له . فالتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيبه ، فلا يجمع بينه وبين حبه إياه ، أى أنه لا يصنى للوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو الغمام ، لأنه يشى الكذب أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللأم . يقول : ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانته ، والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائمين إذا لم يطق كتمانته كان عن تركه أعجز . يعنى : إننى وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أنى لا أركه .

(٢) الخل والخليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرتة وإذا مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود بقلبه وإذا نظرت فكأنى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من واقفك فى كل شىء فيود ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ماخلىلى إلا الذى يبلغ الغاية من الودة فكأنه يود بقلبي . وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَلِيلِكَ أَنْتَ لَا مَنْ قَلْتَ خَلِيَّ وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ومخلصه منها مستعينا على ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذلك كما يسوؤه وكان أجدر فى إعانتته بأن يرحمه ويرئى لحاله ويؤاخيه فى بلواه أو تقول : إن الذى يعين على صاحب الصبابة يبراد الحزن عليه بلومه إياه أولى بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا فى عراض قول أبى ذر المتقدم

إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فِدَاؤِ سِقَامِهِ

مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالْتَمَعُ مِنْ أَعْضَائِهِ<sup>(١)</sup>  
وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَبُكَائِهِ<sup>(٢)</sup>

وجعل إirاده الحزن عليه عوناً على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى بمدح رجلا .

تَصَيَّفْتَهُ يَوْمًا قَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ<sup>(١)</sup> قَائِدًا  
أى أعطانى مع ما كنت أقاسيه من الزمانه قائدا يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإني سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وترفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما .

(٢) هب أى احسب ، والكرى العاس والسهاد الارق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذ كهيا كالنوم فى لذائذه فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلنزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقيا على ماذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامه كاستلذاك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فى الحق أن البيت من مشكلات الأبيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوليه من صدر البيت فلم يبق له دخل فيما يليه . وبقى قوله مطرودة حالا عن الملامه وإن شئت جعلته خبرا عن ضميرها محذوفا أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالا عن الكرى والكرى مذكر لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث . فلا يصح كونها حالا

لَا تَعْدُلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاهِهِ      حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْسَائِهِ <sup>(١)</sup>  
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضْرَجًا بِدُمُوعِهِ      مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضْرَجًا بِدِمَائِهِ <sup>(٢)</sup>  
 وَالْعِشْقُ كَالْمَعشُوقِ يَمْدُبُ قُرْبَهُ      لِلْمُبْتَلَى وَيُنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ <sup>(٣)</sup>  
 لَوْ قُلْتَ لِلدَّفَنِ الْحَزِينَ فِدَيْتَهُ      مِمَّا بِهِ لِأَغْرَزَتُهُ بِفِدَائِهِ <sup>(٤)</sup>  
 وَفِي الْأَمِيرِ هَوَى الْعُمُيُونَ فَإِنَّهُ      مَا لَا يَزُولُ بِيَأْسِهِ وَسَخَائِهِ <sup>(٥)</sup>

عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جنى أو نومه في قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى التنبي إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن المقام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على الكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى أى احسب ملامتك لذينة عند العاشق كمنامه ، والنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ، أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . و يروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب وهذا من قول البحترى .

إذا شئت أن لا تعدل الدهر عاشقاً      على كمدٍ من لوعة التبين فأعشقي  
 (٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال ، والمضرج الملتطخ بالدم من ضربت الثوب إذا صبغته بالحرمة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالمقتول تهويلا لأمر الهوى يقول : إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذى امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو في قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى ينلفها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعثته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت ما بك من برح الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه .  
 (٥) وفى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من



يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ وَيَحْوُلُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ <sup>(١)</sup>  
 إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَانِهِ <sup>(٢)</sup>  
 فَآتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَّصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ <sup>(٣)</sup>  
 مِنْ السُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سِمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفَرِيدًا وَوَفَائِهِ <sup>(٤)</sup>

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجلود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى اللطيف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لابس السلاح ، والعزاء التجلده يقول : إن الهوى يأسر البطل الشجاع المستلم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فؤاده والعزاء سبيلا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَأَحْرَاكَ بِهِ وَهَنْ أَضْمَفُ حَقَّقِ اللَّهُ أَرْكَانَا

(٢) النوائب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كفاء وهو القرن والنظير . يقول : إني دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتواصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحيثى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبي نواس :

تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَمِّي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

(٤) ضمير تكون للسيف أى بأن تكون السيف سميحا ، أى مثل سميها وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمنه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب الثمل أو شبه الغبار استعاره هنا للممدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

\* تظن سيوف الهند أصلك أصلها \*

طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْنَاسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعِ مِنْ آبَائِهِ<sup>(١)</sup>  
واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ<sup>(٢)</sup>

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه في موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبي الهيثم بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال ، فهي وإن شاركت في الاسم تخالفه في الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعني بالتائه نفسه . وعذل العوازل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعوازل جمع عاذلة أما العاذل فجمعه عذال وعذل، والتائه التحير وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه ، وإذا لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَاوَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يتيه على عذلم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : ليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبري : عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريح<sup>(١)</sup> لأن الماء في القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء لجهلهم القوافي وقد جعلها ابن جنس والخطيب التبريزي في أول حرف الهمزة فاعتدنا بفعلها والقوافي خمس يجمعها مكبرف كل حرف لقافية ، وهي متكوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

(١) التصريح تفتية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا : وإنما وقع التصريح في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصيدة وإما قصة .

ومترادف ، فالنكاوس<sup>(١)</sup> أربع حركات بين ساكنين كقوله .

\* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهَ فَجَبَرَ \*<sup>(٢)</sup>

والتدارك<sup>(٣)</sup> حركتان بين ساكنان كما في هذه القصيدة والتراكب<sup>(٤)</sup> ثلاث حركات بين ساكنين كقول التنبي :

\* بِمِ التَّعَلُّ لَأَهْلٍ وَلَا وَطَانُ \*

والتواتر<sup>(٥)</sup> حركة واحدة بين ساكنين كقوله - أى التنبي - :

(١) مأخوذ من نكاوس النبات والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التفت .

(٢) هو للمجاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظم بنفسه . وقد جمع المجاج في هذا بين التمدي واللازم .

(٣) قال ابن سيده والتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين وهي متفاعلتن ومستعملتني ومتفاعلتني وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ، فاللام في فعل ساكنة ، وفعل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة والواو من فعول ساكنة سمي بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكان بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقبه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين .

(٤) للتراكب كل قافية توالى فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهي مفاعلتن ومفتعلتن وفعلتن لأن في فعلتن نونا ساكنة وآخر الحرف الذي قبل فعلتن نون ساكنة وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة والواو في فعول ساكنة .

(٥) التواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعلتن وفاعلتن وفعلتن ومفعولن وفعلتن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حذاء سهل رويها كسر الصانع ليس فيها تواتر  
أى ليس فيها توقف ولا فتور .

يَشْكُو التَّلَامُ إِلَى اللِّوَاءِ حَرَّةٌ وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بَرِحَانِهِ (١)  
وَبِمَهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكِ الَّذِي أُسْخِطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَانِهِ (٢)

\* صِلَةُ الْمَهْجَرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ \*

والمترادف (١) اجتماع ما كنين كقوله - أى التنبي :-

لَا تَحْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَشُورَةَ الضَّفِيرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

أقول : وهذا كله من المكبري لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هي التي قالها التنبي باديء ذي بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر ، ولكن الذي تحقق لدينا هو أن التنبي قال الأبيات السابقة أولاً ثم أزدفها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذي توركه بعضهم على التنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرء الشدة وتباريح الشوق توجهه . وتقول : لقيت منه برحا بارحا أى شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبي إلى اللوأم كأنه يقول لمن : لا تبغثنى إليه لآنى أخشى برء قلبه وإذا انتى أعرض اللوم عن قلبي خشية أن تلتفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطبق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب . فالضمير في حره وبرحانه للقلب في البيت السابق . وليس يخفى ما في هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء في بمهجتى للتفدية ، والمالك يجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل بمهجتى خبراً مقدماً والمالك مبتدأ ولك أن تجعل الملك مفعولاً لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : يا عاذلي يامن يعدلنى فليس لك أن

(١) المترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان وهى متفاعلان ومستفعالان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان وفعليان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفعول ، سمى بذلك لأن غالب العادة في أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويًا مقيداً كان أو وصلًا أو خروجا فلما اجتمع في هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولا حقاً به .

إِنَّ كَانَ تَدَّ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ  
 الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ  
 أَيْنَ الثَّلَاثَةِ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ  
 مَضَتْ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ  
 مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ (١)  
 قُرْنَاهُ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ (٢)  
 مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ (٣)  
 وَلَقَدْ أَتَى فَمَجَزَنَ عَنْ نَظْرَائِهِ (٤)

تقول كان ينبغي أن يقول يا عدلاني لأنه قال العواذل في الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن  
 يعدلني ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل به عن النسب  
 إلى اللديح . يقول : إني يالأمي أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد  
 لوما منك فلم أتركه وآت غيره وأسخطت لوامى جميعا فى سيدل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى  
 حبه عليها مادام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم :  
 أراد بالسماء الأفلاك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير  
 مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرناه ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف  
 بسيف الدولة .

(٣) الخلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس  
 والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائه ؟ أى أنه  
 أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء  
 السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له  
 بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الآيات فان الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف  
 إلى مثل هذا الغلو ، والتنبى كثيراً ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن  
 كثير من الشعراء .

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي ، وكان قوم قد هَجَّوْهُ ، وعزوا الهجاء إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكَرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَائِي      وَتَحَسَّبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ لِنَائِي <sup>(١)</sup>  
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عَلِيٍّ      بَأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup>  
وَأُكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا      وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ <sup>(٣)</sup>  
وَمَا أُرْبِتَ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِي      فَكَيْفَ مَلَّتْ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ <sup>(٤)</sup>  
وَمَا اسْتَفْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدْيَنِي      فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ <sup>(٥)</sup>  
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ      أَيْعَمِي الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ <sup>(٦)</sup>

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإيحاء المصادقة وتحسب تفتح عنه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتتكر مؤاخاني إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني ؟

(٢) الهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المغموم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علي أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير في البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعما على العدو من طرف السيف وأتقدفها تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات المتنبي المعروفة .

(٤) ما حرف نفي وأربت زادت ، والسن العمر ، وملت سئمت . يقول : وما زادت سني على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أني بتعرض لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ما قبله ، واستفرت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستتمامها أولى مني بالأخذ في الهجاء .

(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعالك لا يخفى على أحد كضياء الشمس ، وهل يعنى العالمون عن الضياء .

تُطِيعُ الْخَالِيسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً  
وَهَاجِي نَفْسِيهِ مَنْ لَمْ يُعَيِّزْ  
جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي (١)  
كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمْ الْهَرَاءُ (٢)  
فَتَمَدَّلْ بِي أَقْلًا مِنَ الْهَبَاءِ (٣)

(١) مرء لفة في امرؤ . يقول : تصنى إلى الحساد وتنزل على تهتهم إياي بهجائك وأنت أسمى من أن يهجووه مثل لأنى فداء له لماله من الأيادي ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لى لأنى أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب السراج أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعائية جعلت وصفا لمرء وهو نكرة على تقدير محذوف ، أى مستحق لأن أسأل الله أن يخطئى فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبُطُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظُّلَامُ وَاخْتَلَطُ (\*)

\* جَاءُوا بِضِيحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُ \*

أى جاءوا بضيح يقول : من رآه هل رأيت الذنب قط .

(٢) من لم يميز مبتدأ مؤخر وهاجى نفسه خبر مقدم ، والهراء الكلام الساقط الذى لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ  
يقول : إن من لم يفرق بين كلامى وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن ترانى مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعديل عطف على ترانى وأقل صفة لموصوف محذوف أى شيئاً أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى فى شعاع الشمس من دق التبار قل الشاعر :

بَرَّانِي الْهَوَى بَرَّى اللَّدَى وَأَدَّابَنِي صَدُودُكَ حَتَّى صَرْتُ أَنْحَلٍ مِنْ أَمْسِ  
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ النَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ  
يقول : من العجب أن ترانى وتعرفنى ثم تسوى بينى وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

\* الضيغ اللبن المخلوط شبه لون الضيغ بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيغ .

وَتُنْكَرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّانَاءِ<sup>(١)</sup>

وقال يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف<sup>(\*)</sup>

أَمِنْ أَزْدِيَّارِكُ فِي الدُّجَى الرَّقْبَاءِ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ<sup>(٢)</sup>

(١) سهيل نجم زعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر اللوت والزنا عد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لي .

(\*) قال بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له ما ملخصه « هذه القصيدة تنبئنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلاً بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء في دمشق . فأقبل المتنبي من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيدي حتى انتهى إلى صاحبه هذا فدحه بقصيدتين أحدهما هذه الهمزية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها .

ومنزّل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات المهطل

ولهمزية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يعمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضى بمدوحه الذي كان يذهب بمذهب التصوف وهي من هذه الجهة قيمة لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب التصوفة في الكلام ومنهجهم في الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفقي وقد ملك ناصية الفن حقاً ؛ إلى أن قال : ولست أدري أكان الأوراجي هذا قريباً أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبي أقام معه حيناً على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى ببدر فلا تسلم عن فرحته وابتهاج نفسه بالنبطة والرضى اه ملخصاً .

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تمليلية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن في من الظلام للبدل ويروى : إذ



قَلِقُ الْمَلِيحَةَ وَهِيَ مَسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ (١)

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أمنوا أن تزورين ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام وإذ ذاك تفتضحين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة المكوك :

بأبى مَنْ زَارَنى مُكْتَمًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَرِعًا  
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْفَى اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَمًا  
رَصَدَ انْخِلَوةَ حَتَّى أَمَكَّتْ وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَمَا  
كَابَدَ الْأَهْوَالَ فى زَوْرَتِهِ ثَمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك ، وهتكها أى اتهاكها ، وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وافتضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قل البحرى :

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ التَّرْحُلِ فى الدُّجَى فَنَمَّ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا  
وقال :

وَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَلِشَيْئًا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة :

ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا

ضَوْهَ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْخَلِيِّ وَمَا

وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِيقِ

يَفُوحُ مِنْ عَرَقِ كَالْعَنْبَرِ الْعَبِيقِ

أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عَلَيْهِ فَبِهِ عَلَى خَفَاءِ (١)  
وَشَكِيَّتِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ (٢)

هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتَرُهُ وَالْحَلَى تَنْزَعُهُ مَا الشَّانُ فِي الْعَرَقِ  
هذا وقد قال ابن فوزه: الهتك مصدر متعد ولو أتى بمصدر لازم بأن قال  
انتهاكها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن. قال: وقوله وهي مسك زيادة  
على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذي استعملته بل جعل المسك  
نفسها فكأنه من قول امرئ القيس:

\* وجدت بها طيبا وإن لم تطيب \*

وقول الآخر:

دُرَّةٌ كَيْفَا أُدِيرتْ أَضَاءتْ وَمِشْمٌ مِنْ حَيْثَا سُمَّ فَاحَا

ومثله قول بشار:

وتوق الطيب ليلتنا إنه وَاش إِذَا سَطَمَا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره  
والأسف الحزن ، والدله الذى أذهب المشق عقله وأذهله . يقول: إننى أسف على أن  
شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعنى: إننى أحزن لذهاب  
عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك  
باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول: إنه كان يتأسف على زمان وصلها فلما أمعت فى  
الهجر ذهب له حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك  
عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول: إنما أشكو عدم السقم  
لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت  
الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا  
المعنى أوضحه البسى بقوله:

ولو أبقي فراقك لى فؤادا وَجَفْنَا كُنْتَ أَجْرَعُ مِنْ مُهَادَى  
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِفَيْرِ جَنِّنِ كَمَا لَا وَجَدَ إِلَّا بِالْفَوَادِ

مَثَلَتْ عَيْنِكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَشَّابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاهُ (١)  
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرُبَّمَا تَنْدَقُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ (٢)  
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَارَوْحَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجُوزَاءُ (٣)

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب التصوفة ومن ثم تراه يهج منهمجهم في العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضاً .

(١) جراحة مفعول ثانٍ لمثلت أو تميز . وقوله : فتشابهها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهتها حملا على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال .

إن الساحة والمرؤة ضمنا قبرا بمرور على الطريق الواضح ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت في قلبي مثال عينك جرحا واسعا فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .  
(٢) نفذت أى العين والسابريى الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

لجاءت بسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

والصعدة القناة التى تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابريى الدرع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبي فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابريى الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى مكانى من الشجاعة والشجاع موقى والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلا فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوحت لم يقدر على إزالتها عن موضعى كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو النطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطارى فيكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولد فيها البراعة والنطق .

« مستشرقون » هجونه

وَإِذَا خَفَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ فَعَاذِرُهُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَّاهُ (١)  
شِيمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أُمِّ الْبَيْدَاءِ (٢)

(١) النبي : العاقل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأننا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقلة : العين ، يقول : إذا خفي مكانى على النبي فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأننا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك النبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة بمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَّرْتَ فَمَا نَحْنِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْبَهٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا (١)

(٢) صدرى يريد أصدرى ، حذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الغلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حمله على الشك ، وأفصى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبى فترمى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفصى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناى وتجلىدى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قال العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قال : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قل لأن المعنى : صدرى بالليالى وحوادثها وماتورده على من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء وناقى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفصى أفعال كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفصى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء ؟ فمرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا تنمى وتسموبك الفرعان من مضرا  
قال ابن برى : الذى أورده الجوهري وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت  
كل من يفاخره فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحدا  
المستعمل بعد التثنية فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .

فَتَبَّيْتُ نُسَيْدًا مُسْتَدًّا فِي نَيْبِهَا إِسَادَهَا فِي التَّمَهَةِ الْإِنْضَاءِ<sup>(١)</sup>  
أَنْسَاعُهَا مَمْحُوطَةٌ وَخِيفُهَا مَنَكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ<sup>(٢)</sup>

الطلب لما أتعبني بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودي بي إلى الهزال وعلى هذا أفصح فدل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضمن بثلمها وهي ترى إتمامي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدري أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاك أم البيداء ؟ أي لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكى . قال الواحدي: والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى الليلي « هذا » وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .  
قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهله بلد  
وقل البحرى :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب  
(١) الإسَادُ إيمان السير أو سير الليل خاصة والنبي الشحم والسمن والإنضَاءُ مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله والمهمة الصحراء ومسندا حال من ضمير تشد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وأسأدها مفعول مطلق عامله مسندا وتقدير البيت تبئت هذه الناقة تشد مسندا الإنضاء في نيبها إسأدا مثل إسأدها في المهمة يقول : تبئت ناقتي تسير سائراً في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا للمعنى ينظر إلى قول أبي تمام .

رَعْنَةُ الْفَيَافَى بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُ سَابِكُهُ  
(٢) الأنساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرجل ، والمغط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحه أى مثقوبة بالحصى وكفى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحه أى مدمية من الحصى واستعمار النكاح لوطئها الأرض وإدماها الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التي لم تمتص . ومن طريق ما ذكره الصراح هنا ما أورده العكبرى قال : قال الشيخ أبو محمد عبد النعم بن صالح النحوى عند قراءتي عليه هذا الديوان ومدوصلت إلى هذا البيت : سألتى للملك الكامل أبو المعالي محمد بن أبي بكر  
(١٠ - التتى ١)

يَتَلَوْنَ الْحَرِيبَ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الْحَرِيبَةَ (١)  
 بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي قَسْلِيٍّ مِثْلُهُ شَمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلَهُنَّ رَجَاءُ (٢)  
 وَعِقَابُ لُبْنَانَ وَكَيْفَ بَقِطْمَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ (٣)

ابن أيوب ملك البدار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء  
 قطت له : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لي : هذا يدل على أن المدوح لا يعرف ولا له  
 ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والمدوح إذا كان له عطاء وذكر  
 ويعرفه القصد ، كانت الطريق إليه لا تنقطع . . . ولقد أحسن في هذا النقد .

(١) الحرير الدليل صمى خريتا لاهتدائه في الطرق الحفية كخريت الإبرة كأنه  
 يعرف كل حب في الصحراء ، والتوى الملاك ، والجرباء دوية على شكل سام أبرص  
 ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مغططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف  
 دارت وتلون ألوانا بحر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل  
 فيها خوف الملاك كما يتلون الجرباء ويشير لونه فهو يدور يمينا وشمالا لطلب الطريق  
 وفي هذا للمنى يقول هدية :

يظل بها الهادي يقرب طرفه من الهول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الظرماع :

إذا اجابها الحرير قال لنفسه أتاك برحلى حائن بعد حائن

(٢) شم الجبال : بدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نعت  
 للسكر المرفوعة قدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول  
 ذي الرمة :

وَمَحَّتِ الْعَوَالِي وَالْقَنَا مُسْتَنْظِلَةً ظِلْيَاهُ أَعَارَسَهَا السُّيُونَ الْجَادِرُ

يقول بيني وبين هذا المدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهده الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شم الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من  
 الجبل والباء في بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن  
 مثلا . وكيف استفهام في للمنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن

لَبَسَ التَّلُوجُ بِهَا عَلَى مَسَالِكِي فَكَانَتْهَا بِيَاضِهَا سَوْدَاهُ (١)  
 وَكَذَا السَّكْرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِيَلْدَةَ . سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ (٢)  
 جَدَّ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهْتَتْ فَلَمْ تَنْبَجْسِ الْأَنْوَاءُ (٣)

يقول : وكذلك يبي ويينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء  
 وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها ؟ !

(١) لبس الشيء ولبسه عماه ، قال تعالى : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » والضمير  
 في بها للعقاب والضمير في كانتها للتلوج أو للمسالك وباء بياضها متعلقة بمعنى كأن أى  
 التشبيه ، يقول : إن التلوج في هذه الجبال أخذت على طرفي فلم أهد لكثرة بياضها  
 فكأنها سودت اسوداد الليل إذ ضللت فيها لأن الأسود لا يهتدى فيه ، وهذا معنى حسن  
 كما ترى .

(٢) النضار الذهب ، والنضار أيضا الخالص من كل شيء ، وقام الماء جمد ومعنى  
 هذا البيت متصل بالذي قبله لأنه يقول يياض التلوج يعنى قمام مقام السواد ، واليباض إذا  
 عمل عمل السواد فقد قضى العادة كذلك السكريم إذا أقام بيلدة قضت العادة فيكون  
 الذهب سائلا والماء جامدا ، وإعما قال هذا لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء . يقول :  
 إن السكريم إذا أقام بيلدة أعطى المال وتحرق في السكريم حتى لكأن المال ماء سائل  
 فلما رأى الماء هذا السكريم وقف متبلدا متبلدا جامدا ، وهو تخيل بديع .

١٣. الأنواء فلعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأته وبهتت وتبجس على التنازع  
 ولعل ترى يعود على اقطار ، ويروى بدل ترى رأى : أى اقطار ولكن ترى أحسن  
 لأن القطار مؤنثة ، والقطار جمع قطر ، وقطر جمع قطرة وهى المطر ، وبهتت  
 دهشت وتغيرت ، وتبجس تفجبر ، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع  
 وقبه من الشرق وهى منازل القمر والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون : سقينا بنوء  
 كذا . ويريد بجمود القطار التلوج يقول : إن المطر جمد لما رأى كرم هذا للمدوح  
 ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتغيرت ودهشت ولم تفجبر فلم تأت بمطر استظلما لما  
 يأتيه وخيلا من جوده .

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ      حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءُ <sup>(١)</sup>  
 وَكُلُّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ      حَتَّى كَأَنَّ مَغْيِبَهُ الْأَقْدَاءُ <sup>(٢)</sup>  
 مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي      فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ <sup>(٣)</sup>  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلِقَوَائِي جَوْلَةٌ      فِي قَلْبِهِ وَلَا أُذُنَهُ إِضْغَاءُ <sup>(٤)</sup>  
 وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّهَا      فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيَنْتَقِ شَهْبَاءُ <sup>(٥)</sup>

(١) المداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به وافتاناً بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجوهر يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أي أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقارنون إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن اناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يهاتفون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكتابة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قرت عينه بردت ، ودمع الفرح بارد والأقضاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتأذى بغيته فكان غيبته قذى للعين .

(٣) من بمعنى الذي خير ضمير محذوف يرجع إلى المدحوح وتقدير البيت : هو الذي يهتدى في الفعل إلى ما لا يهتدى الشعراء إليه في القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود إلى من ، والشعراء فاعل يهتدى ، يقول : إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفاله من للكارم والسامع العظام فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحسكوا ما فعله .

(٤) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضها أي يتبعه أو تسمية للسكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء تتوارد عليه بالمدائح بالتوالي فهو لا ينفك عن الإضغاء جبا للشعر وارتباحتها إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أي جمعه واقتناه من مال والفيلق الكنية من الجيش أتمه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التي تخب يا ضها على سوادها ، يعني صافية الحديد ، يقول : وللقوائف كل يوم إغارة على ماله حتى لكان كل بيت كنيئة تنهب ما احتواه .



مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤْمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ      أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ (١)  
وَنَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ      وَيُضِدُّهَا تَقْبِينُ الْأَشْيَاءِ (٢)

(١) من بمعنى الذي خير مبتدأ محذوف تقديره هو الذي يظلم الخ والثلثم الحسيس الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء والأمثال ، يقول : إن اللثام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرون على ذلك فكانه ظلمهم ، إذ كلهم أن مماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه : ليس في هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ في المدح أن يقول : الكرماء بدل اللؤماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرون أن يكونوا ، مثله مما لا يليق بذهبه في إشاره البالغة. وروى الخوارزمي نظم بالنون، وقال: إذا كلفنا اللثام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلمناهم في تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونديمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته البيت السابق من نظم بالنون ، يقول المتنبي : ونحن نذم اللثام ولولاهم ما عرفنا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكَنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دَمَتْ فِيهِمْ      قِبَاحًا فَلَمَّا غَبَّتِ صِرْنٌ مِلَاحًا  
وقال أبو تمام :

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ      حَتَّى يُصَابَ بِنَايٍ أَوْ بِبَهْجَرَانٍ  
وقال :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا      فَهُوَ الَّذِي أَنْبَأَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا  
وقال :

سَمِعَتْ وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِنْمَاجِهَا      مَا حَسَلْنَا مِنْ تَفْصِيحِ وَجْهَالِهَا  
وَكَذَاكَ لَمْ تَفْرِطْ كِتَابَةً عَاطِلِ      حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِهَا  
وقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا      خَلَاقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خَيْبِهَا  
وَحُسْنِ دَرَارِي السُّكَاكَ أَنْ تَرَى      طَوَّالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبِهَا

مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يَهَاجَ وَضَرَّهُ  
فِي تَرَكَه لَوْ تَطَّنُ الْأَعْدَاءُ<sup>(١)</sup>  
فَالسَّلَامُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ  
بِنَوَالِهِ مَا تَجْبَرُ الْمَيْجَاهُ<sup>(٢)</sup>  
يُعْطَى فَتُعْطَى مِنْ لَيْهِ يَدِهِ اللَّهُ  
وَتُرَى بِرُؤْيَةٍ رَأْيِهِ الْآرَاءُ<sup>(٣)</sup>  
مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى  
فَسَكَاتُهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ<sup>(٤)</sup>

يبد أن التنبي صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه  
(١) من بمعنى الذي بدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستاروه  
للحرب استباح أموالهم وحرعهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلوفطن  
أعداؤه لهذا منه لسأله فقتبوا إلى مضرتة .

(٢) السلم بفتح السين وكسرهما ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره  
للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد  
الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في  
الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله  
والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتوا وأمال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهي العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القبضة من الجبوب  
يلقبها الطاحن في فم الرحي فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطى عفاته العطاء الجزل  
الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولاً وهو من جودة الرأي  
وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء .

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما  
فسكاته السراء والضراء ولكن مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفصاله تصدر  
عن عزم جميع ورأى مستحصد والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدّة مترتب على  
المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُنْقَرٍ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْيَانِ حُلُومٌ كَالسَّل

« منقر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسْرُ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدَايَا

وَكَأَنَّهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتَهُ      مُمَثِّلًا لِقُودِهِ مَا شَاءُوا<sup>(١)</sup>  
يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ      إِذْ لَيْسَ يَأْتِيَهُ لَهَا اسْتِجْدَاءُ<sup>(٢)</sup>  
أَحْمَدُ عُنَاتِكَ لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ      فَلَتَرَكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءَهُ<sup>(٣)</sup>  
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ      إِلَّا إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الْأَحْيَاءُ<sup>(٤)</sup>

وأخذه المسيب بن علس قال :

هُمُ الرِّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحُلُهُمْ      وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِمُ  
وقال علاثة :

وكنتم قديماً في الحروب وغيرها      ميامين للأدنى لأعدائكم نُكْدُ

(١) ما ، في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كأن ، وممثلاً منصوب على المحاك يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم ومعلمهم على الحمد حال تمثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .

(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستمطاء ، يقول يأمن روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن في كفه غير رُوحِهِ      لجلاد بها فليتنق الله سائله

(٣) هذا البيت إتمام المعنى البيت قبله وتأكيده والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فجت بفتح فاء بفتح داء له واللام في قوله فلتترك لام الابتداء ، يقول : اشكر هذا لعفاتك لا أجمعك الله بفتح الميم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فجت بضم الميم أى لا قطع الله شكرهم عنك

(٤) اضطربت أقوال الشراح في هذا البيت ، فذهب للمرى والواحدى إلى أن المعنى : لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شق الأحياء بنضبك وتلك أيام فإذا غضبت عليهم وقتلتهم عصفت بهم فزدت في الأموات زيادة ظاهرة ونقص الأحياء نقصاً يئناً ، وإليك نص عبارة أبي العلاء : شقوا به أى قتله أيام وأن الأحياء إذا شققت بك كثر الأموات وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة ، إما لأن الأحياء يهلون بمن

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ (١)  
لَمْ تُسَمَّ يَاهِرُونَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَوْ تَرَخَتْ وَتَارَعَتْ اسْمُكَ الْأَسْمَاءُ (٢)  
فَقَدَوْتَ وَاسْمُكَ فَيْكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءٌ (٣)

موت منهم وإما لأن اللبت يقل في نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقديك  
أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات للمدوح ، يقول : إنك نعمة على  
الأحياء ووقدك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَمَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالِ وَلَا شَاءَ تَمُوتُ وَلَا يَمِيرُ  
وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةُ فَقَدْ شَخِصِ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُوكَ هَلَكُوكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى

القدر والشرف

(١) الشحنةاء العداوة ، قال ابن جنى : يريد ، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك  
فيضمرك لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشقق قلبه فمات خوفا  
وجزعا ، وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى . ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من  
الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشقق قلبه فإذا أضمر لك العداوة  
انشقق قلبه وبان أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضمرك القلب أمراً يتصدع به  
وينشقق حتى تحمل عداوتك فيه . فإذا جلت ضائق بها وانشقق عنها لشدة ما ناله من  
الخوف والجزع .

(٢) اقرعت نساهمت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به  
افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال للمرى : أراد  
بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشاوك . أى لم يشارك اسمك فيك  
اسما آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى مالك سواء قد تساوا  
فى الأخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعباءة . هذا قول الواحدى وغيره . وقال

لَعَمَّتْ حَتَّى الْبَدْنُ مِنْكَ مِلاَهُ      وَأَمَّتْ حَتَّى ذَا النَّسَاءِ لِقَاهُ <sup>(١)</sup>  
 وَبُلِّدَتْ حَتَّى كِدَتْ تَبْخُلُ حَائِلًا      لِلنُّنْهَى وَمِنْ السُّرُورِ بُكَاءُ <sup>(٢)</sup>  
 أَبْدَأَتْ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوَهُ      وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكَرَ الْإِبْدَاءُ <sup>(٣)</sup>  
 فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ      وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاهُ <sup>(٤)</sup>  
 فَإِذَا سُلِّتَ قَلًا لِأَنَّكَ مُجُوجٌ      وَإِذَا كُنِمْتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءُ <sup>(٥)</sup>

المعري : يريد بالاسم الصيت أى لم يشركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد ظهر اسمه فى اناس أى صيته فذكره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيمهم وقيرهم (١) اللام فى لعمت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملأى ومنك متعلق بملاء وقت تجاوزت وذا انتهاء أى هذا انتهاء واللقاء الحقيق الحسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء الثين عليك حتى أصبح هذا الثناء يد حقيقا فى جانب ماستحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه المصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، والنهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدأ والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تحول عن آخره حين تاهت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

٣) أبدأت أحدثت وحدثت ، وأعدت كررت ، ومنك متعلق يعرف أو يبدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم مالا يعرف ابتداءه إلا منك لعظم بنا أئمت به ثم أتبع ذلك من الزيادة فيه بما عنى على الأول وأساء لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بنا كب أو بتقصير ، وبراه برىء يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذوته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برىء من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل القيمة والمراد هنا دلت ، والآلاء النعم والعطايا وكنمت

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِتَكْسِبَ رِفْعَةً  
لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءً (١)  
وَإِذَا مَطَرْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُجِدِبٌ  
يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ (٢)  
لَمْ تَحْكِ نَائِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا  
حَمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرَّحْضَاءُ (٣)

حجبت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن ذلك لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام

ما زلت مُنتظراً أُعجوبة زمننا  
حتى رأيتُ سؤالاً يُحتجى شرفاً  
وإذا كنت أي حجبت عن أنظار الناس دلت عليك نعمك وصنائعك فصد  
إليك العفاة كما قال :

من كان ضوءه جبينه ونوره  
لم يُحجباً لم يُحجب عن ناظر  
(١) الرفعة الاسم من الارتفاع والشكر عرفان الإحسان . وإن شئت قلت مقابلة  
النعمة بالقول والفعل والنية فيثنى على النعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه  
موليها . وللشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدأ مؤخر وعلى الإله متعلق بثناء ، يقول : ولقد  
بلغت من الرفعة غاية لا يزيد لها مدح مادح ولكن تمدح لتعجز العفاة وليعد الشاعر في  
جملة مداحك كالمشاكركر لله تعالى يثنى عليه ليستحق أجراً ومثوبة لا أنه سبحانه  
محتاج إلى ثنائه .

(٢) الجذب المثل ضد الحصب . والدأماء البحر على فعلاء قال الأفوه الأودي  
والليل كالدأماء مُستشعرٌ  
من دونه لونا كلون السدوس (١)  
يقول : إذا مطرت فليس ذلك لإجذاب محلك ولكن كما يمطر المكان الخصب  
والبحر وما غير محتاجين إلى المطر ومن هذا المعنى قول للعري .

وَالْبَحْرُ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ  
فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ  
(٣) النائل العطاء ، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحب فيكون سحب  
جمع الجمع قال تعالى . «حق إذا أقلت سحاباً ثقالاً» والرحضاء العرق أثر الحمى يقول :  
ليست تحكي السحاب بمائها عطامك للتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت  
حسدا لك ، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

(١) السدوس : الطيلسان

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا      إِلَّا بَوَجْهِ لَبْسٍ فِيهِ حَيَاةٌ (١)  
فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْفَلَاحِ      أَدُمُ الْهِلَالِ لِأَخْمَصِيكَ حِدَاةٌ (٢)  
وَلَاكِ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةٌ      وَلَكِ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاةٌ (٣)  
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مَنِكَ هُوَ      عَقِمْتَ بِمَوْلِدِ تَسْلِيمِهَا حَوَاةٌ (٤)

إن السحاب لتستحي إذا نظرتُ إلى نَدَاكَ ففَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا  
قال البديعون . وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد عللها  
بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء المدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رَأَى الزُّنُّ مَا تُعْطِي فَصَمَّ عَلَى الْأَسَى      فَوَادَا كَأَنَّ الْبُرْقَ فِيهِ لَهِيْبُ  
(١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة  
وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، والأخص باطن القدم ومارق من  
أسفلها وتحافى عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها انقدم كلها وقوله فبأيما قدم .  
استفهام مضاء التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ  
أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نلأ لقدميه . يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ  
تستحق أن يكون الهلال نلأ لها

(٣) الحمام . الموت يدعوله ، يقول : ليسكن الزمان وقاية لك من عواديه أى  
لمهلك الزمان بها دونك ولجئت الموت فداء لك من نفسه . وكل هذا كما ترى مبالغة  
في الدعاء .

(٤) اللذ : لفة في الذى وتسكن الواو من هو ضرورة ، أو على لفة ، والعقم عدم الولد  
يقول : لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله  
لكانت حواء في حكم العقيم التى لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشطر الأول  
ردى . ولكن الثانى جميل على أنه يلاحظ أن التنبى يخاطب - كما أسلفنا - رجلا يذهب  
مذهب الصوفية .

وغنى المغنى في دار الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُفَنِّئُ يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتِ ذِي السَّمَاءِ (١)

شَقَلَتْ قَلْبِي بِلِحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْغِنَاءِ (٢)

وبنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب

بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدِّي مِنْ الْبَمْدَاءِ (٣)

وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِي عَضْوُ بِالْمَسْرَاتِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ (٤)

مُسْتَقِلٌ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَأَنَّ نَجْمًا آجُرُهُ هَذَا الْبِنَاءِ (٥)

وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَنْجُرُ مِنَ الْأَسْرَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ (٦)

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْنِي بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ (٧)

(١) و (٢) الاستهتام للتعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى

ما يقول هذا التهنئة لأن قلبى وجوارحى مشتغلة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن

غناء هذا التهنئة

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقرب ، وأنا منك مبتداً وخبر ، ولا يهني عضو

كلام مستأنف يقول : إنما يهني الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا

منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتكرت فى ذلك

جميع أعضائه فلم يهني بعضها بضا . قال الواحدى : وهذا طريق التهنئة يدعى لنفسه

المساهمة والكفاءة مع المدوحين فى كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى

لم احتمل ذلك منه ؟

(٥) و (٦) مستقل خبر مبتداً محذوف . أى أنا مستقل ، ويروى أستقل والآجر .

الطوب المشوى ، ويحجر . من خري الماء ، يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت

بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك .

(٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهني ، فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهني



وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا بَنَرَاحُ بَيْنَ النَّبَرَاءِ وَالْحَضْرَاءِ (١)  
وَبَسَاتِينِكَ الْجِيَادُ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ سَمَّهِرِيَّةٍ سَمَاءِ (٢)  
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمَسِكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعِلْيَاءِ (٣)  
وَبِأَيَامِهِ الَّتِي أَنْسَلَخْتَ عَنْهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ (٤)  
وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ الْيَبِيضُ لَهُ فِي جَمَاهِمِ الْأَعْدَاءِ (٥)  
وَبِمَسِكَ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمَسِكِ وَلَكِنَّهُ أَرْبِجُ النَّسَاءِ (٦)  
لَا بِمَا يَبْتَنِي الْحَوَاضِرُ فِي الرِّبِّ فِ مِ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النَّسَاءِ (٧)

(١) و (٢) النبراء : الأرض . والحضراء : السماء . وفي الحديث : ما أقلت النبراء ولا أطلت الحضراء أصدق لهجة من أبي نذر . والسهمرية . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تنها بمكان والبلاء كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزعتك إنما هي الخيل وما تحمله من الرماح فهي بساتينك . جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر .

(٣) يقول : إنما غفره بما يبتني من العلياء ، لا بما يبتني من الدور كما قال :

بَنَى الْبِنَاءُ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْأَجْرِّ وَالطَّيْنِ

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتني ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وانسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما غر أبي المسك بما يبتني من العلياء وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي ، ولم يكن له إذ ذلك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتني . ويكنى به صفة مسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأربيج فوحان الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب النساء والذكر الجميل والصيت الحسن . « هذا » وهو معلوم أن كافور الأخشيدي كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتني الحواضر . أي أهل الحواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف .

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ (١)  
 حَلَّ فِي مَنْبَتِ الرِّيَّاحِينَ مِنْهَا مَنْبَتُ التَّمْرَاتِ وَالْآلَاءِ (٢)  
 تَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ بِشَيْءٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاهُ (٣)  
 إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءُ يُرَى بِكُلِّ ضِيَاءٍ (٤)  
 إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ (٥)

المكان الحصب الكثير الزرع والحضرة . ويطي . يستميل . قال كبير .

لَهُ نَقْلٌ لَا يَطْبِي الكلبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسْطَ الْجَالِسِ شَمَّتِ

« يعنى كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والعمل بسكون العين مؤنثة ؛  
 ولكن كثيرا فتحها لا افتتاح ما قبلها . أى إن حركتها حركة إجماع » يقول المنبى :  
 إنما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتل الأعسداء . ويطيب التناء ، لا بما  
 يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستميل قلوب النماء

(١) السنا ، المقصور : الضوء والنور . والمدود الثرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه  
 الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفة ونوراً ، فكأنك أنزلت الدار  
 في دار أجل منها وأجل : أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .

(٢) الرياحين : جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من  
 أنواع الشوموم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .

(٣) ذرت الشمس : بدت أول ط' عها . قال الواحدي : يريد أنه في سواده مشرق  
 فهو يشرقه في سواده يفضح الشمس ، يجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس  
 ذكرآ . أو يريد . تناءه من العيوب ، ويقال للشهور : منير ولتنق من العيوب منير ؛  
 ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى .

(٤) أخبر أنه أراد بإنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته وتقاؤه عما يلج به . وأن  
 ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو زرى : أى يستبين بكل ضياء .

(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وإنما المولى  
 عليه يياض النفس وتقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بن  
 الحساس :

كِرْمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَرَهُ  
مَنْ لَبِيسِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبَدِّلَ اللَّوْنُ  
فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَانِ  
يَا رَجَاءَ الْعَيْونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ  
وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْبِلِي  
فَارَمَ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَأَنِي  
وَفُوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا  
فِي بَهَاءٍ وَقُدْرَةٍ فِي وَقَاءٍ (١)  
نَ بِلَوْنِ الْأَسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ (٢)  
نَ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ (٣)  
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي  
قَبْلَ أَنْ نَلْشَقِي وَزَادِي وَمَائِي (٤)  
أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرَّوَاهِ (٥)  
نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّمْرَاءِ (٦)

إن كنت عبداً فنفسي حرة كرمياً أو أسود اللون إني أبيض الخلق  
(١) أي لك كرم في شجاعة الخ . يقول : إنك كريم شجاع ، ذكي الطبع ، بهي  
النظر ، فوقدرة على ما تريد ، واف بالعهد والوعد فيما تقول .  
(٢) و (٣) السحناء : السحنة أي النظر والهيئة ، والأعيان : من جموع العين  
كطير وأطياف ؛ وفي أكثر الكلام عيون وأعين . يقول : إن الملوك البيض الألوان  
يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحناتهم بسحتك ليرام أهل الحرب بالعيون التي  
رونك بها وذلك أن الأسود مهيبة في الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من  
يكفل لهم بهذه الأمنية ؟  
(٤) المفاوز : الصحراوات المهلكة ؛ وصيحت مفازة على سبيل القائل بالسلامة كما  
قيل للديح سليم . يقول : لقد أفنت المفاوز — التي جبتها إليك — خيلى وزادى  
ومائى . يذكر طول الطريق إليه وأنه صمد إليه من شقة بييدة :  
(٥) و (٦) الرواه : النظر والشارة . يقول : استكفني ما شئت من أي أمر  
عظيم تقذف بي إليه فإن قلبي قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمي الصورة وفوادي فؤاد  
الملوك عزماء ورأيا ودهاء وإن كان لساني لسان شاعر . قيل : إن أبا الطيب يقصد بهذا  
التعريض إلى طلب ولاية من كافور ، وقالوا : إنه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن  
يلقنه ما في نفسه .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه ويهبجو كافورا:

ألا كل ماثية الخيزلي فدا كل ماثية الهيدبي (١)  
وكل مجاوة بجاوية خنوف وما بي حسن المشي (٢)

(١) الخيزلي : مشية للنساء فيها استرخاء وتناقل وتفكك . قال الفرزدق :

حوارية تمشي الضحى مرجحة وتمشي المشي الخيزلي رخوة اليد (١)

والهيدبي : ضرب من مشي الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهدب الظلم إذا أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيدبي : يريد أنه ليس من أهل الغزل والعشق والتشبيب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولما بالخيول ، وهذا من قول أبي تمام :

يرى بالسكائب الرود طلعة نائر وبالعزميس الوجناء غيرة آيب (٢)

(٢) وكل : عطف على كل ماثية الهيدبي . والنجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبا قالوا: ولا يوصف بذلك البعير . ومجاوية : منسوبة إلى مجاوة وهي أرض بالنوبة تعرف نوبها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطرياح :

مجاوية لم تستدر حول مشير ولم يتخون درها صب آفن (٣)

(١) حوارية يريد الشديدة البياض انقية ، ومرجحة : يريد سميعة ثقيلة فإذا مشت

تقيأت في مشيتها . ورخوة اليد : أي مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يدك واسترخ إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام

(٢) السكائب : الجارية الناهد : والرود: الشابة الحسنه الشباب، والفرمس : الناقة

الصلبة، والوجناء : الناقة العظيمة الوجتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس الموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة

وأكثر ما يقال في الإبل ؛ ومثبر الناقة أيضا حيث تنحر والتخون : انتقص ، والآفن :

الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب ، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها ، والدر

اللبن ، وضب الناقة : حلبها بالكف .

قالوا: وكان أهل بجاوة هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها ، وكانت النوق تنمطف معهم كيما أرادوا ، فإذا وقعت الحرب في رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت نوقهم تنمطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جنى عن التنبي قال : يرى الرجل من أهل بجاوة بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها .  
ويقال : خنف البعير في مشيه إذا سار قلب خف يده إلى وحشيه وناقة خوف قال الأعشى :

وَأَذْرَتْ بِرِجْلَيْهَا النَّبْيَ وَرَاجَعَتْ  
يَدَاهَا خِنَافًا لَيْتَنَا غَيْرَ أَحْرَدًا<sup>(١)</sup>

وقال في الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى أتمه من الزمام ، والخناف الذى يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبي وجزة :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَيْسُ النَّجَائِبُ تَفْتَلِي  
بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَانِفَ فِي الْبَرَى<sup>(٢)</sup>

والخنوف من الإبل اللينة اليدين في السير والشئ جمع مشية كسدره وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن مشى النساء وما بي شهوة إلى ذلك وإنما نزاعى ويميل إلى كل ناقة خفيفة المشى ، أو تقول : إن قوله وما بي حسن المشى كالأستدراك على قوله خوف أى لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيها لأنى لست أنظر إلى حسن المشى ولكنى أستعين بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالى .

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقال أو يكون خلقه حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير واغلت الدابة فى سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير .

وَلَكِنَّهُنَّ حِيَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى<sup>(١)</sup>  
 ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَا رِيًّا لِهَذَا وَإِمَّا لِنَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا فَرَعَتْ قَدَمَهَا الْجِيَادُ وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا<sup>(٣)</sup>  
 فَمَرَّتْ بِنَخْلِ وَفِي رَكَبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غَنَى<sup>(٤)</sup>  
 وَأَمَسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنَّقَا بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى<sup>(٥)</sup>

(١) العداة : الأعداء ، والميط : الدفع . يقول : لست آبه للشئ سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوعى بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) اتية : هناتيه بنى إسرائيل ، وهو الذى بين القارم وأيلة ، وهو الذى سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والهلاك . يقول : ضربت بها انقلاة مخاطرا كما يضرب المقامر بالسهام وهو لا يدري ما يقسم له من غم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقى انقفار ملقيا بنفسى بين انغوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله بيض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فزعته هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يحبون الخيل ويركبون الإبل ، فاذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيوف والرماح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبائها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يباليون الظمأ .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونامن تخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت : إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والانتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَتَحْنُ بَيْرَبَانَ هَا<sup>(١)</sup>  
وَهَبْتَ بِحَسْمَى هُبُوبَ الدُّبُورِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا<sup>(٢)</sup>  
رَوَى الْكِفَافِ وَكَبِدِ الْوَهَادِ وَجَارِ الْبُيُورَةِ وَادِي الْغَضَى<sup>(٣)</sup>  
وَجَابَتْ بِسَيْطَةِ جُوبِ الرِّدَا ۚ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا<sup>(٤)</sup>

في التخيير تأويلان : أحدهما أن الهوادي من الحيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثاني : أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

\* يشكو إلى جلي طول الشرى \*

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقلنا للإبل أين أرض العراق ؟ — لأننا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — ها هي ذه : أي دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة المترامية ليست في نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جنى : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أي الإبل ، يريد نشطت في سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من الغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت في هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق .

(٣) روى : أي قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الياء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادي الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادي الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سأرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناسي ، ومن تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجُوفِ حَتَّى شَفَّتْ      بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى (١)  
 وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَاحَ      وَلَا حَ الشَّفُورُ لَهَا وَالضُّحَى (٢)  
 وَمَسَى الْجُمَيْمِيِّ دِنْدَاؤُهَا      وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا (٣)  
 فَيَالِكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكَشٍ      أَحَمَّ الْبِلَادِ وَخَفَى الصُّوَى (٤)  
 وَرَدْنَا الرَّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ      وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى (٥)

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيًا      صَدَاىَ وَإِنْ رَوَى غَلِيلَ الرَّاكِبِ  
 والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت  
 عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدي : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صوري . ذكر ذلك أبو عمرو  
 الجرمي ، والشفور : موضع بالسماوة قال العسكري : هو موضع بالعراق ، تقول العرب :  
 إذا وردت شغوراً فقد أعرت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شاغرة ، إذا لم  
 يكن لها من يحمها ، والصبح والضحي : إما منصوبان على معنى العية ، وإما مرفوعان  
 على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح ، وظهر لها  
 الشفور مع وقت الضحي .

(٣) الجميى والأضارع والدنا : مواضع . والدنداء : سير سريع أرفع من الحجب  
 يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميى ، وفي الغداة بلغ الأضارع والدنا .  
 (٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخنق : صفتان لليلا ، وليلا تميز ؛  
 ويالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب في  
 الطريق ليتهدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد  
 وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمه : موضع قرب الكوفة . والجوز في الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا  
 صدر الليل لقوله : وبقية أكثر ؛ والضمير في الموضعين لليل ، يقول : وردنا هذا المكان  
 صدر الليل وبقية أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهيمة



فَلَمَّا أَتَيْنَا رَكَّزْنَا الرِّمَاءَ حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْمَلَأَ (١)  
 وَبَدَّنَا نُقْبَلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا (٢)  
 لَتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى (٣)  
 وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا (٤)  
 وَمَا كَلُّهُ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى وَلَا كَلُّهُ مَنْ سِيمَ خَسَفًا أَبِي (٥)

ماء وسط أعكش : أى وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « أعكش » وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب التبريزي : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة فى النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل الثانى كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثانى الذى كالوسط ، وهو الجوز قد مضى ربهه وبقى ثلاثة أرباعه ؛ وهذا أبين وأوضح ، ويجوز أن يكون الضمير فى باقيه ليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى فى الكوفة وأنخنا ركابنا بها وركزنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقاتل من قاتلنا فى الطريق وظفرنا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والملا فظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأننا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بتنا قبل أسيافا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بتنا تبنا ، أى رجنا قبل الح .  
 (٣) لتعلم مصر : أى أهل مصر . والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية ، وهى من حلب إلى حماه . وآل فى الفتى للاستفراق . أى الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أى لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أى بماقلته من أنى سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أى ضم كافر ؛ وعتوت . أى تجبرت على من تجبر على .

(٥) ساهه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والحسف : الضم والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلَا بَدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يَصَدُّعُ صُمَّ الصَّفَا<sup>(١)</sup>  
 وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى<sup>(٢)</sup>  
 وَكُلُّ طَرِيقٍ أَنَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخَطَا<sup>(٣)</sup>  
 وَنَامَ الْخَوِيدِمُ عَنِ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى<sup>(٤)</sup>  
 وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا يَبِينَنَا مَهَامِيهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى<sup>(٥)</sup>  
 لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصِيِّ أَنَّ الرَّؤُوسَ مَقْرَأُ النَّهَى<sup>(٦)</sup>  
 فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ الثَّمَمَ كُلَّهَا فِي الْخَصِيِّ<sup>(٧)</sup>

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القوية وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضامت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويغوض شدائده حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه ؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة - بضم الحاء - وهي ما بين القدمين

(٤) الخويدم : تصغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنماس . يقول : نام كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نأتما غفلة وعمى ولم يك نأتما النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وَحَبَّرَنِي الْبَوَّابُ أَنْكَ نَائِمٌ وَأَنْتِ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريبا منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأني بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علما بالشيء وإن قرب منه

(٦) و (٧) انتهى : العقول ، جمع نهية ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحَكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبَكَاءِ<sup>(١)</sup>  
 بِهَا نَبِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَاحِ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَسْوَدٌ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدَّجَى<sup>(٣)</sup>  
 وَشِعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَكَدَنَّ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّقَى<sup>(٤)</sup>

ما هو قبيح يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الحصى ، فإنه لما حصى ذهب عقله وحمق .

(١) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك ، ثم قال : لكن ذلك الضحك كالبكاء ، كما قالوا : وشر البلية ما يضحك .

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبي واحد النبط ، وهم جيل من العمم ينزلون البطائح بين العراقيين ، قال المعري :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَيْبُطُ  
 اسْتَنْبَطَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَامِي بِمَدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق ؛ والفلا : جمع فلاة ، والمراد بها البادية ؛ وأهل البادية هم العرب . قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا انفضل بن حنزابه وزير كافور ، وقيل : أبا بكر المدرانى النسابة ، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٣) المشفر فى الأصل شفة البعير ، يقول : وبمصر أسود - يريد كافورا - عظيم الشفة حتى لكأنها قدز نصفه ، يموهون عليه ويشبهونه بالبدر ، والبدر هو ما هو جمالا وإشراقا ، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما ؛ ومع ذلك يصدقهم ويفتبط بتكذابهم .

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعامة - كما فى القاموس - تشدد النون : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، طلى أنفه قرن واحد ؛ ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى المريس ، يقول : ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والحير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقبه به وأحتال لأجلب ماله من وجه آخر .

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا الْوَرَى<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَامِهِمْ فَأَمَّا بَرْقٌ رِيَّاحٌ فَلَا<sup>(٢)</sup>  
وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَكَوهُ فَتَا أَوْ هَدَى<sup>(٣)</sup>  
وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى<sup>(٤)</sup>

وعاب قوم عليه علو الخيام ، فقال<sup>(٥)</sup> :

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أُبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَّاءِ وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلسَّمَاءِ<sup>(٦)</sup>

(١) قال ابن جنى : إذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفلا ثم مدح فذلك هجولم ؛ لأن فيه إرغامهم ومدحا لمن ينافى طباعهم . وقال غيره : يعنى لم يكن ذلك الشعر مدحا له ولكنه فى الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله .  
(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا اعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريبح - يعنى كافورا - وينقادوا إليه ويعظموه فذلك ما لم أره إلا فى مصر وأهلها - والزق أسود ، وإذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أى الأصنام ، وذا : أى زق الريح ، أى كافور

(٤) هذا هو بيت التصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستبجوا منه ما استحسنت ، وإنه لبلاء عظيم . . .

\* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب فقيل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى أبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسما

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ (١)  
تَنْفَسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاءِ (٢)

وقال يهجو السامري (٣) :

أَسَامِرِيُّ ضُحْكَةٌ كُلُّ رَأْيٍ فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْبَى الْأَغْيَاءِ (٣)

فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الحيام فوقك ؟ يريد أن ريتك فوق كل شيء ؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرا :

(١) يقول : لما زيلت الشام وفارقتها وأوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجبال الذي كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جامها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالي منك عرف أهلها والقيمون بها طيب نسك في الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي عينة :

تَطِيبُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنْفَسْتُ كَأَنَّ قَتِيتَ الْمِسْكَ فِي دُورِنَا هَبًّا

وتنفس — بحذف إحدى التائين — أى تنفس ، والعواصم بلاد منها حلب وفسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تصمم أهلها بما عليها من الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .

• أنشد المتنبي سيف الدولة يوما قوله :

واحرّ قلباه ممن قلبه شميم

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه بنطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال لسيف الدولة : ألقه فأخذ لك رأسه ؛ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجو بهما .

(٣) يقول : يا سامري يامن يضحك منه كل من رأى كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغبى الأغبياء ، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناه المعتصم قرب بغداد ، وكان لما أخذ في بنائه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على السنة العامة سامرا وسمرى والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ (١)  
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سِنِّي فِي هَبَاءِ (٢)

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لاتدرى أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يروونه أهلاً حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكثرته له ، أى ماهجوت قبلك مثلك ولا حاك في صدري ذلك ، وهل يليق بمنلى أن يجرب سيفه في قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ      والممدحُ فيكَ كما علمت جليلُ  
فأذهبْ فأنْتَ طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ      عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذليلُ  
وقول الآخر :

قَلِّ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْى تَشَا      وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِدْ شِمَالَا  
نَجَا بِكَ لَوْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ      حَمْتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا  
وقول بعضهم :

إِنِّى لِأَكْرَمِ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا      هَجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُومُ أَحَدُ  
مَاذَا يَقُولُ لِمَنْ كَانَ هَاجِيَهُمْ      لَا يَبْلُغُ النَّاسُ مَا فِيهِمْ وَإِنْ جَهَدُوا

## قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف

بالشديين :

لَعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ      تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ (١)  
حَمَالَةٌ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ      وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ (٢)

وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ      وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابٍ (٣)  
وَمَا يَنْفَكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا      وَلَا يَنْفَكُ غَيْثُكَ فِي أَنْسَابٍ (٤)  
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْعَوَادِي      مُسَايِرَةَ الْأَحْبَاءِ الطَّرَابِ (٥)  
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ      وَتَفْجِزُ عَنْ خِلَاتِكَ الْعِدَابِ (٦)

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أنى أرى سيفاً يحمل سيفاً وسحاباً يمطره سحاب ، والحالة التى يحمل بها السيف ، والحسام الأول هو السيف ، والثانى هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويبنى . يقول : أنت أفضل من السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهى نبات الأرض تبلى - وذلك عند هيجه - ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا به فأنت خالده وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب يتقاد ويلين لهم كما قال البحرى :

أشرفن حتى كاد يَحْتَبِسُ الدَّجَى      وَرَطْبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ  
فجعل الصخر يكاد يجرى لينه برطوبة الزمان .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والعوادى السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفْرِ اعْتَرَضَ الدَّمِي فَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ (١)

فقال :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلَا حَرْبٍ (٢)

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والحلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجيج من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم .

أما والذي حَجَّ الْمَلِثُونَ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ وَالنَّحْرِ  
لَقَدْ زَادَنِي لِلْفَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لِيَالٍ أَقَامْتَهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْفَمْرِ  
وَهَلْ يَأْتُمْنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتَهَا وَعَلَّتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ  
وَسَكَنْتُ مَا بِي مِنْ كِلَالٍ وَمِنْ كَرَى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَتْرِ

وأعرض : استقبل ، والدمي : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فدينك دعاء ؛ والخطاب للحبيب ، وأهدى منادى باسقاط حرف النداء قال الواجدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث : واهدوا هدى عمار . أى اقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : يا أقتل الناس سهما إلى قلبي يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تحفظه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى الزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة الكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفضل إذا كان للتفضيل فينه وبين أفضل التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرة



تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِ الْهَوَى  
فَأَنْتَ جَمِيلٌ أَخْلَفَ مُسْتَحْسِنُ الْكِذْبِ (١)  
وَإِنِّي لَمَنْعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَعَى  
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْحُبِّ (٢)

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية، فعل بفتح العين، وفعل بكسرها ، وفعل بضمها ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك؟ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش (١) إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أفعل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهما منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولاً وكذلك أفعل الذي للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكْرَهُ وَأَخَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا فِي اللَّقَاءِ الْقَوَانِسَا (٢)

فنصب القوانس بفعل مضمر تم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلا نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .

(١) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاما تخالف سائر الأحكام لأن الخلف في الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب \* وكل ما يفعل المحبوب محبوب \*

(٢) يقول : إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى في الحرب ولكني مع ذلك يصاب مقتلى في الحب فلست أستطيع اللطاع عن شمس في ميدان الهوى وهذا من قول أبي تمام :

(١) يقال هدت الإبل والوحش والحيل تهدي إذا تقدمت وهاديات الوحش أوائلها وهي هودايا  
(٢) القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح

عند النظر للإسراء

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الْحُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ (١)

« وقال يعزبه عن عبده يمالك التركي وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة » :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي سَأَخُذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ (٢)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعِيُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ (٣)

كَمْ مِنْ دَمٍ يَمْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهَامَ إِذَا بَانُوا تَحَسَّكُمُ فِيهِ الْعِرْمِسُ الْأَجْدُ  
« جيش لهام: كثير يلتم كل شيء ، والعرمس الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد بضم  
الهمزة والجرم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب ،  
والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس  
بأهون سعى فقلوه أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه  
سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله الأمير فإن حزنه يستتبع  
حزنى أشاركته إياه فى أحواله فلا أصابه الله بحزن لثلا أحزن ؛ والمعنى واضح وجميل .  
ومن ثم كان قد صاحب هذا البيت - بقوله . لا أدرى لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ  
أبو الطيب بنصيب من القلق - فى غير موضعه . ويجوز فى يحزن الجزم بلا والرفع على  
أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سأخذ هي رواية ابن جنى وعليها مضينا ، وفى  
رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا  
لحزبك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكى  
بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفى البيت حذف لا يخفى ، فهو من قيل \* علفتها تبنآ وماء  
باردا \* قال الواحدى : ولك أن تجعل الباء فى بعيون للتعدية أى أبكهاها . والمعنى أنهم  
يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد المهلبى :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُونَا إِذْ حَزَّتْمْ غَيْرُ إِنْصَافِ

وَأِنِّي وَإِنْ كَانَ الدِّفِينُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي (١)  
 وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِيَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاهِ المَوْتِ كُغْلًا طَبِيبِ  
 سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعِنَا بِهَا مِنْ جَنِيَّةٍ وَذُهُوبِ (٢)  
 تَمَلَّكَهَا الآتِي تَمَلَّكَ سَالِبِ وَفَارَقَهَا العَاضِي فِرَاقِ سَلِيبِ (٣)  
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِشَجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلَا لِقَاءَهُ شَعُوبِ (٤)

(١) الدفين المدفون ، وحبیب حبيبي مبتدأ مؤخر ، وحبیب إلى قلبي خبر مقدم ،  
 والجملة خبر إنى يقول : إنى أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذى يحبه حبيبا  
 إلى قلبي وإن كان غريبا منى .

(٢) يقول : لقد سبقنا غيرنا إلى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا  
 لنعصت بنا الدنيا وضائق علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والرجاء لشدة الزحام  
 وإنما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر . وجيئة مصدر جاء يجيء مجيئا  
 وجيئة وكذلك الذهب .

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلى  
 عنها الميت تخلى المسلوب ؛ وعبرة الواحدى : يريد بالآتى الوارث بعد الموت وبالماضى  
 الموروث أى أن الذى تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والميت كأنه مسلوب  
 سلب ما كان فى يده وهذا المعنى — كما قال العكبرى — مأخوذ من قولهم إنما فى أيديكم  
 أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء النية وهى معرفة لا تنصرف ولا تدخلها الألف واللام، سميت  
 كذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن  
 الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف  
 عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا يحمده على شجاعته ، وكذلك لا فضل للعباد على  
 البخل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال  
 فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس . ويهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ  
 حَيَاةِ أَمْرِي خَانَتُهُ بَعْدَ مَشِيبِ (١)  
 لَأَبْتَقِي يَمَّاكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةً  
 إِلَى كُلِّ تَرْكِي النَّجَارِ جَلِيبِ (٢)  
 وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكِي  
 وَلَا كُلُّ جَفْنِي ضَمِيْقٍ بِبِنَجِيبِ (٣)  
 لَيْنُ ظَهْرَتِ فِينَا عَلَيْهِ كَأَبَةٌ  
 لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ (٤)  
 وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلُّ يَوْمٍ تَنَاضُلِ  
 وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلُّ يَوْمٍ رُكُوبِ (٥)

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبعضى الباقي ، والمراد هنا الأول . يقول :  
 إن الحياة لا بد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقتها ولكن أوظاها له  
 تلك التي تصعبه إلى وقت المشيب فلا تزياله حتى يطول استمتاعه ويستوفى لذة العيش  
 ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزي : يريد أن الدنيا تغتم الشباب  
 لذة الوفاء فإذا أبقتهم كان قصارها أن تفنهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو  
 تفسير حسن .

(٢) لأبقي . جواب قسم محذوف . أي والله لقد أبقى ؛ وعماك اسم مملوك سيف  
 الدولة وهو تركي ؛ والنجار الأضل ، وجليب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى  
 يماك بموته في قلبي صباة وميلا إلى كل تركي أي إلى كل من هو من جنسه

(٣) العجيب الكريم « ضد اللثيم » والفاضل النفيس في نوعه . يقول : إن يماك  
 ترك في قلبي هذا الليل إلى جنسه لذلك الشبه الذي بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه  
 في الصورة يشبهه في العن والنجابة ، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق ، فهو يقول  
 في الأول : إنه يحب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون  
 ثم قال : إنه ليس كل تركي مباركا ولا كل تركي نجيبا كالركن وإنه فهو يحبهم لأنهم يشبهونه  
 في الصورة وإن لم يشبهوه في العن والنجابة .

(٤) و (٥) القضيبي السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامي  
 بالسهم . قال المكبري : في الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب  
 بسهامهم رمي بعضهم بعضا وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رمياً ؛  
 والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمي  
 وقت الزوال وكان فارسا يحسن الركوب للغارة والطمعان ومن ثم حزنت عليه السيوف  
 والقسى والحيل فلا عجب إذ حزنا نحن عليه . واللام في قوله لأن ظهرت لام القسم

يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُخَلَّ بِمَادَةٍ      وَتَدْعُو لِأَمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ (١)  
 وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا      نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبٍ (٢)  
 فَإِنْ يَكُنِ الْعَلِقَ النَّفِيسَ قَدْتَهُ      فَمَنْ كَفَّ مِتْلَافٍ أَعْرَ وَهُوبٍ (٣)  
 كَانَ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جِدِ      إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بَجَدِهِ بِعُيُوبٍ (٤)

دخلت على حرف الشرط وآتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير في القرآن الكريم ، وفي الشعر .

(١) وتدعو عطف على يخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على يمالك أن يغير عاداته في خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك .  
 (٢) ذي لبدين أي أشده واللبد الشعر التراكب على كتف الأسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أمداً وفقى أدبياً أي إنه كان جامعاً بين الأدب في الخدمة وقوة الأسد لدى البأس . وانتهى في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمتكلم وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العاق هو النفيس من كل شيء ، وهو خبر يكن وجملة قعدته حال ؛ والتلاف الذي يتلف أمواله سخاء وجوداً والأعر الشريف يقول : فإن يكن يملك العلق النفيس قد قعدته فإما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالهاء فهو على الخطاب لسيف الدولة ويكون العلق منصوباً على الاشتغال أو بفعل مضمحل دل عليه قوله قعدته ، والتقدير ، فإن تكن قعدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم ممتد . ولتراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه العوذة وهي الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان السهر ونوابه حتى يحصل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَصَ الْأَنْبَامُ إِلَى كَالِكَ فَاسْتَعِذُ      مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ  
 وقول الآخر :

قد قلت حين تكاملت وغدت      أفكأله زيناً من الزين  
 ما كان أحوجَ ذا الكمال إلى      عيبِ يوقيه من العين  
 « كان زائدة ، وذا الكمال . أي هذا الكمال . »

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيْنَنَا  
وَلَلتَرَكُ لِلإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ  
وَإِنَّ الذِّي أَمَسَتْ نِزَارٌ هَبِيدَهُ  
كَفَى بِصَفَاءِ الوَدِّ رِقًّا لِمِثْلِهِ  
غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ (١)  
إِذَا جَعَلَ الإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبٍ (٢)  
غَنَى عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبٍ (٣)  
وَبِالقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلِيبِ (٤)  
أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ (٥)  
فَقَوْضَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأَجْرُ إِنَّهُ

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساءته بالتنبيه إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسوء أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفرقه بيننا في إحسانه عرفنا إساءته . والآيدى : النعم

(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذا أن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بتربيته وتمهده وإعماجه فترك المحسن إحسانه أجل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :

أَبْدَأُ تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا فَيَالَيْتَ جُودَهَا كَانَ بَخْلًا

واللام في قوله وللترك لام الابتداء ، وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وآتمه .

(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركي ، وخص نزار لأنه أبو القبائل الأشراف كقريش وغير قریش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء في قوله بصفاء وبالقرب زائمة ، وصفاء والقرب في محل رفع بكفى ، والرق العبودية ، واللييب العاقل . يقول : إن سيف الدولة استعبد العرب بمصافاته إيائهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنسانا استرقه بكرة الإحسان إليه . وإن لم يئتمه كما يبتاع العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من يملك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد يثاب من الله فضمير إنه إما عائذ على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائذ على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الإثابة .

فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ نَحْوَرَهَا <sup>(١)</sup> يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ عَصِيبِ  
يَعَافُ خَيْمَ الرِّيطِ فِي غَزْوَاتِهِ <sup>(٢)</sup> فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ  
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِمًا <sup>(٣)</sup> بَشَقُّ قُلُوبِ لَا بَشَقُّ جُيُوبِ  
فَرُبَّ كَثِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُؤُنُهُ <sup>(٤)</sup> وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرِ كَثِيبِ

(١) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجلة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوب اليوم والشر اشتد . ويوم عصيب وعصيب شديد وليلة عصيب كذلك ولم يقولوا عصبية ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واشتد عليهم ويقال لأمعاء الشاة إذا طويت وجمعت ثم جلت فى حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب والعصيب أيضاً الرثة تصب بالأمعاء فتشوى قال حميد بن ثور يصف نساء نshan بالبادية :

أولئك لم يذرين ماسمك القرى ولا عصب فيها رثات العارِس <sup>(١)</sup>  
يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بلت السماء نحو الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الريط جمع ريطرة وهى اللامة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفتين ، وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والحيم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستقلال بالخيام للتحذة من النسيج وإنما يستظل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إليك على هذه الرزية نالقة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شق جيوباً من رجال لو اسطوا عوا لشقوا ما وراء الجيوب  
وجيب الصيى ما امتنع منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالسكاء يعلم الحزن ، فرب محزون عصى الدمع فلا يبكى ورب بك

(١) العارِس جمع عمروس والعمروس والطمروس الحروف والصب جمع عصب وهو ما عرفت .

تَسْبَلْ . يَفْكَرُ فِي أَيْنِكَ فَإِنَّمَا بَكَيتَ فَكَانَ الضُّحْكُ بِمَدِّ قَرِيبٍ (١)  
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكُرَيْمِ مُصَابَهَا يَحْبُثُ ثَمَّتْ فَاسْتَدَّ بَرْنَهُ بِطَيْبٍ (٢)

تنسكب دموعه وليس بمحزون . قال العكبري : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو علي في آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذِي لُبٍّ يَمُوتُ نَصْحَهُ وما كلُّ مُوتٍ نَصْحَهُ بليبي  
(١) في أيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى ، يريد في أبويك ، وهي لغة للعرب صحيحة فإن بعض العرب يقول في ثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفي الإضافة أيك وإذا جمعت بالواو والنون قالوا : أبون ، قال الشاعر :

فَلَسَا تَبَيَّنَ أَصْوَاقُنَا بَكَيْنَ وَفَدَيْنَا بِالْأَيْبَانَا (١)

وعلى هذا قرأ بعضهم : إله أيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . يريد جمع أب أي أينك حذف النون للإضافة يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكير في مصابك بأبويك فقد يكتفئ لقدمها ثم ضحكت بعد ذلك بمدينة وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سيذهب عن قريب وعجزة بعض الشراح : تفكر في آباءك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب كذهابهم فلا يجب الحزن . وفي معناه :

قَضَى لِلسُّومِ عَازِلَتِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَإِنْسَابِي

« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فَإِن أَنْتَ لَمْ تَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لِمَلِكِ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ  
(٢) المصاب هنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالحث الجزع وبالطيب الصبر ، ويقال بات فلان خبيت النفس : أي ثقيلها كرهه الحال وفي حديث هرقل : فأصبح يوما وهو خبيت النفس ، أي ثقيلها كرهه الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبيت نفسي ، أي ثقلت وغثت كأنه كرهه اسم الحث وفاعل ثمت يعود على النفس أي صرفت الحث ، أو تقول ثمت أي اثنت يقول :

(١) يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن فبكين إليهم وفديهم بأبائهم سرورا بوفودهم عليهن .



وَاللَّوْاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ  
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ  
فَدَتِكَ نَفْسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّمَا  
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا  
(١) سُكُونُ عَزَاهُ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ  
(٢) فَلَمْ تَجْرِ فِي آفَاقِهِ بِغُرُوبِ  
مُصَدَّبَةٌ فِي حَضْرَةِ وَمَغِيبِ  
(٣) وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبِ

إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعله أن الجزع لا يفيد. قال المكبري: وهذا من قول الحكيم: من علم أن الكون والناسد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعله أنه من كونها فهان عليه ذلك ليجز الكل عن دفع ذلك.

(١) الواجد المحزون، والزفرة تصيد النفس بعد مده، واللغوب الإعياء. يقول: لا بد للمحزون من سكون فيما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء، فالماقل من يتعزى، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجِرَ أَمْ تَسْلُو سَلْوَةَ الْبِهَامِ

ويقول محمود الوراق.

إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة سلوت على الأيام مثل البهائم

(٢) كم هنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين ممولها فبطل الخبر. وغروب جمع غرب وهو السمع يقول: كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك، والغائب عن قرب كالغائب الذي طال عليه العهد. قال الخطيب: وهذا المعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه. أقول: وقد الخطيب واضح وفي محله كما ترى.

(٣) من يحسد مبتدأ مؤخر، وفي تعب خير مقدم، ونورها بدل من الشمس أو مفعول ثان ليحسد، وأسكن الياء من يأتي ضرورة. وأكثر ما يكون ذلك في الياء والواو. والضريب النظير يقول: مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس بنظير وهذا في تعب لازب لأنه يحتاج المحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس.

وقال يمدحه ويذكر بناء مرعش سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة :

فَدِينَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرِيْبًا      فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالقَرْبَا (١)  
 وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا      فَوَادًّا لِمِرْفَانَ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا (٢)  
 نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَفْسِي كَرَامَةً      لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبًا (٣)  
 نَذَمُ السَّحَابَ الفُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ      وَنَعْرِضُ عَنْهَا كَلْمًا طَلَمْتُ عَتْبَا (٤)  
 وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ      عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا (٥)

(١) يخاطب ربيع الحبيب ويدعو له . وقوله من ربيع تميز ، ومن زائدة ، والربيع المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما المربع ومثله المرتب والمترتب فهو اللوح الذى ينزل فيه أيام الربيع يقول : فدينك أيها الربيع من أحداث الدهر ونوابه برغم أنك زدتنا وجدا بما هجت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس يخرج منك ويود إليك وكنت له كالشرق حين يظهر وكالغرب حين يختب .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حمله على المعنى لأن التصود بمن ، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير ، وأن نلم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم به ركباناً ، ونلم نزل يقول : لما أتينا هذا الربيع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن نزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

حِيَّتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُمُورُهُ      يَوْمَ العَقِيقِ سَوَالَ دَمْعِ سَائِلِ

نَحْنُ وَنَزَلَ وَهُوَ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ      مِنْ أَنْ يُنْذَلَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالفر : أى البيض : وإنما قال الفر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربيع وغيرت معاله بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتفتيتها الرسوم وفعلمها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربيع ولا حق

وَكَيفَ التَّذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَمُدُّ ذَلِكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّ<sup>(٥)</sup>  
ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًّا كَانَ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبًا<sup>(١)</sup>

لنا في هذا الظم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمان إليه من صفاتها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغب بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستشق ذلك النسيم الذي كنت أجدته من قبل : يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحي قال الجوهري : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنت ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتفر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقينته ضحي وضحي إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن برى : ضحي مصروف على كل حال ، قال الجوهري : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحي من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعه بالوثوب ، ووثب قفز وطفر ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بديع ما قيل في قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لَأَسْأَلَ اللَّهَ تَغْيِيرًا لَمَّا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا

فَاللَّيْلِ أَطْوَلَ شَيْءٍ حِينَ أَفْقَدَهَا وَاللَّيْلِ أَقْصَرَ شَيْءٍ حِينَ أَلْقَاهَا

والشعراء أبدأ يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَانَةٌ الْعَيْنَيْنِ قَتَالَةٌ الْهَوَى إِذَا نَفَعَتْ شَيْخًا رَوَّاحُهَا شَبَابًا<sup>(١)</sup>  
لَهَا بَشَرُ الدَّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّبُهَاءُ<sup>(٢)</sup>

ليلي وليلي نفي نومي اختلافيهما حتى لقد تركاني في الهوى مثلا  
يجودُ بالطولِ ليلي كلما نخلت بالطول ليلي وإن جادت به بخلا  
وفي هذا البيت من الجنس الذي ترى ما يعجز عنه . وقال البحرى :  
فَلَا تَذْكَرُ أَعْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ تَقْضَى وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْمَصْرُ  
وما أبداع ما يقول الرضى :

يَا لَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا أَنْ يَفْتَرَّ فِيهَا الْمَشِيُّ بِالسَّحْرِ  
وقال بعضهم :

ظَلَّلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمَ مِثْلِ سَالِفَةِ الذَّبَابِ  
شبهه في القصر بنق الذباب ، ومثله لجرير :

وَيَوْمَ كَأَبْهَامِ الْقَطَاةِ مَزِينٍ إِلَى صِبَاهِ غَالِبٍ لِي بَاطِلُهُ  
وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

لَيْلَةٌ كَادَ يَلْتَقِي طَرَفَاهَا قَصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْمَيْلَادِ  
ويقول متمم بن نويرة :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةٌ مِمَّا

(١) النفع تضوع رائحة الطيب يقال نفع الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى  
النفع على المعنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفتانة عطف على وصلا في  
البيت قبله : أى وذكرت به فتانة يقول : وذكرت امرأة تفنن عيناها ويقتل هواها إذا  
نفعت روائحها شيخاً تصابي وعاد شاباً وهذا مثل قول الصنوبري :

بِلَفْظٍ لَوْ بَدَأَ حَلِيفٍ شَيْبٍ لِفَارَقِهِ وَعَادَ إِلَى شَبَابِهِ

(٢) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ، والدِّر اللآلئ العظام ، والشهب الدرارى  
من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذي تقلده ، وهى كالدر حسنا وجمالا ،  
وقلتها كدرارى النجوم ولم أرقبها بدرا قلد النجوم .

فِيَا شَوْقٍ مَا أَبْقَى وَيَالِي مِنَ النَّوَى      وَيَادَمْعٍ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَمَا أُصْبَى (١)  
لَقَدْ لَمِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِهَِا وَيِي      وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَا (٢)  
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسْدُ الضُّوَارِي جُدُودَهُ      يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبَا (٣)

(١) ويالى : يروى وبالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوقى ما أبغاك فلست تنفد ويا من لى بمنعنى من ظلم الفراق ويادمعى ما أجزاك وياقلبي ما أصباك وأشوقك وقد حنفت كما ترى يا آت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفاً لأن الكسرة تدل عليها ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبذية على الضم على أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء للتسكيم وحذف الكاف للنسوبة من أبقى وأجرى وأصبي للمخاطبة التى قبلها بالنداء . وقوله ويالى استغاثة قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاستغاثة كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى للمستغاث من أجله كأنه قال : يا قوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت الفرق ، والضب حيوان من الزحلات معروف يضرب به المثل فى الحيرة ، يقال : أحيّر من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند أوجهه يقول : لمب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجهه وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لأنه لا يحتاج إلى المساء أبداً فكذا لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيته وفارقها من غير وداع ولا التقاء فيكون التوديع زاداً كما قال بعضهم :

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ ضِحًّا وَالتَّزَامًا

وَسُلَيْمِي زَوَّدَنِي يَوْمَ تَوَدَّعِي السَّقَامَا

وقال ابن فوزه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفى إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء وعجاجة الواحدى يجوز أن يكون للمنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها بقوله : أنا فى البين مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس من عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل لا لنى إياها .

(٣) الضواري المضرأة والمولعة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشيطان وكان أباه كالأسود كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهراً فلا تعوقه

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِى الْعَلَا  
 أ كَانَ تَرَانَا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبًا<sup>(١)</sup>  
 قَرَبَ غُلَامٍ عَلمَ الْمَجْدِ نَفْسَهُ  
 كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّمَنِ وَالضَّرْبِ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مِلْمَةٍ  
 كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالسَّكْفُ وَالْقَلْبَا<sup>(٣)</sup>  
 تِهَابُ سَيْوْفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ  
 فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبًا<sup>(٤)</sup>

الظلمة عن بلوغه مآربه . وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جنى : قوله  
 يكن ليله صباحاً من قول الآخر :

فَبَادِرِ اللَّيْلِ وَلَدَانِهِ  
 فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذى ذكر فى البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالى  
 الأمور فلست أبالى بعد إدراكها أ كان ما يحصل فى يدي إرثاً أم كسباً فالتراث المال  
 الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول أراثنا كان لأن الهمة لا يليها إلا  
 المستول عنه فأخره لإقامة الوزن .

(٢) قرب غلام يعنى نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له  
 من يعلمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالد الأبطال بشجاعته وحذقه ،  
 وروى \* كتعليم سيف الدولة الضرباً \* أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال .  
 والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفى ، وقيل لا يكون إلا  
 بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبت وامتلأت بطونها علفاً  
 وأمجدها راعياً ويقال من هذا أجد فلان عطاءً ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس  
 المجد كثرة المسائر والمساعى كان مأخوذاً من ذلك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعتته عليه وقتت به دونه ، وقد استكفانى أمره فكفيته  
 وعداه هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به فى أية  
 مهمة أو نازلة كفاها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفاً لها على أعضائها وكفا تضرب  
 بها وقلبا تفتح به الأهوال ؛ قال العكبرى : يريد بهذا أن يفضل على سيف الحديد فإنه  
 لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها  
 فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟! أى تقطع بنفسها دون  
 استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربى نزارى ، فيكون أحق بالخوف منه .

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحَدَهُ  
وَيَخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ  
عَلِيمٌ بِأَمْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللَّسَى  
فَبُورِكَتَ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودَنَا  
وَمِنْ وَاهِبٍ جَزَلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلَا  
هَيْنًا لِأَهْلِ النَّغْرِ رَأْيِكَ فِيهِمْ  
فَكَئِيفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبًا<sup>(١)</sup>  
فَكَئِيفَ بَمَنْ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا<sup>(٢)</sup>  
لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا<sup>(٣)</sup>  
بِهِ تُنْبِتُ الدِّيَابَجَ وَالْوَشَى وَالْمَصْبَا<sup>(٤)</sup>  
وَمِنْ هَاتِكَ دِرْعَاوَمِينَ نَائِرٍ قُصْبَا<sup>(٥)</sup>  
وَأَنْكَ حِزْبَ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترئ أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليوث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطي وعب زخر وتدفق وقد سمى القوس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) التي جمع لثة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بورك وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والنماء ومن غيث تميز والديابج فارسى معرب وهو الثوب الذى سدها ولحمته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا .

(٥) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل والقصب المني والجمع أqvاب ؛ وفى الحديث : الذى يتخظى رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه فى النار قيل اسم للأمعاء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء يقول : وبوركت من رجل يهب المطاء جزلا ويزجر الخيل يستحها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأمعاء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هيناً وأصله ثبت رأيك هيناً لهم فحذف الفعل وأقيم الحال « هيناً » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنم حسن رأيك فيهم وأنتك صرت لهم حزبا — أى أعوانا وأنصاراً — فى حال أنك حزب الله .

وَأَنْكَ رُعْتَ الدَّهْرِ فِيهَا وَرَيْبَهُ  
 فَيَوْمًا بِجَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ  
 فَإِنْ شَكَ فليُحَدِّثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبًا (١)  
 وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجُدْبَا (٢)  
 وَسَرَايَاكَ تَتْرَى وَالْدَّمْسُتُقُ هَارِبُ  
 وَأَصْحَابُهُ قَتَلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى (٣)  
 أَنَى مَرَعَشًا يَسْتَقْرِبُ الْبَيْدُ مُقْبِلًا  
 وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا (٤)  
 كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا  
 وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَيْبَتُهُ رُحْبَا (٥)

(١) وأنك عطف على وأنك حزب الله في البيت السابق والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض وأرجنه إلى غير المذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفرغت وريب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنك صرت لهم حزبا وأنك فعلت في الأرض أفصلاً أفرغت الدهر وصروفه ، فإن شك الدهر في قولى فليحدث في الأرض خطبا . يعنى أن اناس آمنون من تصارييف الدهر فليس في استطاعته أن يمسم بسوء هية لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجذب : القحط .

(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشىء السرى أى النفيى وقيل لأنهم ينفنون سرأ وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهري تترى فيها لفتان تون ولاتون فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا التى يخلف بعضها بعضا ونهى أى منهوبة والدمستق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : أنى الدمستق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قريباً فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب جيداً خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

وَاللَّهِ مَا جِئْتُمْكُمْ زَائِرًا إِلَّا رَأَيْتُ الْأَرْضَ تَطْوِي لِي  
 وَلَا ائْتِي عَزْمِي عَنْ بَابِكُمْ إِلَّا تَمَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي

(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاد جينا يترك أعداءه ويخيم



وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللَّقَانِ وَوُفُوهُ      صُدُورَ الْعَوَالِي وَالطُّهَمَةَ الْقَبَاً (١)  
 مَضَى بَعْدَ مَا التَّفَّ الرَّمَاحَانَ سَاعَةً      كَمَا يَتَلَقَّى الْهَدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهَدْبَاً (٢)  
 وَلَسِكْتُهُ وَلَّى وَاللِّطْمَنِ سَوْرَةً      إِذَا ذَكَرْتَهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجُنْبَاً (٣)  
 وَخَلَّى الْمَذَارِيَّ وَالْبَطَارِيْقَ وَالْقَرَى      وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَاً (٤)

عن اللقاع وينكس على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغم سوى الرعب : أى أن الممستق عد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة العنينة لغيره .

(١) اللقاع ثمر يلاذ الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل في السنان إلى ثلثه والحيل للمطهمة الثامة الحلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل رد ؛ قال الواحدى : كان الممستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول : فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والحيل الحسان الضامرة .

(٢) يريد بالرمحين رماح الفريقين فنى الجمع كما قال أبو النجم :

• بين رمحين مالك ونهشل

والهدب : أشجار العين ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الأهداب الأعلى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

بأ التقينا بجمد ربى إلا      مثل ما تلتقى جفون السلم

(٣) السورة الحدة يقول : لسكته انهزم وللطمن في أصحابه حدة إذا تذكرها لس جنبه قائلا : هل أصابه شيء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشا مرعوبا لا يدري ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشعراء : إنه هرب وبقى من دهشه لا يدري ما يصنع فكان يلس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الدهول والفرع وهذا من قول أبي نواس :

إذا تفكرت في هسواى له      مسيت رأسى هل طار عن بدى

(٤) المذارى جمع عذارى وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرايين جمع قريان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام على لنة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كَلْنَا يَبْنِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ      حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبَابًا<sup>(١)</sup>  
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الثَّقَى      وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحَرِيَا<sup>(٢)</sup>  
وَيَخْتَلِفُ الرَّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ      إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبًا<sup>(٣)</sup>

(١) المستهام الذي ملك عليه المشق أمره فهم على وجهه ، والصبابة رقة الشوق :  
يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقاً لها محباً حريصاً عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء في حب النفس وإن اختلف فعلهما  
فالجبان جباناً لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على  
الحرب دفاعاً عن نفسه وذوداً عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن  
الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان في ذلك بقاءه  
كما قال الحماسي — الحصين بن الحمام — :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد      لنفسي حياة مثل أن أتقدما  
وتقول الحسناء .

نهين النفوس وهون النفوس يوم الكريهة أبقى لها

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل  
الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب  
لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حي كما قال جيب :

سلفوا يرّون الذكر عقباً صالحاً      ومضوا يعدون الثناء خسلاً لوداً

وإما أنه إذا استشهد صار حياً كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل  
الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال العسكري : وهذا البيت من الحكمة ،  
قال الحكيم : النفس للتجوهرة تأبى مقارناتة الدل كل الإباء وترى فناءها في طلب العز  
حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلاً واحداً فيرزق أحدهما بذلك  
الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثاله ذلك أن يحضر الحرب  
اثنان ينضم أحدهما ويحرم الآخر فحضور الحرب إحسان من الغائم ذنب للمحروم وكلاهما  
فعل فعلاً واحداً وكذلك مسافران مثلاً سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر  
من الراجح إحساناً يحمد عليه ومن الخاسر ذنباً يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابي :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه  
وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ  
وأثره في تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما  
يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال رهين المحبين :

لا تَطْلُبَنَّ بِاللَّهِ لَكَ رُتْبَةً      قَلَمُ الْبَالِغِ بغير حَظٍّ مَغْزَلُ  
سَكَنَ السَّمَاكَانَ السَّمَاءَ كِلَاهِمَا      هَذَا لَهُ رُوحٌ وَهَذَا أُعْزَلُ

وقال :

سَيَطْلُبُنِي رِزْقِي الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ      لَمَا زَادَ وَالْدُّنْيَا حُظُوظُ وَإِقْبَالُ  
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى      مَكَارِمَ لَا تُكْرَى وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ  
« الجد هنا الحظ والعم الجماعة . وتكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، واقرى  
كذب والحال الخيلة » . ويقول أبو تمام :

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ      وَيُكْدَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ (١)  
وَلَوْ كَانَتْ الْأُرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَابِ      إِذَنْ هَلَكْتَ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبِهَائِمُ

ويقول أبو إسحاق الصابي :

إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةٌ      فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحَدُكُمُ  
فَلَا تَنْفَقَدَنَّ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ      بِهِ لَهَا الْأُرْزَاقُ حِينَ تَفْرَقُ  
فَخَيْتُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرُّزْقُ وَاسِعٌ      وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرُّزْقُ ضَيِّقُ

وقال الإمام الشافعي :

لَوْ أَنَّ بِالْحَلِيلِ الْغِنَى لَوْ جَدْتَنِي      بِنَجْمٍ أَفْلَاكَ السَّمَاءِ تَعَلَّقِي  
لَكِنَّ مِنْ رُزْقِ الْحِجَابِ حَرَمَ الْغِنَى      ضِدَّانَ مُفْتَرِقَانِ أَيْ تَفْرَقِي

(١) أكدى الرجل خاب ولم يظفر بشيء وأصله من حافر البئر ينتهي إلى كدية  
أي صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فتركه .

فَأَضَحَّتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدَنِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدَشَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتُّرَابَ<sup>(١)</sup>  
تَصُدُّ الرِّيحَ الْهَوِجَ عَنْهَا مَخَافَةَ وَتَنْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرَ أَنْ تَلْقَطَ الْحَبَّ<sup>(٢)</sup>

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُومًا أُنِيَ مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ فِفَاضٍ فَصَدَّقِ  
أَوْ أَنْ مَحْظُوفًا غَدَاً فِي كَفِّهِ عُدُ فَاوْرُقَ فِي يَدَيْهِ فَخَفِّقِ  
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى التَّقْضَاءِ وَكَوْنِهِ بُوَسُّ اللَّيْبِ وَطَيْبِ عَيْشِ الْأَحْقِ

والإشارة في قول المتنبي هذا ولذا للمرووق والمحروم المفهومين من قوله ويختلف الرزقان .

(١) فأضحت أى قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب وتاجه جماعة من الشراح — : إن هذه القلعة لعلوها في الجو كأنما ابتدئ بها من الجو فأست هناك فنشقت الكواكب والتراب : يعنى الذى ارتفع منها إلى الجو حوالها فكأنها مقلوبة أسها في السماء وأطى حائطها إلى الأرض. وروى ابن جنى من فوق يرفع القاف وبدؤه بالرفع أيضا جعل فوق معرفة وبناء كقبل وبعد وأراد فوقه فلما حذف الماء بناء كقبل وبعد ورفع بدؤه على الابتداء ، قال الواحدى : على رواية ابن جنى لا يستقيم لفظ البيت ولا معناه لأنه — أى المتنبي — يقول : أضحت هذه القلعة — يعنى مرعشا — كأن سورها من فوق بدئه أى من أطى ابتدائه قد شق الكواكب بعلوه في السماء وشق التراب برسوخه في الأرض وهو كقول السموال :

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرغ لا يرام طويل

(٢) تصد تعرض والهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحقاء التى تارة تأتى من هنا وتارة تأتى من هنا وعنهما متعلق بتصدد ومخافة مفعول من أجله وأن تلتقط في موضع نصب على حذف حرف الجر أى من أن تلتقط : يقول : إن الرياح الهوج تعرض عنها مخافة أن تعجز عن الوصول إلى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن الارتقاء إليها والتقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجاني : يريد أن الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها

وَتَرْدِي الْجِيَادُ الْجُرُودُ فَوْقَ جِبَالِهَا      وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبَرُ فِي طَرْقِهَا الْمُطْبَأُ (١)  
كُنِّي عَجَبًا أَنْ يَمَجَّبَ النَّاسُ أَنَّهُ      بَنَى مَرَعَشًا تَبَا لَارَاهِمِ تَبَا (٢)

إذا هي التقطت الحب ما توجه حال التناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول حبيب :

قَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتقامِهِ      عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عِقَارُ بَنِي  
وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها للجن سارى  
(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بجوافرها ،  
والجرود اقتصار الشعر وهو من آيات العتق والسكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح  
في غيم وأيضا اسم اليوم الثاني من أيام العجوز قالوا وهي سبعة أيام وأنشدوا لابن أحرر  
وقيل لابن شبيل الأعرابي :

كسح الشناه بسبعة غير      أيام شهلتنا من الشهر  
فإذا انقضت أيامها وتمضت      صن وصنبر مع الوبر  
وبامر وأخيه مؤتمر      ومعلل ومطفيء الجمر  
ذهب الشناه مؤليا هربا      وأنتك وافدة من النجر (١)

يقال إن عجوزا كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم في يوم من هذه الأيام  
قتله البرد . والمعطب القطن والمعطب مثله كسر وعسر .  
قال الشاعر :

كأنه في ذرى عمائمهم      موضع من منادف العطب  
يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذي كأنه  
قطن ندفة فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كنى وعجبا تمييز وتبا : أى خسرا وهلاكاً . يقول : من العجب

(١) الكسح شدة للبر ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جله تابعا له ومدها به والسهلة  
العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر في صميم الحر ناجر للعطش الذي يسببه

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذِرَ اللَّحْدُورَ وَأَسْتَضَمَّ الضُّعْبَا (١)  
لَأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا وَسَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا (٢)  
وَلَمْ تَتَفَرَّقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرِكِ الشَّامَ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا (٣)  
وَلَكِنْ نَقَّاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمٍ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا (٤)  
وَجَيْشٌ يُنْقَى كُلُّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيْقٌ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُضْنَا رَطْبًا (٥)

أن يجب الناس عن نفي هذه القلعة وتباً لأرائهم حين لم يدركوا أنه بقدر طي كل ما يقصد إليه فكيف يتحجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية مزية يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستصعب الصعب ؟ وإنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئاً ولا يتصعب عليه أمر مهما كان .

(٢) الصارم العضب : السيف القاطع يقول : إن الخلافة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وانهزموا أمامه رحمة له وإشفاقاً ولم يجلوا عن الشام حجة له ورغبا ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان بن أبي حفصة :

وما أحجم الأعداء عنك بَقِيَّةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْعَمًا (٤)  
قوله غير كريمة حال أى نفي هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم انثناء الخ والمراد نفي أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حباله وإنما تقام عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم انثناء ماسبه أحد لأنه لا يفعل مايسب عليه ولا سب أحدا لأدبه وكرمه . وانثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أنهى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في الملح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أى نقاهها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والحريق الرياح الشديدة كأنها الإحصار يقول : ونقاهها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرة كأنه جبل

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُفَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبًا<sup>(١)</sup>  
فَمَنْ كَانَ يُرْضَى اللُّؤْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ  
فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرَّيْبَ<sup>(٢)</sup>

آخر قصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثني كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه لكثرة والسكنافة إذا لاقى عدواً كان لشدة كآته عاصف من الريح لقي غصنا رطباً فضرب به وحطمه وعبارة التراجيح أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرت له صلصلة تسع كالريح الحريق إذا مرت بنصف رطب قال الشاعر :

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ

وهذه العبارة من الغرض بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح . . .

(١) مفاراه أى إغارته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت إغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجبل الحيمس يعنى فقال :

نَفِي وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنِ أَرْضِ رَبِيهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةٌ مِصْدَمٍ<sup>(١)</sup>

(٢) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على حكمها ويصل ما يقتضيه فهذا يرضى المكارم بعبوده وسخائه ويرضى الله بجهاده في سبيله . وقال الشريف بن السجوي في أماليه : الإشارة في قوله فهذا إلى الملك لا إلى المدوح لأمرين : أحدهما أنه لو أراد المدوح لقال فأتت الذى ترضى لأن الخطاب في مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه قد دل عليه كما توجهت الإشارة في الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولئن صبر وغفر إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامي :

مِ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مِ وَالْأَخَذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةَ الْأُولَى

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعجاباً (\*):

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرتة القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(\*) مستعجاباً: مسترضياً. قال الواحدى: لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف العولة وقف له رجاله في طريقه ليخاطبوه فلما رأى أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونعى ذلك إلى أبي العثائر فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا بإب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبي الطيب فسار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الحيل وعبرت قطرة كانت بين يديه واجرهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم قطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالضروب فسار وتركهم فلما يشوا منه قال له أحدهم في آخر الليلة نحن غلمان أبي العثائر ولذلك قال: ومنتسب عندي إلى من أحبه. . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الآيات وجاء في الصبح للنبي ما يأتي:

قال أبو فراس الحمداني يوماً لسيف الدولة: إن هذا المتشدد — يعنى للتنبي — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان التنبي غائباً وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده:

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداه الورى أمضى السيوف مضارباً

الآيات — قال: فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج للتنبي من عنده متعيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالوا في الواقعة في حق للتنبي واقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها



\* واحر قلباه ممن قلبه شيم \*

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التصير في حقه بقوله :

مالي أكرم حبا قد برى جسدي وتدعى حب سيف الدولة الأمم

إلى أن قال :

قد زرتك وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم  
فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه  
فلما وصل في إنشاده إلى قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل وادعيته وهو :

ولست أرجو اتصافاً منك ماذرفت عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم

فقال النبي :

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم  
فلم أبو فراس أنه يعنيه فقال ومن أنت يادعي كندة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير

في مجلسه ؟ فاستمر النبي في إنشاده ولم يرد عليه إلى أن قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسمى به قدم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماني من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظاً وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد

حيث يقول :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهرأ وأظهمت إغراباً وإبداعاً

حتى فتحت بإعجاز خصصت به للعمى والعم أبصاراً وأسماخاً

ولما انتهى إلى قوله :

الخليل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وضفت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير بما سرقتك من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من قول المهيم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العباني :

أعاذلتى كم مهمسه قد قطعته أليف وحوش سا كنا غير هائب  
أنا ابن الفلا والطن والضرب والشرى وجرى المذاكى والقنا والقواضب  
حليم وقور فى البسلاد وهيبى لما فى قلوب الناس بطش الكتاب  
قال التنبى :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم  
قال أبو فراس وهذا سرقتك من قول محفل العجلي :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعينى فالعينان زور وباطل  
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة الكوفي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء  
وضرب سيف الدولة من كثرة مناقشته فى هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه  
بالدواة التى بين يديه فقال للتنبى فى الحال :

إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم  
قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجحنى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر  
ومثله قول ابن الرومى :

إذا ما الفجائم أكسبنى رضاك فما الدهر بالفاجع  
فلم يلتفت سيف السولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت التنبى ورضى عنه فى الحال  
وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال التنبى :

جاءت دنائرك مختمومة عاجلة ألفاً على ألف  
أشبهها فملك فى فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا      فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا<sup>(١)</sup>  
 وَمَالِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ      تَنَائِفَ لَا أَشْتَأَقُهَا وَسَبَابًا<sup>(٢)</sup>  
 وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ      أَحَادِيثُ فِيهَا بَدْرُهَا وَالْكَوَاكِبُ<sup>(٣)</sup>  
 حَنَانِيكَ مَسْئُولًا وَابْنِيكَ دَاعِيًا      وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا<sup>(٤)</sup>

(١) فداه الورى : دعاء . وعاتبأ حال ، وأمضى السيف خبر مبتدأ محذوف : أى هو أمضى السيف مضاربا ، أو تقول إنه منصوب على اللحن ومضاربا تمييزاً ومضارب السيف حدودها . يقول : مالم سيف الدولة غضبان ؟ أى لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لى ذنبا يوجب ذلك ، ثم دعا له ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضرباً .

(٢) التنايف جمع تنوفة وهى المفازة ، والسباب جمع سبب وهى الفلاة القفر . يقول : مالى إذا اشتقت إليه أبصرت بينى وبينه فلوات بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسماء رفعة له وجعله كالقدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكوكب ؛ وعجالة الخطيب التبريزى : شبه مجلسه بالسماء وجعله بدرأ وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أقلب منك طرفى فى سماء      وإن طلعت كواكبها خصالاً

(٤) حنانيك كلمة موضوعة المصدر استعملت مثناة كأنه خان بعد خان أى تخننا بعد تخنن ، ومثلها ليك من لب به إذا لزمه ، وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوفان : أى . وأنت حسبى وأنا حسبك والنصبون كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تخنن على تخننا بعد تخنن إذا كنت مسئولاً ولك الإجابة إذا كنت داعياً وكفى بى موهوباً : أى إننى أشكر من يهينى وأشيد بذكره وكفى بك واهباً ، أى : أنك أشرف الواهبين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهَذَا جَزَاءُ الصُّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا  
أَهَذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ  
تَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْسُورِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا<sup>(٢)</sup>

وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهبة وفيها سيف غير مذهب فأمر  
بإذهابه :

أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيهِ النَّجِيعُ وَالْفَضْبُ<sup>(٣)</sup>

(١) قال الواحدي : أى إن كنت صادقاً فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء  
لصدقى . وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت قد تجملت لك  
فى القول فتجمل لى أنت أيضاً فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبى ذنباً ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده  
محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٣) الذى صرح عن المتنبى : وخاضيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى  
وأحسن خاضيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما  
الدم ، وهناك خضبان الصناعة والفضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا صناعة  
الصيقل ، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الفضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن  
الخاضبين الفضب ، وروى : وخاضيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن  
جنى : وخاضيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل وما لا  
يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمضى على بطنه » الآية : كأنه  
خلط الجميع وكفى عنهم بما يكفى به عمن يعقل : وذكر الفضب مجازاً وأراد صاحبه . وقال  
ابن فورجه : خضض خاضيه على القسم أى وحق خاضيه وجعل الفضب خضاباً للحديد  
لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الفضب يحمر منه الإنسان ، وهذا  
كقولك أحسن ما يخضب الحدود الحمراء والحجل لأن الحجل يصبغ الحد أحمر ، فلما  
كانت الحمرة تابعة للحجل جمعها تأكيذا ؛ كذلك لما كان النجيع تابعا للفضب جمعها  
وهو يريد للدم وحده ويكون الفضب تأكيذاً للنجيع : أى به للقاية .

فَلَا تَشِينَهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ (١)

وتشكى سيف الدولة من دمل قال فيه :

أَيْدِرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ      وَهَلْ تَرَقَى إِلَى النَّكَاحِ الْخُلُوبُ (٢)  
وَجِسْمِكَ فَوْقَ هَيْبَةِ كُلِّ دَاءٍ      فَقُرْبُ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبُ (٣)  
يُجْمَشُّكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا      وَقَدْ يُؤْذِي مِنَ اللَّقَةِ الْحَبِيبُ (٤)  
وَكَيفَ تَعْلُكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ      وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبُ (٥)

(١) شأنه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إسمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه .

(٢) أراهه : أفزعه وأوقع به شيئاً يشك في عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدري هذا الدمل أى الناس قد ألقى ؟ وهذا استفهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل ترقى خطوط الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جملة كالفلك لعلو قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير في أقلها يعود إلى كل داء : كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أقل الأدوية يقول : إن جسمك لا ينبغي أن تتألم منه الأدوية ، فمن العجب أن يقربك أقل الأدوية . وجعل للأدوية همة مجازاً .

(٤) التجميش : شبه للغازلة والللاعية بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للغازلة تجميش من الجمش وهو الكلام الحفي وقيل من الجمش الذى هو ضرب من الحلب لجنسها بأطراف الأصابع ؛ واللقة : الهبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لجهه إياك وتلقه بك لأنك جماله وأمثلة أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء المحبوب .

(٥) يقول : أنت طيب الدنيا الذى تشفى أدواها فتقوم المعوج وتطرد الظلم والغيث والفساد فكيف تملك وأنت طيبها ؟

وَكَيفَ تَنْوِبُكَ الشُّكْوَى بِدَاءِ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَاثُ لِمَا يَنْوِبُ<sup>(١)</sup>  
 مَلَّتْ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَدٌ صَيبٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَنْتَ الْمَلِكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعِشِيرَهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبٌ<sup>(٤)</sup>  
 مَجْلَحَةٌ لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَاللُّسْمُ الْمُنَاحِرُ وَالْجُنُوبُ<sup>(٥)</sup>

(١) يقول: وكيف تلم بك الشكوى وبك يستعاث مما ينوب من نوائب الدهر فتغيث وترفع الشكوى؟

(٢) و (٣) مقام: مصدر ميمي بمعنى الإقامة، يفتح ويضم. وصيب: مصبوب ويقال ماء صيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور، قال دكين بن رجا:

تَنْضَعُ ذِفْرَاهُ بِمَاءِ صَبٍّ مِثْلِ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرَّبِّ<sup>(١)</sup>  
 والحشاياء جمع حشية معدولة عن المحشوة وهي الفرش المحشوة. يقول: لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا في ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب.

(٤) الضمير في تراها للخيل وإن لم يجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها؛ والعشير مثال درهم العبار، والجنيب الذي تقوده إلى جنبك. يقول: ما بك مرض غير نزاعك إلى ملاقاته العدو بخيل يتبع العبار قوائمها كأنه جنب تقوده، أي أنك انقطعت عن ذلك فنال منك جبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه.

(٥) مجلحة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وعشيرها لأرجلها جنب، ومجلحة

(١) الذفري الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان والكحيل النفط الذي تطل به الإبل الجرياء، ورب السمن والزيت: ثفله الأسود، وعقيدته ما غلظ منه.

قَرَطَهَا الْأَعْنَةَ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبْتَ قَرِيبٌ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا دَلَّ هَذَا بَقَرَاطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرْبٌ<sup>(٢)</sup>  
 يَسْتَفِ الدَّوْلَةَ الْوُضَاءُ تُمْنِي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَنْيِبُ<sup>(٣)</sup>

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ و يروى محجلة ، و على هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ و يروى الحوارزمي محجلة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها ؛ و السمير الرماح ؛ و للناهر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ و الجنوب جمع جنب وهو ما يلى الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعدى تطؤها و تحتاحها و أحلت للرماح حناجرهم و جنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، و قرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قذاله للحضر<sup>(١)</sup> فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعدى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها .

(٢) الهمزة للاستفهام المحض أو للتقرير ، و ذا اسم إشارة ، و هفا زل . و الضرب النظير ، و بقرط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاء وأنه لو قد عنها يوما نجر ومرض — أهذا داء محضل لم يهتد إليه بقرط و ليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، و يروى إذا داء على أن إذا أداة شرط و داء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفي داء أو إذا أعضل داء و نحو ذلك ؛ و قوله فلم يعرف جواب إذا . و الفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول: الداء الذى لم يذكره بقرط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء و يروى إذا داء — بجر داء — على أن الهمزة للنسباء و ذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفته .

(٣) الوضاء ضم الواو و تشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ البالغة كحسان و كبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تنيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس .

(١) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، و الحضر : الجرى .

فَأَغْزُوا مِنْ غَزَا وَبِهِ اقْتَدَارِي وَأَرْبِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ  
وَالْحِصَادِ عُدْرٌ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظْرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا<sup>(١)</sup>  
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ<sup>(٢)</sup>

وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب  
معه فأدرهم بعد ليلة بين مابين يعرفان بالفبارات والخمرات فأوقع بهم وملك  
الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة - وأنشده إياها في  
جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بَغِيرِكَ رَاعِيًا عَيْثَ الذَّئَابِ وَغَيْرِكَ صَارِمًا نَلَمَ الضَّرَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَمَلِّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ<sup>(٥)</sup>

(١) أن يشحوا أى فى أن يشحوا : أى أنى أعذر الحساد فى شحم ؛ أى بخلمهم  
بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر المدوح فإذا حسده على ذلك أحد  
فهم معذور .

(٣) راعياً وصارماً منصوبان على التمييز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا  
ابتذله واستباح حرمة ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبه  
بالراعى وشبه هؤلاء الأثأثرين بالذئاب . يقول : إن الذئاب تعبث بغيرك فى حال رعيه  
وسياسته وبلم الضراب غيرك فى حال قطعه : أى إذا كنت أنت الراعى لم تعبث الذئاب  
بسواملك وإذا كنت أنت الصارم لم يملكك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيك  
لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفاً منك .

(٤) طرأ أى جميعاً نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفس الإنس والجن جميعاً  
فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد  
ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك



طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ حَتَّىٰ تَخَوْفَ أَنْ تُفَنِّشَهُ السَّحَابُ (١)  
 فَبِتُّ لِيَايَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحُبُّ بِكَ الْمَسُومَةَ الْعِرَابُ (٢)  
 يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا فَضَّتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ (٣)  
 وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتِ حَتَّىٰ أَجَابَكَ بِمَعْضَمٍ وَهُمْ الْجَوَابُ (٤)  
 فَاتَّلَّ عَنْ حَرَمِيمِهِمْ وَفَرَّوْا نَدَىٰ كَفَيْكَ وَالنَّسْبُ الْقُرَابُ (٥)

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وعمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تقيت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) خب الفرس أسرع ؛ وقيل : الحجب أن يتقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمسومة الخيل المعلقة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد في قوله تعالى « والخيال المسومة » : الخيل المسومة ، المرسله وعليها ركبتها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خليت وسومه ، أى وما يريد والعراب العريية . يقول تعدو بك الخيل العريية المعلقة في طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف . شبهه - وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير - بقاب تهز جناحها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى ، جعل طلبه إلام في الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنما لاستعارة رائمة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداها .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحرى ما يحمله الرجل ويندود عنه ؛ والمراد هنا النساء ، والقراب القريب . يقول إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحرى وحات دون سبيه وصنته فكان جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم .

وَحِفْظُكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعَدَّةً وَأَنَّهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ<sup>(١)</sup>  
تُكْفِكُ عَنْهُمْ صُمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُهُنِهِمِ الشَّعَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْقَطَتِ الْأَجْنَةُ فِي الْوَالِيَا وَأَجْهَضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَعَمَرُوا فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَبُّ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِبَابُ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافى معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تطلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قبيل ربيعة ومضر ابنا زار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرهم وأنهم أصطابك .

(٢) تكفك تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرملح ، وشرفت غصت والظعن جمع ظئنة وهي المرأة ما دامت في الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظئنة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكف عنهم الرماح إشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظعائهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والواليا جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يحمل تحت البرذعة وقيل كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذكر منها . يقول : لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع : أي على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمورا وعمورا وكذلك كعباً ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيْتُ الشَّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كَعَابًا<sup>(١)</sup>

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأى منهم قبيلة على حدة فلذلك قال صاروا كعابا .

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَهَا      وَخَاذَلَهَا قُرَيْظُ وَالضَّبَابُ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا مَا سِيرَتْ فِي آثَارِ قَوْمٍ      تَخَاذَلَتْ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَدَّنَ كَمَا أَخَذَنَ مُعْكَرَمَاتٍ      عَلَيْنَهُنَّ الْقَسَالِيدُ وَالْمَلَابُ<sup>(٣)</sup>

(١) هؤلاء بطون بني كلاب ، وأنت أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة . يقول :  
 إنهم لما اتهموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .  
 (٢) قال ابن جنى : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان :  
 أى لما سرت وراءهم تأخرت رموسهم لإدراكك إياهم وإن كانت في الواقع قد أسرع  
 واستبعد العروضي هذا المعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف  
 فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكان كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى :  
 الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تتبرأ من الأعتاق والأعتاق تتبرأ منها خوفاً  
 منك فلا يبق بينهما تعاون . وهذا المعنى أراه الخوارزمى فقال :

وكنت إذا نهدت لفزو قوم      وأوجبت السياسة أن يبيدوا  
 تبرأت الحياة إليك منهم      وجاء إليك يعتذر الحديد  
 وطلقت الجماجم كل نخذ      وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من  
 سيفك وكذلك عند المكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبيغ الفرار بنفسه ويترك الآخر .  
 (٣) للملاب : ضرب من الطيب ، فارسى معرب . قال الجوهري : كالحلوق ، قال  
 جرير يهجو نساء بني تميم :

ولو وَطِئَتْ نِسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ      عَلَى تَبْرَآكِ أَخْبِئْتِ التَّرَابِ  
 تَطَلَّى وَهِيَ سَيِّئَةُ الْمُعَرِّمِ      بَضْنِ الْوَبْرِ تَحَسَّبُهُ مَلَابِ<sup>(١)</sup>

يقول : لما ظفرت ببني كلاب أخذت نساءهم إلى أما كنهن مكرمات مصونات من  
 من الابتدال ، عليهن قلائدهن وطيبهن لم يضع منهن شيء فالضمير في عدن وما بعده

(١) تبرآك : ماء لبني العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبير ينثر للأفوية وهو

متن جداً .

يُثَبِّتَكَ بِالَّذِي أُوتِيتَ شُكْرًا وَأَيِّنَ مِنَ الَّذِي تُولِي الثَّوَابَ<sup>(١)</sup>  
 وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْنًا وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا فِي قَدَمِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَا غُرَّتَكَ أَغْتَرَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَكَيْفَ يَتِيمٌ بِأَسْكَ فِي أَنَاسٍ تُصَيِّبُهُمْ قِيَوْمُكَ الْمَصَابِ<sup>(٤)</sup>

يعود على النساء وإن يجرهن ذكر اعتمادا على ما ذكر في البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثناه كافأه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن يكرامنك إياهن كأنهن عند أهلهن وأزواجهن .

(٣) القرعة الوجه . يقول : لا غربة عليهن إذا زأينك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فيأصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبسي :

فإن أك قد بردتُ بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني  
 وقال الحماسي — الحارث بن وعله الجرمي — :

قومي هم قتلوا أميمَ # أخي فإذا رميتُ يصبيني سَهْمِي  
 ولئن عفوتُ لأعفونَ جَلالا ولئن سطوت لأوهنَ عظمي<sup>(١)</sup>  
 وقال المديلي :

وإني وإن عاديتهم أوجفوتهم لتألم مما علّ أ كبادم كبدى  
 وقال النعمري :

فإنك — حين تيلفهم أذاة وإن ظلموا — لمحترق الضمير

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرَفَّقَ أَيُّهَا النَّوَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ (١)  
وَأَيُّهُمْ عَيْدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدَعَوْا لِجَادِئَةٍ أَجَابُوا (٢)  
وَعَيْنُ الْمَخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطَبُوا فَتَابُوا (٣)

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفع عن الجاني يجمله عبداً لك \* وما قتل الأحرار كالعفو عنهم \*  
(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ بخطيء إذا سلك سبيل الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الحاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ بخطأ خطأ وخطأة كقطة ؛ والاسم الخطيئة كفعيلة ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للمد لا للألحاق ولا هما من نفس الكلمة فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول في مقروء مقروء وفي خيء خيء بتشديد الواو والياء ؛ وجمع الخطيئة خطايا . وكان الأصل خطائي بهمزة على فاعل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة واستقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفاؤها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطيء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لثان ؛ قال امرؤ القيس :

يَالْهَفَ هِنْدٍ إِذْ خَطَبُنِي كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكِ الْحَلَّاحِ (١)

وقال غيره : الخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطيء من تمددنا لا يبنى وتخطأه وتخطأه أي أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَبْلَغْنَا خَلْتِي جَابِرًا بَانَ خَلِيلِكَ لَمْ يُقْتَلِ (٢)  
تَخَطَّاتِ النَّبْلِ أَحْشَاءُهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلِ

(١) خطئن أي أخطآن ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حبر شيئا ، خلف عليها امرأ القيس وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بحى من بنى كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بنى أسد ، والحلال السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة .  
(٢) الخلة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء .

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَمْ تُعِقَابُ (١)  
 وَمَا جَهَلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ (٢)  
 وَكَمْ ذَنْبٌ مُؤَلَّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٌ مُؤَلَّدُهُ أَقْتِرَابُ (٣)  
 وَجُرْمٌ جَرَّهُ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلٌّ بَغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ (٤)

يقول : إن كانوا عخطين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع » ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .  
 (١) يقول : أنت التي بك بقاؤهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة ولا عتاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أيديك نعمك والبوادي خلاف للذن ؛ يريد أهل البوادي ، والبوادي : فاعل جهلت ؛ وأيديك مفعوله ، وقال العسكري : سألت شيخنا أبا محمد عبد النعم النحوي عند قراءته عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادي نعتاً للأيادي والبوادي في نصف البيت ، فكأنه عن الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجبته الداعي ؛ وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يبعثون الداعي » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت مضمرّاً فيها . فقال لي : أنت مفرى وقد قست ، ومع هذا أنت حفي (١) ، فصوب ما قلت ؛ ويكون البوادي على هذا : السابقات التي بدت إليهم . يقول : إنهم لم يجهلوا بصيانتك سوابق نعمك ، ولكن قد يخفي الصواب على المرء فيأتي غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً ، وقد يكون البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو تقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفیه فذل العذاب بغيره ؟ وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال :

رَأَيْتَ الْحَرْبَ يَجْنِبُهَا رِجَالٌ وَيَصَلِّي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءُ

وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن الفتى بائن عم السوء مأخوذ

(١) لعله يريد الحق بمعنى المستقصى في السؤال .

قَانِ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا قَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مِنْ يَهَابٍ (١)  
وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودٌ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ (٢)  
وَتَحْتِ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثْوَا وَفِي آيَاتِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا (٣)

وقال النابغة :

وَحَمَلْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ كَذِي الْعُرَى يُسْكُوِي غَيْرِهِ وَهُوَ رَائِعٌ (١)  
وقال البحرى :

نصد حياه أن نراك بأعين جنى الذنب عاصيها فلم مطيعها  
وأروع الجميع — وقه التل الأعلى — قوله جل شأنه : « واتقوا فتنة لا تصيب  
الذين ظلموا منكم خاصة » .

(١) على : اسم سيف الدولة . يقول : إن خلفه بسبب جرمهم فله رجس الفروع عنده  
كما يهاب ، لأنه جواد سبب .

(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تطلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم ؛ لأن  
جلودهم نبتت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .

(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن  
ابن حسان :

كأن الرباب دوين السحاب نعلم تعلق بالأرجل  
وأثوا : تقووا وكثروا ، من أث النبات ؛ كثروا وتف ، وهو أئمت ، ويقال كذلك  
شعر أئمت ، وامرأة أئمتة : كثيرة اللحم ، ونسوة أئمت ، قال رؤبة :

وَمِنْ هَوَايَ الرَّجْحِ الْأَثْمُ تَمِيلُهَا أَجْزَاؤُهَا الْأَوَاعِثُ  
« الرجح : جمع رجاج ، وهي الثقلة السميرة ، والأواعث : اللينات ؛ فكان  
الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا في نمته وقووا وعزوا

(٢) العر : قروح مثل القوياء ، تفرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوامها يسيل  
منها مثل الماء الأصفر فسكوى الصحاح ثلاثا تعديها للمراض .

وَتَحْتِ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ (١)  
 وَلَوْ غَيْرَ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنِ شُمُوسِهِمْ ضِيَابُ (٢)  
 وَوَلَّى دُونَ نَائِبِهِمْ طَعَانًا يُبْلَقُ عِنْدَهُ الذُّنْبُ الْعَرَابُ (٣)  
 وَخَيْلًا تَفْتَدِي رِيحَ الْمَوَامِي وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ (٤)

إحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاخسان ، والنبات للمسحون إليه .

(١) يقول : بانتسابهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم واتقاد لهم من العرب من لا يتقاد لأحد :

(٢) قال الواحدي : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاهم لما ظفر بهم ، وكفى بالشموس عن النساء وبالضباب عن المهامة دونهم : لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلا معناه لو غزاهم غيره لكان له ما يشغله بما يلقي قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلا للرعاع ، والشموس مثلا للسادة ، وقال ابن الإفريقي : يريد شموس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولاقى : عطف على ثناه ، والثاءى : جمع ثاية : كآى وآية ، وهى حجارة تجعل حول البيت يأوى إليها الراعى ليلا ، وفيها مبارك الإبل ومرابض النعم . يقول : لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شموسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حربا يكثر فيها القتل حتى يجتمع عليهم الذئب والعراب طلبا للحم اقتلى ، فكيف له بالوصول إلى استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على التنبي أن الذئب لا يأكل إلا ما اقتصره ، بخلاف الضبع والكلب ؛ وأشد في ذلك :

ولكل سيدٍ معشرٍ في قومه دُعْرٌ يُدْنَسُ عِرْضَهُ وَيَعِيبُ

لولا سواه تجزرت أوصاله عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذِّيبُ

« الدعر : الحائض الذي يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلا : عطف على طعانا . والموامي : جمع موماة ، وهى المفازة يقول : وكان

يلاقى خيلا تصودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب لأنها هراب مضرة معودة قلة العلف والماء .



وَلَكِنْ رَبَّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ      فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ (١)  
وَلَا آسَلُ أَجْنَ وَلَا نَهَارُ      وَلَا خَيْلٌ حَمَلَنَ وَلَا رِكَابُ (٢)  
رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرِ مِنْ حَدِيدٍ      لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابُ (٣)  
فَسَأَهُمْ وَبُسَطَهُمْ حَرِيرٌ      وَصَبَّحَهُمْ وَبُسَطَهُمْ تُرَابُ (٤)  
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ فَنَاءُ      كَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ (٥)  
بَنُو قَتَلَى أَيْكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ      وَمَنْ أُنْبِي وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ (٦)  
عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِفَارًا      وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ (٧)

(١) رب كل شيء : مالكه ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهراً وقيل هما لغتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما نفعهم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدركوا .

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفهم ليل يسترون تحته ، ولا نهار يكاشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لهيبتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينجح بهم شيء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جل جيشه بجزاً من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يمجون خلفهم في سيرهم ، فكأنهم بحر يمد عجابه وراءهم .  
(٤) يقول : طردهم ليلاً وهم يفترون الحرير آمنون فيبتهم وقتلهم حتى جدلوا على على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال للمرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئاً يقدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلاً واستخذاءً واتقياداً .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أي هم بنو قتلى أيك ؛ ومن أنبى : عطف عليه ، وفاعل أنبى : ضمير يعود على أيك : يشير إلى ما كان من أبي الهياج والد سيف الدولة مع بني كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وقتك بهم . فهو لاءم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان ،

وَكُلُّكُمْ أُنَىٰ مَاتَىٰ أَبِيهِ فَعَلَّ كَلِّكُمْ عَجَابٌ (١)  
كَذَا فَلَيْسَ مِنْ مَلَبِّ الْأَعَادِي وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلَيْكُنِ الطَّلَابُ (٢)

وجمها سخب . يقول : إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فاشوا عتقاها سيفه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تقيوا آباءهم في التمرود والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك في الفرو والفران ؛ ففطهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يتبروا بأبائهم ؛ وفعلك أيضاً عجيب إذ صفت عنهم وأجيت على باقهم وأنى مأتى فلان أى فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لئيم الفعال ، ولك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فلينعل من يطلب الأعدى ، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك ، فقوله كذا فى موضع نصب بقوله فليس ، والفاء إنما تعطف أو تكون جواباً . فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليحلوا أن الخبر وضع فى غير موضعه ، وبنس الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره أقصد أخاك فاضرب ، وهذا يحسن فى المفعول ، وأما فى الخبر فيعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليكن .

وقال يرثي أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين وورد خبرها إلى الكوفة  
فكتب أبو الطيب بهذه المرثية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة :

- (١) يَا أُخْتَ خَيْرِ أَيْحَ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِي كِنَايَةً بِيهَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)  
(٢) أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَكَ لِلْعَرَبِ (٢)  
(٣) لَا يَمْلِكُ الطَّرْبُ الْحَزُونَ مَنْطِقَهُ وَدَمَعُهُ وَهَمَّا فِي قَبْضَةِ الطَّرْبِ (٣)

(١) نصب كناية على الصدر ، كأنه قال كنيته كناية . يقول : يا أخت سيف الدولة  
ويا بنت أبي الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكفى عن ذلك ، يريد أن نسبا  
من أشرف الأنساب ، فإذا كنيته بهما عرفت لأنهما خير الناس : فاذا قلت يا أخت  
خير أخ ويا بنت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الباء في تسمى : أى حال كونك مؤبنة : أى مرثية من  
التأبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك  
يعرفك بما فيك من المحاسن والحمد التي ليست في غيرك ، وهذا يضي عن تسميتك ،  
كما قال أبو نواس :

فهي إذا سُمِّيتْ لَقَدْ وُصِفَتْ فَيَجْمَعُ الْأَسْمُ مَعْنَيْنِ مَعَا

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تمرى عند شدة الفرح أو الحزن والهم .  
قال النابغة الجعدي في الهم :

سَأَلْتَنِي أَمْسَى عَنْ جَارَتِي وَإِذَا مَا حَمِي فَوَاللَّبِّ سَأَلْ  
سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَايْسِ هَلَكُوا شَرِبَ الدُّعْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ  
وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِزْرِمِ طَرَبَ الرَّوَالِ أَوْ كَالْحَتْبَلِ

« الروال : اثناكل ، والحتبل : الذي اختبل عقله : أى جن » يقول للتنبى : من استخفه  
الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذ ذاك يكونان في قبضة الطرب  
أى الحزن - يصرقهما كما يشاء .

غَدَرْتَ يَا مَوْتَ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ (٤)  
بِمَنْ أَصَابَتْ وَكَمْ أَسَكَّتْ مِنْ لَجْبٍ (١)  
وَكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا فِي مَنَازِلَةٍ وَكَمْ سَأَلَتْ فَلَمْ يَبِيخَنَّ وَلَمْ تَخْبِ (٢)  
طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرَزَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (٣)  
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقَهُ أَمَلًا شَرِقْتُ بِالذَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي (٤)

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عرمرم : أى ذوجلبة وكثرة ، وبجر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عال يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تقفى به العدد الكثير وتهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإقناء كان من حقاك أن ترعى ذمته ولا تتجمعه بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددم في خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكأنهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأخسر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلخوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه ببيان قوم تهديما  
وكقول ابن المقفع :

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير  
وتقتلنى فتقتل بى كريماً يموت بموته بشر كثير

(٢) يقول : وكم صحبت أخاها يا موت في غزواته وطلبت إليه أن يمكثك من إهلاك من أردت فأجابك إلى ذلك ومكثك بسيفه عن أردت ؛ وهذا كقوله الآنى في قافية اللام :

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل ممات لم يمته غلول

(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعلت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صبح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع

٨ تَمَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ ألسُنَهَا

- وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)  
 كَانَ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاكِبَهَا (٢)  
 وَلَمْ تَرُدِّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَّةِ (٣)  
 أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مَذُنَمِيَّتِ (٤)  
 يُظَنُّ أَنْ فُوَادِي غَيْرُ مُنْتَهَبِ (٥)  
 دِيَارَ بَكْرِ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ (٦)  
 وَلَمْ تُفِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٧)  
 فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتِيَانِ فِي حَلَبِ (٨)  
 وَأَنْ دَمَعُ جُمُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ (٩)

لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بي : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشيء الذى يغص به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . وعحصل المعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي .

(١) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لفة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريدته دم : أى محذوف الدنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سمي الرسول الذى يركب دواب البريد بريدآ . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدى الكتاب فى كتابته .

(٢) فعلة : كناية عن اسم الرثية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، والتي كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعى بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحرباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة للمهوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتفيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق منذ أتمام نعيمها حزنا عليها ، فكيف ليل أخينا سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سهاجة . . .

(٥) أراد : أيلظن ، فحذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أتظن أى غير حزين .

(١) بَلَىٰ وَحُرْمَةٌ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِّحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَادِ وَالْأَدَبِ (١)  
 (٢) وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْزُوثٍ خَلَّاتِهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْزُوثَةَ النَّسَبِ (٢)  
 (٣) وَهَمُّهُ فِي الْأَثْرَابِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٣)  
 (٤) يَغْلَنَ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهَ بِالشَّنْبِ (٤)

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، وقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت - في البيت السابق - والحلايق : جمع خليقة بمعنى الحلق ، والنسب : المال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أترابها : لداتها ونظيراتها في العمر : جمع ترب - بكسر التاء - للذكر والمؤنث . يقول : همها منذ صباها منصب في العلا وتدير الملك بينها أقرانها همهن في اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن يفيص :

فهمكُ فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلبوا

(٤) الشنب : قيل هو تحزيز أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها وتقاؤها وقيل تفلجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمي : سمعت الأصمى يقول : الشنب برد الفم والأسنان ، فقلت إن أصحابنا يقولون هو حدثها حين تطلع ، فيراد بذلك حدثاتها وطرارتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتسكت ، فقال: ما هو إلا بردها ، وقول ذى الرمة

لمياه في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

يؤيد قول الأصمى ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من الشنب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدي : وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء في مرثئين . قال ابن جنى : كان التنبي يتجاسر في ألفاظه جدا وفي معنى بيت التنبي

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما ضم ثوبها خبر

ولا فيها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

(١٧) مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ (١)  
(١٨) إِذَا رَأَى وَرَأَاهَا رَأْسَ لَابِسِهِ رَأَى الْمَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرَّتَبِ (٢)

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جنى : وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب إلى أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ محذوف : أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها ، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب ، واليلب : اللدروع الجمانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرموس خاصة تحت البيض ؛ واحدها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلِينَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِيُّ وَأَسْيَافٌ يَقْنُنُ وَيُنْحَنِينَا

قال الجوهري : ويقال اليلب ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للدرق يلب . قال الشاعر :

عَلَيْهِمْ كُلُّ سَابِقَةٍ دِلَاصٌ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْيَلْبُ الْمُدَارُ

قال : واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهل الجحى :

دِرْعِي دِلَاصٌ شَكَّهَا شَكُّ عَجَبٍ وَجَوِيهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَسِيرِ الْيَلْبِ

«جويها : أي ترسها وجوب قاتر : أي ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه واليلب يتحسران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لهما قلوبا مجازاً لوصفه لها بالسرة والحسرة .

(٢) المقانع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابسه ورأها ، فضمير رأى للبيض واليلب ، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس لابسه ورأى هذه المرأة وهي تلبس المقانع رأى المقانع أعلى رتبة منه فإزداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك .

(١٩)

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْتَى لَقَدْ خُلِقْتَ

كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْتَى الْعَقْلِ وَالْحَسْبِ (١)

(٢٠)

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْقُلُبَاءُ عُنُصْرَهَا فَإِنَّ فِي الْخُمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ (٢)

(٢١)

فَلَيْتَ طَالَعَةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةٌ وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَغِبِ (٣)

(٢٢)

وَلَيْتَ عَيْنَ النَّهَارِ بِهَا فِدَاءَ عَيْنِ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَتُوبِ (٤)

(٢٣)

فَمَا تَقَلَّدَ بَالْيَاقُوتِ مُشَبَّهًا وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ (٥)

(١) الحسب : شرف الآباء أو العمال الصالح : أى شرف الفعل وأنتد ثعلب .

\* وَرُبَّ حَسِيبِ الْأَصْلِ غَيْرُ حَسِيبِ \*

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنتى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقبة . والمراد العززة الأبية الممتعة ، وعبارة الواحدى : الغلباء : الغلاظ القلوب ، نعمهم بظلم الرقبة لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينفقون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالمر والنعة — بيد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تبارز به عنهم وتفضلهم ، كالحجر أصلها العنب ، ولكن فى الحجر من المزايا ما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم العزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعتما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غائبتما — وهى المرثية — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع جمة ، فليتها بقيت وقعدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرثية التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيوف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف الدقيق من السيوف يقول . ليس لها شبيهه ، لا من النساء ولا من الرجال .



٢٤ وَلَا ذَكَرْتُ جَبِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا  
٢٥ قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَيْهَا  
٢٦ وَلَا رَأَيْتِ عُيُونَ الْإِنْسِ تَذَرِكُهَا  
٢٧ وَهَلْ سَمِعْتِ سَلَاماً لِي أَلَمْ يَهَا  
٢٨ وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دَفِنْتُ  
إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبٍ (١)  
فَمَا قَنَعْتُ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)  
فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أُعْيُنَ الشُّهْبِ (٣)  
قَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ بَكْبِ (٤)  
وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَانِنَا الْغَيْبِ (٥)

(١) الصنائع : جمع صنعة ، وهى الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لمحبتي إياها ، وسبب محبتي هو صنائعها لى وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكأى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكي .

(٢) يقول : كانت محبوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأحببت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكانت الأرض لم تنفع بما حولها من الحجاب حتى حجبها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاماً لى أتاها ؟ يريد أنه يجيز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التائبين والمرئية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول : إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتى قريباً منها فحسدتى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكاراً وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا جسد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريباً منها ؟

(٥) التيب : جمع غالب ، مثل خدم وخدام . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا المدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومته ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعرض لبييف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

- (٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا  
(٣٠) وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْفَعَ الشُّجْبِ  
(٣١) وَأَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَثْنِيًّا أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجْبِ  
(٣٢) قَدْ كَانَ قَاتَمَكَ الشَّخْصِينَ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيَّ بِالذَّهَبِ  
(٣٣) وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْفَعُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها - أى سيف الدولة - والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب : أى أن عطاءه أهنا لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنفع السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شئ ، ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجاية ، والنجية مثال الهمة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأنجب الرجل : أى ولد ولداً نجياً . قال الأعشى :

أَنْجَبَ أَرْزَمَانَ وَالِدَاءُ بِهِ إِذْ نَجَّلَاهُ فَنَمَّ مَا نَجَّلَا

« وسيمر بك شرح هذا البيت فى موضع آخر » وامرأة منجبة ومنجاب : أى تله النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحداً سوى آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات التنبي الصبيحة .

(٣) ويريد بالشخصين : أخته . ماتت إحداهما - وهى الصغرى - وبقيت الكبرى ، فكانت كدر فدى بذهب ، جعل العكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدر . يقول : وبعد ذلك عاد الدر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت والذى قبله

كأنهما من قول الأعرابي :

وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ مَشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

- ٣٣ ما كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا
- ٣٤ كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ (١)
- جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأَحْزَانِ مَغْفِرَةً
- ٣٥ فَحَزَنٌ كُلُّ أَحَى حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ (٢)
- وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نَفُوسَكُمْ
- ٣٦ بِمَا يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّبِّ (٣)
- حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
- ٣٧ مَحَلٌّ سُمِّرَ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ (٤)
- فَلَا تَتَلَّكَ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا
- إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْقَرَبِ (٥)

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك سيرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية مجلوا نحوه ، تلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أحليهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التي بينهما كانت تقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب ؛ وهي ليلة .

(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يحجر بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أى النفوس ، ووزنه يظطن ، فالواو لام الفعل ، والنون علامة الإضمار وجمع التانيث ، وهو مثل « إلا أن يظون » أى النساء ، ويروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور. — والسلب : ما يؤخذ من القتل من ثياب وسلاح ، وفي الحديث الصحيح : من قتل قتيلاً فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المروية وأتم قوم أهل عزة وأتفة ، تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أتم بين الملوك كالتقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي ، والقرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعو له يقول : لا أصابتك الليالي بسوء ، فإنها تغلب القوى بالضعيف .

وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ (١)  
وَإِنْ سَرَزَنْ بِمَحْبُوبٍ فَجَعَنْ بِهِ (٢)  
وَرُبَّمَا أَحْسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا (٣)  
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لِبَانَتَهُ (٤)  
تَمَخَّلَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ (٥)  
فَقِيلَ تَخَلَّصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِكَةً (٦)

٣٨  
٣٩  
٤٠  
٤١  
٤٢  
٤٣

(١) الحرب ذكر الجباري (١) وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تمين الليالي من عاداه  
فإنهن يصدن القوي بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .  
(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجئتك بفقده إذا استردته وقد أرينك  
العجب حيث سررتك بها ثم فجئتك بفقدها فكانت سببا للسرور والنعيمية ، وهذا عجب  
أن يكون شيء واحد سببا للسرور والنعيمية .  
(٣) يقول : قد يحسب الإنسان أن المحن قد تناهت فيلم به شيء لم يكن في حسابانه ،  
وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .  
(٤) اللبانة : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد  
حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضى ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب  
آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما تبقى

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والخلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح .  
يقول : جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أي أن منتهى كل  
حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم  
من الهلاك ولا تنفئ ببناء الأجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبعث — وفريق يذهب  
إلى أن الروح ينفئ كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الجباري : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ،  
ويضرب به المثل في البلاهة فيقال : أبله من الجباري ؛ قيل : لأنه إذا غير عشه ذهل  
وحضن يفض غيره .

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتِمَبِ (١)

\*\*\*

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه في ميفارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة (٢) :

فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ قَسَمًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ (٣)  
وَطَوَعًا لَهُ وَأَبْتَهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ (٤)  
وَمَا عَافَى غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرُقُ الْكُذْبِ (٥)

(١) للهجة : الروح . يقول : من فكر في الدنيا وأنه مفارقتها البتة أتعبه هذا الفكر لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ؛ ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من المتقارب ، وتقطعها فعولن أربع مرات ، دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناداتوجيه ، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروي المقيد ، ومن الناس من لا ينده سناداً اكتفاء باتفاق الروي .

(٣) (٤) سما وطوعا وابتهاجا : ثلاثها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سما ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابتك ابتهاجا ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشئ وله - بالكسر - بهاجة وابتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرُ مِنْهُ لِلْبَيْلَى خِرْقُ  
يقول : إني سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابتك بيد أن فعلى في طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أتى قصرت بتخلفي عن الهجاء إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمتنعى من النهوض إليك غير خوفي الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء .

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيْبِهِمْ بَيْنَنَا وَالتَّحْبِبِ<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالتَّحْسَبِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللّٰجِيْنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبُ<sup>(٣)</sup>  
 فَيَقَاقَ مِنْهُ البَمِيْدُ الأَنَاةَ وَيَغْضَبَ مِنْهُ البَطْلُءُ الفَضْبَ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا لَاقَنِي بَلَدٌ بَعْدَ كُمْ وَلَا أَعْتَضَتْ مِنْ رَبِّ نِعْمَايَ رَبِّ<sup>(٥)</sup>

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والتحبب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقبى أيضاً خوف تكثير قوم معائنى وتقليلهم مناقبى وسمعهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصنى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال معي بعضه فى ذلك شرفه ، فعد إصغاءه إليهم نصراً لهم . وزاعه إليه نصراً له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناة : الحلم والرفق والتثبت ، وبعد الأناة كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيقلق : جواب النفى فى البيت الأول ، والضمير فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيقلق من قولى هذا . يقول إننى لم أتقصك مما تستحق من المدح شيئاً كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهجك فتتكبر على ولم أت فى حقك ما يوجب أن ينزعج لمثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لاقنى : أمسكنى وحبسنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يسكه . قال الأصمى للرشيد : ما ألاقنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحتبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كفك كفى ما تليق درهماً وأخرى تعط بالسيف الدماً

ورب نعمى : صاحب نعمتى ، ووقف على الباء من قوله رب - وهى موضع نصب - ضرورة للقافية ، وخفها - وحكمها التشديد - لوقوعها روياء . يقول : ما أخذت عوضاً منك ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبني ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَمَا      دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالغَيْبَ<sup>(١)</sup>  
 وَمَا قِنتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ      فدَعِ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنِ فِي حَلَبِ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمِهِ      لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا أَنْخَسَبَ<sup>(٣)</sup>  
 أَمِ الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أَمَ فِي السَّخَا      ءَأَمَ فِي الشَّجَاعَةِ أَمَ فِي الْأَدَبِ<sup>(٤)</sup>  
 مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَلْبِ      كَرِيمُ الْجُرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ<sup>(٥)</sup>  
 أَخُو الْحَرْبِ يُخْدَمُ مِمَّا سَبَى      فَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ<sup>(٦)</sup>

مثلكم ، وكيف آخذ عوضاً ممن أنعم علي ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كا

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للإنسان والحنف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والحمار ، والغيب والغيبب : للبقرة والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلاً لسيف الدولة ، والثور مثلاً لمن لقي بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خدش بن زهير :

ولا أكون كمن أتى رحالته      على الحمار وخلي صهوة الفرس

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢) و (٣) بمن في حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلاً أن أقيس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفاً - كما يسمى هو سيف الدولة - لكانوا سيوفاً من خشب ، وكان هو سيفاً من حديد : يعني أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازاً ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار يقول : ليس يشبه أحد من الملوك في شيء من ذلك .  
 (٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه سمي على بن أبي طالب ، وهو من هو ؟ وأغر القلب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا القلب فهو أغر : أي متعالم مشهور أبلغ . وكريم الجرشي : أي النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشي : من قبيح ألفاظ التنبي .  
 (٦) أخو الحرب : أي عرفت به وعرف بها فصار لها أخاً ؛ وقناه : فاعل سبي : أي رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحداً خادماً فهو مما سباه

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسْرُهُ بِمَا لَا يَهَبُ (١)  
 وَإِنِّي لَأَتَّبِعُ تَذْكَارَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَقَى السُّحْبُ (٢)  
 وَأَتَّبِعِي عَلَيْهِ بِأَلَانِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبُ (٣)  
 وَإِن فَارَقْتَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُدْرَانَهَا مَا نَضَبُ (٤)  
 أَيَا سَيْفِ رَبِّكَ لَا خَلْفَهُ وَيَاذَا لَلْكَارِمِ لَإِذَا الشُّطْبُ (٥)

بنفسه ، لا بما اشتراه ، لأن ماله كله جميعاً من سبائه ؛ وإذا خلع على إنسان ثوباً فهو مما سلبه من أعدائه . يريد كثرة نكايته في الأعداء .  
 (١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحري :

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَغِيلُ وَلَا يَجِبُ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ (٢)  
 يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، فقلت له صلى الله عليه وسلم أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء ديدنهم البالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وقد قال ابن الرقاع :

صَلَّى إِلَهًا عَلَى أُخْرَى وَدَعَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقال الراعي :

صَلَّى عَلَى عَزَّةِ الرَّحْمَنِ وَأَبْنَتِهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْأُخْرَى (٣)  
 يقول : أتتني عليه بما وصل إلى وإلى غيري من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والهبة : أقرب محلته أم جدت .

(٤) الغدران : جمع غدیر ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزي : سمى الغدير غديراً لعنيين : أحدهما لأن الفيث تركه ، والثاني لأنه يندر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار في الأرض وجد . وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان به قد انقطع عنى فإن ما سبق إلى منه باقى كالغدران تبقى بعد المطر .

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق



وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُنْبَةٍ رُنْبَةً بِالرُّنْبِ (١)  
وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحِسَامٍ ضَرْبَ (٢)  
بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتُ وَاللَّهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ (٣)  
وَقَدْ يَلْسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَمَعْنُ ثُغُورٍ وَقَنْبٌ يَجِبُ (٤)  
وَعَرَّ الدَّمِثَقُ قَوْلُ الْعَدَاةِ أَنْ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصَبُ (٥)  
وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ (٦)

التي في متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب .  
يقول : لست سيما كسائر السيوف . فانت سيف الله لاسيف الناس . وانت صاحب  
المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أجد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية :  
الرمح . يقول : يا أجد الناس همه ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم قطعى كلا  
منهم المذلة التي يستحقها ، ويا أطعن من مس رحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بذأ : أى بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع الخفاة من فروج البلدان ؛  
والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم  
يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف  
الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت في الرأس : أى من شدة الرعب ، والوجب خفقان  
القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يلسوا من الحياة ، فهم في خوف ورعب  
واضطراب حتى أتقتهم .

(٥) الدمستق : فائد الروم ، والعداة ، جمع عاد بمعنى عدو ، والثميل : الشديد  
المرض ، والوصب : المرض . يقول إنما اجترأ الدمستق على أهل الثغور لأنه اغتر بما  
أرجف به الأعداء من أنك مريض لاتستطيع إغاثتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغي للدمستق أن يفتولأن سيف الدولة إذا هم بالعارة وهو  
عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسْبِ (١)  
تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغِيبْ (٢)  
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ إِذَا لَمْ تَخْطَ الْقَنَا أَوْ تَثِيبْ (٣)  
فَفَرَّقَ مَدَنَهُمْ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ (٤)  
فَأَخِيبَتْ بِهِ طَالِبًا قَهْرَهُمْ وَأَخِيبَتْ بِهِ تَارِكًا مَا مَطْلَبْ (٥)  
نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللَّقَاءِ وَجِئْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْمَرْبِ (٦)

(١) أتاهم : أى الدمستق ، وبأوسع : أى بخيل أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبيب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعسب جمع عسيب ، وهو منبت الذنب . يقول : أتاهم الدمستق بخيل موضعها من الأرض أوسع من أرض الروم ؛ وصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جياذ الخيل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه ، مما يستحب فى الخيل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواهب - أى الجبال العالية - غطاها لكثرتة فغابت فيه ، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صفاراً بالإضافة إليه وإلى سعته وانتشاره حولها .  
(٣) تخط - بخذف إحدى التاءين - أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غصن الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طريقاً منها أو تثب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أتاهم من الجيوش بما عم بلادهم فكانت أغمقتها ، وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه لكثرتها وارتفاعها .

(٥) أخيب به : صيغة تعجب : أى ما أخبته فى الحالين ، ويروى الثانى ؛ وأخيب به تاركاً ، من الخيبة ؛ وطالبا وتاركاً : حالان . يقول : ما أخبته حين يحاول قتله لأنه استدبر فى ذلك سيف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخبته إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً يطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعيداً عن أهل النخور أتاهم فقاتلهم بالمبارزة ، فلما جئت جعل الحرب موضع القتال : أى حمى نفسه بالحرب ، فكانت ما قاتلهم به كى ينجو .

وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ كَمَا أَتَى      وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ كَمَا ذَهَبَ (١)  
 سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَائِبُهُمْ      وَمَنْفَعَةُ الْعَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبِ (٢)  
 فَخَرُّوا نَحْلَالِهِمْ سُجْدًا      وَلَوْ لَمْ تُغِيثِ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ (٣)  
 وَكَمْ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِأَرْدَى      وَكَشَفَتْ مِنْ كَرْبٍ بِالْكَرْبِ (٤)  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدُّ      يَعُدُّ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبِ (٥)

(١) يقول : إنه كان يفخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له في ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا ، وإعما ينفع العوث إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للعوث ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام :

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَلَمًا      إِذَا مَا سَمَاءَ الْيَوْمِ طَالَ انْهَمَارُهَا  
 وقول البحرى :

واعلم بأن النيثَ ليس بنافعٍ للناسِ ما لم يأتِ في إِبَانِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذى يتخذه المسيحيون فى بيوتهم ويصمم على شكل الصلوب . يقول : لما أقذتهم وفر الدهستق سجدوا لله شكراً ، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفاً منهم .

(٤) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك يا هلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التى أنزلتها بأعدائهم ؟

(٥) المعتصب : أى التوج الذى يعتصب التاج برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدهستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجيء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم - للمشاكلة بين الفعلين ، على أن عاد قدير اد بها الإتيان لأول مرة كما قال :

فإن تكن الأيام أحسن مرةً      إلى فقد عادتْ لهن ذُنوبُ  
 أى أتتى .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَمْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ<sup>(١)</sup>  
لِيُدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لَلرَّجَالِ لِهَذَا الْعَجَبِ<sup>(٢)</sup>  
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الشَّرِكِينَ إِمَّا لِعِجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرِّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّكَ وَخُدَّكَ وَحَدَّثَهُ وَدَانَ السَّرِيَّةُ بِابْنِ وَأَبِ<sup>(٥)</sup>  
فَلَيْتَ سِيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَيْبٌ<sup>(٦)</sup>  
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جَنْبِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبٍ<sup>(٧)</sup>  
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ أضعْفَ حَظِّ بِأَقْوَى سَبَبٍ<sup>(٨)</sup>

(١) يقول : إن المستق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصره على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولام في الرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولام لهذا : لام التعجب ، وهي مكسورة ، أنشد سيويه لقيس بن ذريح :

تَكَنَّفَنِي الْوَشَاءُ فَأَرْجُو فِي النَّاسِ الْوَأَشِي الْمَطَّاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا الشركين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما عجزاً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادين والمواعين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحد لله تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكثب كآبة : حزن وظهر فيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذي يكتب لظفرك بالروم يقتل بسيفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذي يشكوه ، وقوله تجزي به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو في قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض

وقال في صباه ارتجالاً وقد عدله أبو سعيد المجيمري (\*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَعِيدٍ جَنَّبِ الْمَتَابَا      فَرُبَّ رَأِي خَطَأٍ صَوَابَا (١)  
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحَجَابَا      وَأَسْتَوْقَفُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا (٢)  
وَإِنْ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا      وَالذَّابِلَاتِ الشَّمْرُ وَالْعَرَابَا  
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَجَابَا (٣)

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة ، يقول : ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد وليتك تجزى من أبيضك يبيضه ومن أجبك بجه كي أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيتني على حبى لك - وهو أقوى سبب ، لأن حبى إياك أكثر من حب غيرى - لنت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد حبا له . وعبارة ابن جنى : لو تهايت في جزائك إياى على حبى إياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة حبى لك قال أبو الفضل العروضى : وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولن هو دونه فكيف ينسب التنبى سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذى لاحظته العروضى لم يوفق فيه .

\* هو أبو سعيد النبجى من بنى الميصر ، قبيلة بمنج من طيء .

(١) رأى خطأ : يروى راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين \* فرب رأى خطأ الصوابا \* يقول : أبعدهنى يا أباسعيد عتابك فلا تماثبنى ، لأنك ترى الخطأ فى زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :

(٢) فإنهم : أى الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعراب الحيل العربية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذى أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض ما يشف عن طموح التنبى وآماله السكار

وقال في صباه ارجع لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لأَحْبَبِي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ الْأَكُوبَا<sup>(١)</sup>  
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا<sup>(٢)</sup> وَعَلَى أَنْ لَا أَشْرَبَا  
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا<sup>(٣)</sup> تِ الْمُسْمَعَاتِ فَأَطْرَبَا<sup>(٤)</sup>

وقال يرثي محمد بن إسحاق التنوخي وينفي الشامة عن بني عمه (\*):

لَأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ بَوْتِرٍ نَطَالِبُ<sup>(٤)</sup>

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهي الخمر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدح لا عروة له .

(٢) أي يجودوا بالشراب

(٣) الباترات . السيوف انقواطع ؛ يريد : أنه لا يطرب إلا على صليل السيوف ؛ وهذا أيضا إحدى هنواته التي تدل على بعد همته ، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قلبه في صباه ، مثل الأبيات التي قبلها .

\* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها :

إني لأعلم واللييب خبير

وستأني ، ثم استزاده بنوع المبت فقال هذه الأبيات :

غاضت أنامله وهن مجور

وستمر بك ، ثم سأله أن ينفي الثلاثة عنهم فقال :

الآل إبراهيم بعد محمد إلا حنين دائم وزفير

وترأها في قافية الراء ، ثم سأله زيادة في نفي الشامة عنهم فقال هذه الأبيات التي

نحن بصددها

(٤) اللام في قوله لأبي : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم

للرؤيا تعبرون » أي أي صروف الدهر نعتاب ؛ والوتر : الثأر . يشكو الدهر يقول :

إن صروف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن مطابقتها ولا طلب الثأر منها .

مَضَى مَنْ قَدَدْنَا صَبْرُنَا عِنْدَ قَدِيدِهِ  
 وَقَدْ كَانَ يُعْطِي الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَارِبٌ (١)  
 يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ (٢)  
 فَتَسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّهَا مَضَارِبُهَا مِمَّا أَنْفَلْنَ ضَرَائِبُ (٣)  
 طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالنُّمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٌ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ (٤)

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد  
 بينهم ويمسح إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى - بفتح  
 الطاء - فيكون معناه أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر .  
 (٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع في الهواء  
 سماء ، وجعل الأسنة لامة فيها كالسكواكب ، وهذا من قول بشار :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّعْقِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا بِنَجُومِهَا سِيُوفًا وَقَعْمًا يَقْبِضُ الطَّرْفُ أَقْتَمَا  
 وَقَالَ آخَرَ :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجْمَ سَمَائِهَا

(٣) تسفر : تنجلي ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وظهره وانفلقن :  
 انفلقن ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الشيء المضروب بالسيف يقول : إن هذه  
 العجاجة تنجلي عنه ، وقد تثلت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة  
 لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سِيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ

وفي هذا البيت - بيت النابغة - من البديع تأكيد الملح بما يشبه الدم

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أعماقها كالشمس في برقيها  
 ثم غربت في رؤوس المضروبين ، فصارت رؤوسهم مغارب لها ، وهذا من قول أبي نواس  
 في الحمر :

طَالَمَاتِ مَعَ الشَّقَاةِ طِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ      وَلَمْ يَكُنْهَا حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ<sup>(١)</sup>  
 رَتَى ابْنُ أَبِيْنَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ      فَبَاعَدْنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَعَرَّضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ      وَإِلَّا فِزَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاصِبُ<sup>(٣)</sup>  
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ بَيْنَ بَنِي أَبِي      لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدْبُ الْعَقَارِبُ<sup>(٤)</sup>  
 إِلَّا إِمَامًا كَانَتْ وِفَاةُ مُحَمَّدٍ      دَلِيلًا عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ<sup>(٥)</sup>

(١) شتى : متفرقة ؛ وقفنا : تبعنا . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هي لعظمها كأنها مصائب شتى ، ولم يكفنا ذلك حتى تبعنا مصائب أخرى ، وهي اتهام المفسدين إيانا بأننا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذي رحم له : يروي، غير ذي رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالتماته ونحن أقرباؤه ، فموتة إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض في مرثيته بأننا شامتون ، والتعريض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح ، والعارضان : جانباً اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله ، وإلا فزارت يجوز أن يكون من كلام المرعش حكى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فزارتى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تأكيداً لما ذكر من شامتهم ؛ ويجوز أن يكون من كلام الذين ينفون التمامة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف ، فيكون هذا تأكيداً لنفى التمامة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أب : أى أنه بين بنى أب ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، وديب العقارب : كناية عن النجاسة . يقول : أليس عجيباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمتى بينهم بالنجاسة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه يهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغلّب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبى تمام .

كُفِّي قَتْلُ مُحَمَّدٍ شَاهِدٌ أَنْ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلٌ



وقال يمدح المغيث بن علي بن بشر العبلي :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبِيعِ مَا وَجِبَا      لِأَهْلِهِ وَشَقَى أَنِّي وَلَا كَرَبَا<sup>(١)</sup>  
عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أُبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا      مِنَ الْمُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا<sup>(٢)</sup>  
سَقَيْتُهُ عَبْرَاتِ ظَنِّهَا مَطْرًا      سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنِّهَا سُحْبَا<sup>(٣)</sup>  
دَارُ الْمَلِمِ لَهَا طَيْفٌ تَهْدَدُنِي      لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذَبَا<sup>(٤)</sup>

هذا وقال العكبري — تعليقاً على قوله : أن ليس — ؛ أن هي الخففة من الثقيلة ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت هنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال المقاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب : يقول : إنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه بما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكأى قضى ما يجب وشقى ما فى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بِالذَّيَارِ التِي لَمْ يَغْفِهَا الْقِدْمُ      بَلَى وَغَيْرَهَا الأرواحُ والديم  
(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : غطفنا على هذا الربيع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحياء فضلاً عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربيع دموعاً سوائل ظننا مطراً من جفون ظننا سحبا .  
(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربيع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَأَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى      جَمَّشْتُهُ فَنَبَا قَبْلَتُهُ فَأَبَى (١)  
 هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَتَتْ      يَبْتَأُ مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُنْبًا (٢)  
 مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا      مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبًا (٣)

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — في الملم — بمعنى التي ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال  
 مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربيع هو دار المرأة التي زارني لها طيف .  
 أو عدني ليلا . أي هددني بالمهجر فما صدقت عيني لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ،  
 ولا كذب الطيف في تهديده لأنه هجرني بعد ذلك ، إذ لم أتم بعدها .

(١) نَأَيْتُهُ بَاعَدْتُهُ : وَيُرْوَى أَنْأَيْتُهُ : أَي أَبْعَدْتُهُ ؛ وَدَنَا : قَرَّبَ ، وَجَمَّشْتُهُ : غَاظَلْتُهُ  
 وَدَاعَيْتُهُ ، وَنَبَا : تَجَافَى وَتَبَاعَدَ ؛ وَأَنْبَيْتُهُ أَنَا : دَفَعْتُهُ عَن نَفْسِي ؛ وَفِي الْمَثَلِ :

الصدق ينبي عنك لا الوعيد

أى أن الصدق يدفع عنك العائلة في الحرب دون التهديد ؛ ونبأ السيف : إذا لم يعمل  
 في الضريبة ؛ ونبأ بصرى عن النبي ، ونبأ به منزله : إذا لم يوافقه ؛ وأبى : امتنع ، يقول :  
 كلما أردت من هذا الطيف شيئا قابلني بضده ، وهذا قريب من قوله :

\* صدت وعلمت الصدود خيالها \*

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لعلبة الهوى عليه ؛ والطنب : جبل الحباء  
 والسرادق ونحوهما ، قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبي بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن  
 سكن بيتا لم يتعب في إقامته ولا مد أطنا به . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال :  
 اتخذت بيتا من قلبي فترلته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد .

(٣) يقول : هي مظلومة القد — إذا شبه بالفصن ، لأنه أحسن منه — وهي  
 مظلومة الريق — إذا شبه بالعلل لأنه أحلى منه ؛ والضرب — وهو العسل الأبيض  
 الغليظ — يذكر ويؤنث ؛ قال أبو ذؤيب الهذلي في تأنيته :

وَمَا ضَرَبَ بِيضَاهُ يَا أَوْى مَلِيكُهَا      إِلَى طُنْفِ أُعْيَا بَرِاقٍ وَنَازِلِ  
 بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِثَّ طَارِقًا      وَأَشْهَى إِذَا نَامَتْ كَلَابُ الْأَسَافِلِ (١)

(١) يَا أَوْى مَلِيكُهَا : أَي يَعْسُوبُهَا ؛ وَيَعْسُوبُ النَحْلِ : أَمِيرُهُ ؛ وَالطَّنْفُ : حَيْدِ يَنْدُرُ

بَيْضَاهُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَهُ حُلَّتَهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طَلَبًا<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعَهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا<sup>(٢)</sup>  
مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِنَهَا فَقُلْتُ لَهَا  
مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ العَرَبَا<sup>(٣)</sup>  
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمَيْثِ يَرَى  
لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا أَنْتَسَا<sup>(٤)</sup>

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التمييز . يقول ؛ إنها لأنها  
ولين حدشها تطمع العاشق في نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطابقتها وصياتها ؛  
ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسِنَ مِنْ لَيْنِ الحَدِيثِ دَوَانِيَاً وَيَهِنُّ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ  
(٢) يعي : يعجز ، والضمير في قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف :  
النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس في قربه من الطرف وبعده عن القبض  
عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عينية :

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ  
ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لِمَا أَنْ تَفِيبَ لَيْلَهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعَيْنِ نَجْمُهَا  
تَرَاهَا عُمُومُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومَهَا  
وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرَّ الفَوَادَ عَزَاءً جَمِيلًا  
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ  
(٣) و (٤) القرب : المساوي لغيره في العمر ؛ ويقال للدة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحمى لأن  
مواشيهم لا تبني معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها .

جَاءَتْ بِأَشْجَعٍ مِّنْ يُسَعَىٰ وَأَشْمَعَ مِّنْ  
أَعْطَىٰ وَأَبْلَغَ مِّنْ أَمَلَىٰ وَمَنْ كَتَبَا<sup>(١)</sup>  
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقَدَّرِ لَمْشَى  
أَوْ جَاهِلٍ لَّصَحَا أَوْ أُخْرَسَ خَطْبَا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ  
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا أُحْتَجَبَا<sup>(٣)</sup>

الذي قوى وترعرع واستغنى عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ،  
والغيث : اسم المدوح ، وكالغيث : أى أنا كالغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع  
تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة المدوح . يقول : مرث بن ابى ربيعة قتل لها : أنت  
من الظباء وتربك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينها ؟ فضحكت  
ثم قالت : لا تعجب من ذلك فإنى كالغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؛  
وكذلك أنا : ترائى من الظباء وأنا عربية . وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن  
التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية  
للإمامة بينهما .

(١) أى جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة  
التي هي عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان في زمن<sup>(١)</sup> لشي ، أو في جاهل لصحا من  
جهله وصار عالما . أو في أخرس لقد رطى النطق .

(٣) يقول في الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجب هيبته عيونهم عن النظر إليه  
لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُبْفِضِي حَيَاءً وَيُبْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَنِمُ

(١) الزمن ذو الزمانة : أى العاهة ، وهو هنا في معنى التعمد .

يَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً  
وَدُرُّ لَفْظِ يُرِيكَ الدَّرَّ مَخْشَا لَبًا (١)  
وَسَيْفُ عَزِيمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هَيْبَتُهُ رَطْبُ الْفِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مَخْتَصِبًا (٢)

وقوله أيضاً :

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتهم  
خضع الرقابَ نواكسَ الأبصار (١)  
ويقول أبو نواس :

إن العيونَ حُبِنَ عنكَ لهيبةٍ  
فإذا بدوتَ لهنَّ نُكُوسَ نَاطِرٍ  
ويقول في الشطر الثاني : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورأها  
فلم تستطع حجبهُ ، وهذا كقول القائل :

أصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ نَلِوَةً هِيهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ  
وقال ابن جنى : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابهُ قريب لما فيه من التواضع  
فليس يقصر أحدُ أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلاً  
محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبارة الخطيب : الذي أراده المتنبي أن حسنه  
وبهائه لا يحجبهُ شيء ، والبيت الذي يليه يشهد له

(١) الحالك : الشديد السواد ؛ والمخشب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب  
تسميه الخضض ؛ أما المخشب فهي كلمة بنطية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس  
حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق  
كأنه خرز .

(٢) هبته : مضاؤه ؛ والفرار : الحد ؛ والتأمور : دم القلب . قال أوس بن حجر .

أُنْبِثْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَوْلَجُوا أَيْبَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ  
« أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيف رطب  
الحد من دم الأعداء .

(١) خضع : جمع خضوع أي خاضع ونواكس جمع شاذ ويروى منكسى : نواكسى أي  
مطاطق رؤسهم منكسى أبحارم إجلالاً له وهيبة وللنحو بين في نواكس كلام طريف فانظره  
(١٦ - المتنبي ١)

عُمْرُ الْعَدُوِّ إِذَا لاقَاهُ فِي رَهْجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمُرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبًا<sup>(١)</sup>  
 تَوْقَهُ قَمَتِي مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشْبًا<sup>(٢)</sup>  
 تَحَلُّوْا مَذَاقَتَهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا<sup>(٣)</sup>

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء .

وفال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهبه ؛ وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال ، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يتيقنان . وقوله إذ وهبا : أي إذا أراد أن يهب . (٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، لحذف أن وبقي عملها . قال العكبري : تبلوه :

اتصّب بإضمار أن ، وهو على مذهبننا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدره ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله » فأعمل أن مقدره ؛ وحجتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :

\* وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْسَلَهُ \*

فنصب أفعله بأن المقدره . والنشب : المال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختياره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإبادة والإفناء ، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلُّمُ الْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظَلَامًا  
 وما أحلى قول أبي نواس :

لَيْتَ مِنْ كَانَ عَدُوِّي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالًا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأضت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ؛ يعني أن فيه حلاوة لأولياته ومرارة لأعدائه ، وفي الماء يروي في البحر قال العكبري : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد للملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفي البيت تصريح ، وهو ما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .

وَتَقْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ  
وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنْهَا أَيَّهَا رَكِبًا<sup>(١)</sup>

(١) القبضة والحسد : كلاهما بمعنى التمنى ، بيد أن القبضة أن تمنى مثل حال القبول من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالقبضة أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغبط هو كقولك منعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذري :

وِينَا المرءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُقْبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ  
وِغْبَطَتِ الْكَبْشُ أَغْبَطَهُ غَبَطًا : إِذَا جَسَّتْ إِلَيْهِ لِتَنْظُرَ أَبَهُ طَرَقَ أَمْ لَا؟<sup>(١)</sup> وَغَبَطَ  
الشاةُ وَالنَّاقَةُ : جَسَمَا لِيَنْظُرَ سَمْنِمَا مِنْ هَزَالِمَا . قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ  
يَهْجُو قَوْمًا مِنْ سَلِيمٍ :

إِذَا تَجَلَّيْتَ غَلَّاقًا<sup>(٢)</sup> لَتَعْرِفَهَا لِأَحْتَمِ اللُّؤْمُ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبُ  
إِنِّي وَأَنْتِي ابْنُ غَلَّاقٍ لِيَقْرَبِي

كغابيط الكلب يئبى الطرّاق في الذئب

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ قال : لا ، إلا كما يضر العضاة الحبط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد ، وأن ما يلحق الغابط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الحبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبط ورقها استخلف دون يدي الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذي يقع مفعولا به لتببط ، وضمير منها الثانية : للخيل ، وأيها : مفعول تحسد يقول : إن الأرض يغبط بعضها البعض الذي يحل فيه ، والخيل يحسد بعضها البعض الذي يركبه . قال ابن جنى : وجعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاعها فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض

(١) الطرّاق : - الشحم أو السمن .

(٢) غلاق : - كشداد رجل أبو حى .

وَلَا يَرُدُّ بِنَفْسِهِ كَفَّ سَائِلِهِ عَنِ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبَا<sup>(١)</sup>  
وَكَلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا<sup>(٢)</sup>  
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكَلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا<sup>(٣)</sup>

والجلى ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحمد ، والبيت مأخوذ من قول  
أبي تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةٌ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَهَا قَبْرُ  
(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد  
هجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .  
(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، حذف أن وأبقى عملها .  
يقول : إذا اتقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين  
وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كلما لقي المدوح الدينار  
مصاحباه ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر في هذا المعنى :

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَى دِرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خَرْقُ  
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دِرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرْقِ الْمُرُوفِ تَسْتَبِقُ  
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ لِلْمَضْرُوبِ صُرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ  
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ يُخَلِّدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمِرِقُ  
(٣) المجتدى : السائل ، ونعب الغراب : صياحه ، والبين : الفراق يقول : هذا

المال كان غراب البين يرقبه ، فكلماء جاء مجتد صاح فيه ففرق شمله ، وعبارة الواحدى  
إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق المدوح ماله ، فكان غراب البين  
نعب في مال المدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونعبه بيان ومثال لتفريقه  
المال عند مجيء السائل ، والأصل في هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح في  
ديار قوم تفرقوا ، أما ما قاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح . كذلك  
هذا لا يفتر عن العطاء : فهو جيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح ؟  
هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة في غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فمنها  
غراب الفأس : أى حدما . قال الشماخ يصف رجلا قطع نبعة :



بَحْرٌ عَجَابِيٌّ لَمْ تُنْبِ فِي سَمْرِ  
 لَا يُفْنِعُ ابْنَ عَلِيٍّ نَزْلَ مَنْزِلَةٍ  
 وَلَا عَجَابِيٍّ بَحْرٍ بَدَهَا حَجَبًا<sup>(١)</sup>  
 يَشْكُو مُحَاوِلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعْبَا<sup>(٢)</sup>  
 رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلُّ لَهُمْ ذَنْبًا<sup>(٣)</sup>  
 هَزَّ اللُّوَاءَ بَنُو عَجَلٍ بِهِ فَنَدَا

فَانْتَحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غَرَابِهَا عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاءِ مُشَارِزُ

« أى أمال على النبعة فأسا ذات حد ، غرابها — أى حدها — مشارز: أى معاد أوسىء الخلق ، والمشارزة هى المصارعة » ومنها الغراب : فذال الرأس يقال شاب غرابه : أى شعر قذاله . والغرابان من الفرس والبمير حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى ، قال الراجز .

يَا عَجَابًا لِلْمَجَبِّ الْمُجَابِ خَمْسَةَ غُرَبَانَ عَلَى غُرَابِ

(١) السمر : السامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون فى ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمره مأخوذة من هذا ، وسمر يسمر سمرآ وسمرورآ لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامر أيضاً السمار ، وهم القوم يسمرون . قال الأزهرى : وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهى جمع ، فنها الحامل والسامر والباقر والحاضر ، والحامل للابل ويكون فيها الذكور والإناث ، والسامر : الجماعة من الحى يسمرون ليلا ، والحاضر الحى النزول على الماء ، والباقر : البقر فيها الفحول والإناث ، قتلوا: والسامر أيضا : الموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، وأنشدوا :

• وَسَامِرٌ طَالَ فِيهِ اللَّهْوُ وَالسَمْرُ •

وابنا سمر الليل والنهار لأنه يسمر فيهما . يقول : هو بحر له عجائب فى باب الفضل والشجاعة لأنها كيهها عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار ، إذ هى بالقياس إليها كالشئء المألوف لغرابه ما يبدو منه ويتحدث عنه ، وعبرة ابنى جنى : تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسفار والبحار

(٢) مهاولها : أى طالبها ، وأصله طلب الشئء بالحيلة . يقول : لا يقنع المدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها ، إذ هو دائماً يطمح إلى ما يصعب عنه الطالبون .

(٣) اللوواء الراية ، وبنو عجل : قبيلة المدوح . يقول : حركوا اللوواء باسمه — أى

التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا  
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صَمْبًا<sup>(١)</sup>  
مُبْرَقِي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي  
هَامِ الْكَمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابًا<sup>(٢)</sup>

جلاوه سيدم وقأندم — فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدم وصاروا هم به مادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنايا لهم وتبعوا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم — بعد همتهم — يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفي هذا يقول الطهوي :

وَلَا يَرَعُونَ أَوْ كَنَافَ الْمُؤَيَّنَا إِذَا حَلُّوا وَلَا رَوْضَ الْمُدُونِ<sup>(١)</sup>

(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والسكاة : الأبطال المدجون في السلاح والعدب : جمع عذبة وهي الريش الملق في طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطنن أو ضرب : إما لما نزلتهم دونها ، أو لحذقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . وعبرة أبي الفضل العروضي : أن سيوفهم مكان البراقع لخيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذى هام السكاة : معناه أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التي تطلق بالرمح . وقال جرير في هذا المعنى :

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا

عَدَاةَ الْوَعَى تَيْجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ

(١) الهدون : الدعة والسكون .

إِنَّ النَّيَّةَ لَوْ لَاقَتْهُمْ وَقَفَتْ      خَرَقَاءَ تَتَّبِعُهُمُ الْإِقْدَامَ وَالْمَهْرَبَا (١)  
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا      فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّهْبَا (٢)  
مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَمْلَأَهَا      فَالَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضْبَا (٣)  
مَكَارِمٌ لَكَ فَتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا      مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ قَائِتٍ طَلْبَا (٤)

وقال أبو تمام :

أبدلت أرووسهم يومَ الكريهةِ من

قنا الظهورِ قنا الخطيِّ مدعماً

من كلِّ ذى لمةٍ غطتْ ضفائرها      صدرَ القناةِ فقد كادت تُرسي علماً  
(١) الخرقاء : الحقاء ، مؤنث الأخرق . يقول : لولاقتهم النية يوم الوغى للبطت بالأرض

خوفا وفزعا لا يتجه لها رأى في السلامة فهي تنهم الإقدام وتنهم الحرب خشية الإدراك :  
أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

من كلِّ أروعَ ترتاعُ اللئونُ له      إذا تجردَ لانكسُ ولا حذيرُ  
وقال أيضاً :

شوسٌ إذا خفقتْ عُقابُ لوائهم      ظلَّتْ قلوبُ الموتِ منها تحفِقُ

(٢) الشهب : الكواكب . يقول : إن لهم مراتب عالية علت في السماء فصارت أعلى  
من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نرفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؛ ونضب : جف . قال الواحدى :

جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نرفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — منزوفا .  
يقول : لم تمتلئ هذه المحامد من شعري : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعري ،  
ولا شعري فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : ويان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعري لينظم  
تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدكم وكثرة مدائحكم لم  
يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مدائحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغراق محامدكم  
في الشعر كالماء بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوباً .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس في مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع

إدراك أمر قائمت ؟

لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ اخْتَلَفْتَ إِلَى الْخَمِيرِ الرَّكْبَانُ فِي حَلَبَاً<sup>(١)</sup>  
 فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَاً<sup>(٢)</sup>  
 أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوِي شَرِقْتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكِي مَا عَاشَ وَأُنْتَحَبَاً<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْعَرِيَّ أَخَا وَالشَّرِيفَ أَبَا<sup>(٤)</sup>  
 بِكُلِّ أَشْمَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُنْتَسِماً حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَاً<sup>(٥)</sup>  
 قُوعٌ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْدِفُهُ عَنْ سَرَجِهِ مَرَحًا بِالْفَزْوِ أَوْ طَرَبَاً<sup>(٦)</sup>

(١) و (٢) اختلفت : تردت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صعدوا إلى المدوح فأبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوى لا أعرج . يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتني ركبان الغاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فما عثمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيرى ولا أف ، حتى وصلت إليك عمولا على راحلتين من قمرى الذى يحفزنى إلى بابك طلبا لجدواك وأدى الذى تسببت به إليك .

(٣) شرقت : غصصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ما عاش . أى ما بقى وامتد . والاتحاب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيئا لو ذاقه هو لبكى واتحب مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية فى الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسمرى : الرمح ، والشرفى : السيف ، كنى بهذه القربات عن ملازمة هذه الذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بى العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبى . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الميم يعمر عمرا وعمارة وعمرا ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقى زمانا طويلا ومنه قولهم : أطال الله عمرك وعمركوما وإن كانا مصدرين بمعنى ، إلا أنه استعمل فى القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : المنبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقوع : الخالص : أى العربى الخالص النسب ؛ وقوع : نعت لأشعث ، والمرح : النشاط . يقول : للزمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمى بنفسه فى التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهاك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن حنى بدل صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعْدَرُّ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالْدُنْيَا لِيَنَّ غَلْبًا<sup>(١)</sup>

صهيل الجرد - جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر - وذلك مما يعمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالجزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام :  
مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ  
وقول البحري :

مُسْتَرْسِرِّعِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا وَفَرَ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَبَّهُ

(١) يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش ذليلاً ، فإذا قتلت في طلب العالی قام الموت بعذري ، والصبر أجمل ، لأن الجزع عادة اللثام ، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قال العكبري : وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه لا يمدح رجلاً ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخَطَى  
وقد غاب عن العكبري - رحمه الله - خلائق المتنبي وأنه لا يمدح الناس إلا لمدح نفسه وبنوه بما تنطوي عليه من الطامع والآمال الكبار والنزاع إلى الطعن والنزال .

وقال يمدح على بن منصور الحاجب \*

بأبي الشَّمْسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا      اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبًا<sup>(١)</sup>  
 الْمُنْهَبَاتُ قُلُوبِنَا وَعُقُولُنَا      وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا<sup>(٢)</sup>  
 النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيَا      تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَابِبا<sup>(٣)</sup>  
 حَاوِلُنَ تَفْدِيَتِي وَخِفْنَ مُرَاقِبَا      فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَابِبا<sup>(٤)</sup>

\* قيل: إنه لم يحزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .  
 (١) الباء للتفدية ؛ والشمس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير :  
 الشمس مفديات بأبي ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى  
 الشمس بأبي ؛ والجناحات : المائلات ؛ والجلاب : جمع جلباب ، وهو ما يلتحف  
 به من اثياب ، وأصله جلابيب : قال تعالى « يدنين عليهم من جلابيبهن » فحذف الياء  
 ضرورة ؛ كنى بالشمس عن النساء ، وبشروبهن . عن بعدهن . وعبرة الواحدي :  
 لما سماهن شموماً كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشمس عن العيون لا يكون إلا  
 بالغروب ، وقد بين في آخر البيت أن الشمس : النساء الحسنان ؛ إذ قال : اللابسات الخ .  
 وقال ابن جنى : غبن عنك في الحدور .

(٢) المنهبات : اسم فاعل ، وجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ،  
 وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهبات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها  
 فاعل المنهبات : أى اللاتي أنهبت وجناتهن قلوبنا ، فيكون قد اقتصم على مفعول واحد ؛  
 ويقال أنهبت الشيء إذا جعلته نهباله . يقول : اللواتي جعلن قلوبنا وعقولنا نهبالها لوجناتهن  
 يسبينها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أى الرجل المشجاع المغوار  
 الذى ينهب الناس . بعد أن أبلى البلاء الحسن فى الحرب ، وهذا من قول أبى تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحَسَنِ عَنْ حُرِّ أَوْجِهِ      تَطَلُّ لِبِّ السَّالِيهَا سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أى اللينات الفاصل ، والقاتلات : أى بهجرهن ، والهيئات :  
 بوصلهن ، والمبديات : أى المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جرة المرأة على  
 الرجل فى تكسر وتفتيح .

(٤) الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لى تفديك بأنفسنا  
 فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جنى : أشرن

وَبَسْمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أَذِيهٖ      مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا <sup>(١)</sup>  
 يَا حَبْدَا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبْدَا      وَادٍ لَثَمْتُ بِهِ الْغَزَالَهَ كَاعِبَا <sup>(٢)</sup>  
 كَيْفَ الرَّجَاءِ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصَا      مِنْ بَدِّ مَا أَنْشَبَنِي فِي مَخَالِبَا <sup>(٣)</sup>

إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جعل ابن جنى هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن تفديك بأنفسنا وخنن الرقيب ، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جنى لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمى ؛ لأن الإشارة بالسلام لاتكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائهن تسكيننا للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ماقله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضْحَى بِمَجَانِبِي مُجَانِبَةَ الْعِدَا      وَيَبِيتُ وَهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمُ  
 وَيَمُرُّ بِي خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظُهُ      شَتْمٌ وَحَشْوٌ لِحَاطِطِهِ تَسْلِيمُ  
 (١) أراد بالبرد : أسنانهن التى تشبه البرد فى تقائها ، وقوله خشيت أذيه : أى أن أذيه . يقول : إنى كنت أخاف على ثورهن أن تذوب من حرارة أنفاسى ، فلما رحلن ذبت أنا من شوقى إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وضاحكٍ عن بردٍ مُشْرِقٍ      أبا حنيه دون جُلَاسِي  
 فكلمًا قبلته خفتُ أن      يذوبَ من نيرانِ أنفاسِي

وقول بعضهم :

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي      مَنْ لَوْ جَرَى نَفْسِي عَلَيْهِ لَذَابَا  
 (٢) التحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالغزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ، والكاعب : التى بدا ثديها للنهود . يقول : قبات غزالة فى صورة كاعب من النساء .  
 (٣) الخطوب : الأمور الثقالة ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف ، أنشد سيويه :

أَوْ حَدَّثَنِي وَوَجَدَنَ حَزُنًا وَاحِدًا مُتَّاهِيًا فَجَعَلَنهُ لِي صَاحِبًا<sup>(١)</sup>  
وَنَصَّبَنِي غَرَضَ الرَّمَاةِ تُصِيبُنِي مِمَّنْ أَحَدُهُ مِنَ الشُّيُوفِ مَضَارِبًا<sup>(٢)</sup>  
أُظْمِتَنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَابِيًا<sup>(٣)</sup>  
وَحُبَيْتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ  
مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّي رَاكِبًا<sup>(٤)</sup>  
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا<sup>(٥)</sup>

ضعيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ تَحَالُ الْفِرَارُ يُرَاحِي الْأَجَلَ<sup>(١)</sup>

وأشبهن : علقن ، والمخالب : جمع الخلب — بكسر اليم — وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد أن نالت مني وتقدت في حكمها ؟

(١) أوحدني : أي الخطوب — أي صيرني واحدا . يقول : تركتني الخطوب وحيدا بعد أن فرقت بيني وبين الأعبة ، وجعلت صاحبي بدم ما أجده من الحزن التناهي الذي هو واحد الأحزان ، وهو حزن الفراق .

(٢) الغرض : الهدف يرمى بالسهم ؛ ومضاربا : تميز جمع مضرب — بفتح الراء وكسرهما — حد السيف . يقول : إن الخطوب نصبتة هدفا للمحن .

(٣) أظمتني من الظما : العطش : فأصلها أظمتني ، فأبدل الهمزة ألفا ثم حذفها . يقول : كان حظي من الدنيا الحرمان . فلما التمس عطاءها أفرغت على المصائب .

(٤) قوله من خوص الركاب : أي بدلا من خوص الركاب ، والخوص جمع الخوصاء ، وهي الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء ، والركاب : الإبل ، والدارش : ضرب من السخيان ، وهو جلد أسود : يقول أعطيت عوضا من الإبل خفا أسود ، فأنا راكب ماش .

(٥) حال : خبر مبتدأ محذوف : أي هذه حال ، وروى حالا — بالنصب — على

(١) يهجو رجلا يقول : هو ضعيف عن أن ينكي أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ولكنه يلجأ إلى الفرار ويخاله مؤخرآ لأجله .



مَلِكٌ سِنَانُ قَنَانِهِ وَبَنَانُهُ      يَتَبَارَيَانِ دِمَا وَعُرْفَا سَاكِبَا<sup>(١)</sup>  
يَسْتَصْفِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْفِدِهِ      وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكُنِي شَارِبَا<sup>(٢)</sup>  
كِرْمًا فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ      بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَظَنِكَ كَاذِبَا<sup>(٣)</sup>

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبى تمام قال :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِى وَقْدِ يُرَى      بِنِدَاكَ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبٌ  
وقال أيضاً :

عَضِبْتُ إِذَا هَزَهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ      جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ  
(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تمييز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المراد به الجود ، والساكب : المنسكب . يقول : إن سنان رعمه يقطر دماً من الأعداء ، وكفه تسكب جوداً على الأولياء . وهذا من قول البحرى :

تَلَقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفَهُ وَسِنَانُهُ      وَبَنَانُ رَاحَتِهِ دِمَا وَنَجِيمَا  
(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصفر الشيء العظيم لمن يقصده وينتجع إليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكنى شاربا . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَا حَبَّوتَ مِنَ اللَّهَاءِ      تَزْرَأُ وَأَضْفَرَ مَا شَكَرْتُ جَزِيلاً  
(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرما ، أو مفعول له عامله . يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما يصنع من الأفعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الأفعال عن طوق المقدرة . قال الواحدى — ناقداً — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وفضده يمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره مافعل كما قال أبو تمام .

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبٌ      تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُكْذِبُ  
وقال البحرى :

سَلَّ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَرَزَهُ مُسَالِبًا      وَحَذَارٌ مُمٌّ حَذَارٍ مِنْهُ مُحَارِبًا<sup>(١)</sup>  
 فَالْمَوْتُ تُعْرَفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ      لَمْ تَلَقْ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبًا<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ تَلَقَهُ لَا تَلَقَ إِلَّا قَسْطَلًا      أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا<sup>(٣)</sup>  
 أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا      أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا<sup>(٤)</sup>

وَحَدِيثٌ مَجْدٌ عَنكَ أَفْرَطُ حُسْنِهِ      حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لا تحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثلا لذلك .  
 (٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالمت إن عرف بالمشاهدة أهلك ألتة ، وكذلك شجاعة المدوح ، وقوله خلقا : أى مخلوقا ، مفعول أول لتلق ، وآيبا : مفعول ثان .  
 (٣) انقسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو القسطل ، والقسطل والقسطول والقسطلان والقسطل — بالصاد — كاه . الغبار الساطع . وقال الجوهري : القسطل لغة فيه كأنه محدود منه مع قلة فعلا في غير المضاعف ؛ وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثى رجلا :

وَلنِعْمَ رِفْدُ القومِ يَنْتَظِرُونَهُ      وَلنم حَشْوُ الدِرْعِ والسِرْبَالِ  
 وَلنم مأوى المستضيف إذا دعا      والخيل خارجة من القسطل

وقال آخر :

\* كأنه قسطل ریح ذی رَهَجٍ \*

الحجفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء

(٤) تبين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه ، أو طالبا رفته ، أو راغبا في إحسانه ، أو راهبا من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادبا على قتيل له من الأسرى الذين أسرم . وقال الواحدى : ويجوز أن تكون هذه أحوال المدوح : أى تلقاه هاربا من الدنيا ، وطالبا للعلی ، وراغبا فى المكارم ، وراهبا من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا      فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاصِبًا<sup>(١)</sup>  
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا      تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبًا<sup>(٢)</sup>  
 وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْخُلْدِيدُ سَوَادَهَا      زَنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَدَّالًا شَائِبًا<sup>(٣)</sup>

وَمَهْمَهُ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجًا<sup>(١)</sup>

ونادبا : من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .  
 (١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنايب : جمع الجنيبة ،  
 وهى التى تقاد إلى جنب الفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى  
 الجبال رأيتها رماحا وسيوفا ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنايب :  
 أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ماتقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو  
 بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الغبار ، وتبسم - بحذف إحدى التائين - أى تبسم ،  
 والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقال ابن الأعرابي :  
 القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهرى : اقمحدوة ما أشرف على  
 القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلي القذ ، ويقال : القذالان  
 ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج - بفتح الزاى وكسرهما - جيل من  
 السودان ، وهم الزنوج يقول : إن بريق الأسلحة فى سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب  
 القذال ، ولحمود الوراق :

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى      كالحكيشى      اقر      للضحك  
 ولأبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابهِ      كطلعةِ الأشمطِ      من جلابهِ  
 وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم  
 كما يقال : ليل غاض أى مفض ، وقال الأصمى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك  
 المتعرجين إن لم يهدبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .

فَكَأَنَّما كَيْسَى النَّهَارُ بِها دُجَى      لَيْلٍ وَأَطْلَمَتِ الرِّماحُ كَوَأكِباً<sup>(١)</sup>  
قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرِّزَايا عَسْكَراً      وَتَكَتَّبَتْ فِيها الرِّجَالُ كِتاباً<sup>(٢)</sup>  
أَسَدٌ فَرَأَيْسُها الْأَسودُ يَقودُها      أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسودُ نَعَالاً  
فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الْأورَى عَن نَيْلِها      وَعَلا فَسَمَوَهُ عَلَيَّ الْحَاجِباً<sup>(٣)</sup>  
وَدَعَوَهُ مِن فَرَطِ السَّخَاءِ مُبَدِّراً      وَدَعَوَهُ مِن غَضَبِ الثُّفُوسِ الْفَاصِباً  
هَذَا الَّذِي أَفْنَى التُّنْضارَ مَوَاهِباً      وَعَدَاهُ قِتالاً وَالزَّمانَ تِجارِباً<sup>(٤)</sup>  
وَمُخَيَّبُ الْعُذالِ فِيما أَمَلُوا      مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفاً خائِباً<sup>(٥)</sup>

(١) شبه بياض الحديد في ظلمة المعالجة بكواكب في ليل . يقول : كأن النهار ألبس تلك المعالجة ظلمة ليل ، وكأن الرماح أطلعت من أسنتها كواكب ، وأطلعت هي كواكب في تلك الظلمة . قوله : أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لما كلة قوله كسى ، وهذا المعنى من قول صريع الغواني :  
فِي عَسْكَرٍ شَرِيقِ الْأَرْضِ الْفِضاءِ بِهِ      كَاللَّيْلِ أَنْجَمُهُ الْقُضبانُ وَالْأَسْلُ  
وقول بشار :

كَأَنَّ مُنْثارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَمَوسِنَا      وَأَسِيفانَا لَيْلِ تَهْوايَ كَوَأكِبِ  
(٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتاب ، والكتائب : جمع كتيبة .  
الفرقة من الجيش - وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن الصائب تجمعت مع تلك المعالجة كأنها عسكرا تقع بالمدو ، وتكاثرت فيها رجال المدوح حتى صارت كتائب .  
(٣) هذا مثل قول ابن الرومي :

كَأَنَّ أَباهُ حِينَ سَمَّاهُ صاعِداً      دَرَى كَيْفَ يَرْتَقِي فِي الْمَعالي وَيَصْعَدُ  
وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب : ومثله كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد »  
الله « بغير تنوين ، حذفه لا لقاء الساكنين .

(٤) التُّنْضار : الذهب ، ومواهبها وما بعده : تمييز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أى أنه حصل له من التجارب ما يعرف به ما يأتي فيها يستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لأنه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .  
(٥) ومخيب : عطف على « هذا الذي أفنى » في البيت قبله ، وذكر السكف وإن كان

هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا      مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا<sup>(١)</sup>  
 كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتَّ رَأَيْتَهُ      يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَابِتًا<sup>(٢)</sup>  
 كَالْبَحْرِ يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا      جُودًا وَيَبْمَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا  
 كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا      يَفْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

الأصح تأنيثها - على معنى الضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو للراد خائبا صاحبها . ويعد : فان أكثر ما استعمل العرب الكف مؤثثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كفف واحدة ، وقال بشر بن أبى خازم :

لَهُ كِفَانٌ كَفٌّ كَفٌّ ضَرٌّ      وَكَفٌّ فَوَاضِلٌ خَصِلٌ نَدَاها  
 وقال الأعمى :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ      وَأُخْرَى إِذَا مَاضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ  
 وقالت الحنساء :

فَمَا بَلَغَتْ كَفُّ أَمْرِي مُتَنَاوِلٍ      بِهَا الْمَجْدَ إِلا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ  
 وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوِكَ مِدْحَةً      وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلا وَمَا فَيْكَ أَفْضَلُ  
 أما قول الأعمى :

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيْفًا كَأَنَّمَا      يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبًا  
 فانه أراد الضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كشحيه .

(١) أبصرت - بناء للتكلم - يعنى التنبى نفسه ، ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروايتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذى : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ، والجملة خبر هذا ، والعاقد على هذا من الجملة التى هى خبر عنه الماء فى منه . والنصب يجمل هذا ابتداء ، والذى : خبره ، ونصب مثل أبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حينما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيَّاتِ الْمَلَأِ وَهُوَ غَائِبٌ      وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبًا  
 (٢) الثاب : للضوء . يقول : حينما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس - قريبهم  
 (١٧ - للتني ١)

أَمْهَجْنَ الْكِرْمَاءَ وَالزَّرِي بِهِمْ وَتَرَوْكَ كَلًّا كَرِيمٍ قَوْمٍ عَاتِبًا<sup>(١)</sup>

وبعدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهِ  
وللبحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْغُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ  
وله أيضا :

عَطَاءُ كَصَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ قَمَرِيبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ  
وقال العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَدٍ

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للنداء ، وهجته : قبحه ، قال صاحب اللسان : المهجنة من الكلام ما يعيبك ، والمهجين : العربي ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذا المناسبة تقول : إن المهجنة في الناس والحيل إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

العبدُ والمهجينُ والفلنقَسُ ثلاثةٌ فأيهمُ تَلَسُّ

والأقرف : من قبل الأب ، أو الذي أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زباع كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وهل هندُ إلا مُهزّةٌ عرييةٌ سَلِيلَةٌ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بِنُفْلٍ

فإن تُنَجِّتِ مُهزًّا كَرِيمًا فبالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قِبَلِ الْفَحْلِ

وأزرى به : عابه ، قال في اللسان : الإزراء : التهاون بالشئ ، يقال أزريت به : إذا قصرت به ، وحقرته ، وهوته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزرية ، ومزارة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عَمْرٍ قَدِ قَلَّتْ فِيهِ عَيْدٌ مَا تَقْلَمُ

وقال الآخر :

وَإِنِّي عَلَى لِيلى لَزَارٍ وَإِنِّي عَلَى ذَاكَ فَمَا يَبْنِنَا مُسْتَدِيمًا

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدَّتْ مَنَاقِبًا      وَجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بَيْنَ مَثَالِيَا (١)  
 كَبَيْتِكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّائِبِيَا      إِنَّا لَنَخْشِرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِيَا (٢)  
 تَدِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي غَدِيَا      وَهَجُومُ غَيْرَ لَا يَخَافُ عَوَاقِيَا (٣)

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وترك مبالغة في تارك ، وهو مضاف لكل - الذى هو مفعوله الأول - وعابها مفعول ثان ، وروى عابها . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركتم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت ، أو تركتم عاتبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشديد البناء : إحكامه ورفعه ، والبناء اللشيد بالشديد - الطول ، أما اللشيد فهو : اللبى بالشيد ، والشيد كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط . قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلْسًا فَلَطِيرٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، وهم من يجعل اللشيد والشيد بمعنى ، وما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالنوى : عرفته . والنائب : الفاخر ، والمثالب : المخازى والمعايب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبى تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَقْرَنُوا بِهَا      مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنُ كَالْمَعَايِبِ

(٢) لبيك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغيظ الحاسدين : منادى ، والرائب : الثابت للقيم ، ونحبر : نشاهد ونعلم . قال الواحدي : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه بندا مناد . أى كأن المدوح يناديه بلسان كرمه للتويه به . وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرح البيت لا تقاله من اللدح إلى الإجابة .

(٣) تدير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدير . وروى تدير وهجوم : منصوبين ، على أن تدير بدل من عجائب - فى البيت السابق - وهجوم : عطف عليه . وحنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده الفر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر ملكك تدير مجرب مختبر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعَطَاهُ مَالٌ لَوْ عَادَهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبًا<sup>(١)</sup>  
 خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبِ<sup>(٢)</sup>  
 فَلَقَدْ دَهَشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ مَا يُدْهِسُ الْمَلِكَ الْخَفِيفَ الْكَاتِبَ<sup>(٣)</sup>

هجت في الوغى هجت هجوم النمر : أى أنك تفعل كلافى موضعه ، فتدبر الملك تدير  
 مجرب بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم في الحرب إقدام النمر ؛ وهذا من قول أبى تمام :  
 وَجُجْرَبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَاسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَعْمَارُ  
 وقوله :

كَهْلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشَّدَاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْفَطْرِيفَا  
 وقال البحرى :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرَّةٍ وَعِزَامُ مَجْرِبِ  
 (١) وعطاء : عطف على تدير ؛ وعدها : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب  
 أتفت مالك في البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التبريل الحكيم . يقول : إني إنما أثنى  
 عليك بقدر ما أستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتي ، فاعذرنى  
 في ذلك ، ثم بين عذره في البيت التالى . وقد قصر أبو الطيب الثناء في قوله ثنائى - وهو  
 محدود - ضرورة . قال العكبرى : حكى ابن سعد عن أبى الطيب - وهو على بن سعد ،  
 وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفى بعد المائتين ،  
 وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلثمائة - قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت محدوداً  
 في شعري إلا هذا الموضع - خذ من ثنائى - وذلك أنه رأى بخط أبى الفتح - ابن جنى - :  
 \* وقد فارقت دارك واصطفاك \*

بكسر الطاء - هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم  
 أى أنه يستعمل في الخير والشر ، وأنشدوا :

أَثْنِي عَلَىٰ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَثَلِ رِيحِ الْجُورِبِ

وخصى بعضهم به اللعج .

(٣) دهش : تخير ، ومثله شده . قال صاحب اللسان : دهش دهشا ، فهو دهش



وقال يمدح بدر بن عمار ارجالاً وهو على الشراب والفاصكة والرجس حوله :  
 إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حَمْدَتَهُ جُهِدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ<sup>(٣)</sup>

ودهش فهو مدهوش ، وحكرها بضمهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودهش الرجل — بالكسر — دهشاً : تهيّر ويقال : دهش وشده ، واللغة العالية : دهش ، على فعل ، والملك الحفيظ : هو الموكل بالإنسان يكتب حسناته وسيّاته . يقول : لقد تهيّرت أمام أفضالك فلا أقدر أن أحسبها وأتّى بها ، وأقل من ذلك ما يخيّر الملك للموكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثرة يجز عن كتابته .  
 (١) يقول : هو نفاع ضرار ، مثله في ذلك مثل السحاب الذي ينهل بالمطر وتنقص منه الصواعق ، فيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدى : هذه الآيات مضطربة الوزن ، وهي من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو في الأصل في المائة ، ولكن لم يستعمل العروض هنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :  
 مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بِمَدِّكَ الْقَطْرُ مَفْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشَّمَالِ<sup>(١)</sup>  
 غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فبعت عروضه ضربه .  
 (٢) جملته هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صاروا إياها كالشيء الواحد ، على حد قول الحنساء :

تَرْتَعُ مَارْتَعَتْ حَتَّى إِذَا دَكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ  
 « تصف الحنساء وحشية تطلب ولها مقبة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا لكثرتها منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو المشقة ، وقيل هما لفتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حمدته . يقول : إنه لا يجيل رفه إلا على إحسان وإساءة ، فله في كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدي جهدها لأنه

(١) السحق : الثوب الخلق الذي انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الاتساع به

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابَ<sup>(١)</sup>  
 فَلَهُ هَيْبَةٌ مِنْ لَا يُتْرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرْجَى لَا يَهَابُ<sup>(٢)</sup>  
 طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَخْدَاقِ شَزْرًا  
 وَعَجَّاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ<sup>(٣)</sup>  
 بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْمَوَالِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ<sup>(٤)</sup>  
 بِأَبِي رِيْحِكَ لَا تَرْجِسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ<sup>(٥)</sup>

يملؤها بالعطاء ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء - أى الفرس الكريم .  
 قل : يقول التنبى : إنه ما أجال فرسه فى الحرب إلا ملأ أيدى أوليائه من الغنائم فمدته  
 جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فدمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعاديه ليستريح منهم لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهجمه  
 بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم انقتلى ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية  
 أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتوود أن يخيب راجيا ؛ وهذا كقول مسلم :  
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

(٢) يقول : إنه مهيب كل الهية ، وجواد غاية فى الجود ، فإنه يهاب هية من لا يرجى  
 العفو عنده ، وبجود جود سمع كريم يرجى إحسانه ولا تخشى مهابته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : العبار ، والنقاب : ما تستر  
 به المرأة وجهها . يصفه بالخذق فى الطعن . يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو  
 مظلم بغير الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

\* يضع السنان بحيث شاء محالوا \*

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن  
 وقع فيه

(٥) بأبى : تفدية . قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح الترجس « الذى  
 بين يديه » وحديثه ألد من الشراب ، وليس هذا بما يدح به الرجال : أى وإنما يخاطب  
 بمثله المحبوب .

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ (١)

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ  
تَشْكِي الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وَتَرْشِفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ؟ (٢)  
وَأُوهِمُ أَنَّ فِي الشُّطْرَنْجِ هَمِّي وَفِيكَ تَأْمَلِي وَلَكَ أَنْتِصَابِي (٣)

(١) برز: بذ وسبق، وسبقا: مفعول مطلق، كأنه قال إن سبقت سبقا، والعراب: الخيل العربية. يقول: ليس بمستكر أن تسبق الناس وتبذم لأنك أهل ذلك، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن سبق. هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن سبق العراب، كما تقول هند غير مصروفة، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العراب جنس غير مدفوع. قال ابن جنى: كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول: لا تدفع عن سبق العراب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة؛ وقد يزن البيت بأن يقول:

\* قط لا يدفع عن سبق عراب \*

أقول: وابن قط لا يدفع عن سبق عراب من غير مدفوع عن سبق العراب؟ ولكنه النحو والنحويون.

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تشكى؛ وإليه: متعلق بتشكى، والضمير في غيبته وفي إليه: للسحاب؛ والرشف: المص، وأصله أن تستقصى مافي الإناء حتى لا تدع فيه شيئا، والرضب: الريق. يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب. يقول: إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها، وعند لقائه ترشف ماءه كما يرشف العاشق ريق المشوق.

(٣) يقول: إني أعما تأمل في محاسنك لافي الشطرنج، وأنتصب جالسا لأراك لا لأراه. والشطرنج فارسي معرب من شدرنج، ومضاه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا. وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جردحل: وهو الضخم من الإبل: هذا وقد قال ابن جنى: إن هذه الآيات لم أقرأها عليه، وشعره عندي أجود منها، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبهداد.

بعض الروايات لا تحذف

سَأْمَضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَدَا إِبَابِي<sup>(١)</sup>

وقال في لعبة أحضرت مجلس بدر على صورة جارية وأديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَاذَا الْمَالِي وَمَعْدِنَ الْأَدَبِ      سَيِّدَنَا وَأَبْنَ سَيِّدِ الْعَرَبِ  
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجَزَةٍ      وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ<sup>(٢)</sup>  
أَهْدِيهِ قَابَلَتِكَ رَاقِصَةً      أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنَ الْعُتْبِ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرم التيمي ، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده ، فتلقاه وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب إلى عليّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَاقٌ ضُرُوبًا      فَأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبًا<sup>(٣)</sup>  
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي      فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟<sup>(٤)</sup>

(١) يقول: إنني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أي بكل مسألة يعجز الناس عن بيانها والإجابة عليها ، فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبري : هذه آيات رديئة عملها ارتجالاً في معان ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفهم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأشفهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتهد للبيت التالي . هذا وقد ذهب بعض الشعراء إلى أن ضروباً : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين في عشقهم . ولكن الأجود أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أي ضروب الناس يعشقون ضروباً .

(٤) السكن : ماتسكن تمسك إليه وتهواه . يقول : فالذي أحبه أنا وتسكن إليه نفسى هو قتل أعدائي ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أي هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب ؟

تَنَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ ، وَالنَّيْبِيَا (١)  
 وَقَدْ لَبَسَتْ دِمَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ حِدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبًا (٢)  
 أَدْمَنَا طَنَمَهُمُ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمُ الْكُعُوبَا (٣)  
 كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمُ الْحَلِييَا (٤)  
 فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالْتَرِيَا (٥)  
 يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتَى تَرِي الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا (٦)

(١) ترد: أى تردد: والصراصر: جمع صرصرة، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما، وانصب: صوت الغراب. يقول: هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتل فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينب الغراب؟ جل صياح الطيور المبتعدة على القتل كأنه حديث يتحدثن به.

(٢) وقد لبست: أى الطير؛ وعليهم: متعلق بحدادا؛ والحداد: الثياب السود تلبس عند الصيبة؛ والجيوب: جمع جيب، وهو طوق اقميص؛ وعند العامة: كيس يغط في جانب الثوب من الداخل ويحمل فمه من الخارج. يقول: إن هذه الطير تغوص في دماء القتل فتلتطخ بها ونجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتل. بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تعمل ربات الحداد. هذا وقد روى دماؤهم - بالرفع - فيكون للمنى أن الدماء أسودت على القتل، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحرمة.

(٣) الكعوب: جمع كعب، وهو ما بين الأنوبتين من القناة. يقول: لم نزل نطنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت في أبدانهم بعظامهم.

(٤) و (٥) القحوف: جمع قحف - بكسر القاف - وهو العظم الذى فوق الدماغ؛ والجمجمة: العظم الذى فيه الدماغ؛ والتريب: عظم الصدر، والجمع: الأتراب: موضع القلادة من الصدر. يقول: كأن خيلنا كانت فى صفرها تسقى اللبن فى أصفاف رءوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتفر منهم... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها.

(٦) الشوى من الحيل: قوائمها. يقال: فرس عيل الشوى، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان؛ وقبل اليدان والرجلان والرأس، وكل ما ليس مقتلا؛ ومن هذا

شَدِيدُ الْخُزْوَانَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُّ أُصَيْبًا<sup>(١)</sup>  
 أَعَزَمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَثُوبًا؟<sup>(٢)</sup>  
 كَأَنَّ الْفَجْرَ حَبٌّ مُسْتَزَارٌ يُرَاعِي مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيبًا<sup>(٣)</sup>

قولهم : رماء فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلي :

فَإِنْ مِنَ الْقَوْلِ الَّتِي لَا شَوْىَ لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاتَهَا

« أى إن من القول كلمة لاتشوى ولكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى « كلا إنها لظى » نزاعة للشوى « — : الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل من أخطأ غرضا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء للمعوم ، والضمير للخيل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلمها فرغ من حرب : خاض حربا أخرى .

(١) الخنزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمع لها بأنفه ، واستعيرت للكبر . وتتمر . صار كالتمر غضبا . وقوله أصاب ، أى أصاب — بهمزة التسوية — يقول : إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لايبالى أقتلهم أم قتلوه .

(٢) الهمزة فى أعزى : للنداء ، ويفرق : يخاف ، ويثوب : يرجع ، يقول . — محاطبا عزمه — انظر يا عزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاحتكام فتأخر خشية أن يصاب فى جملة أعدائى ؟ وعبرة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمت عليه ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قتت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويغشى أن يصيبه بمكروه ، فهو يتأخر ولا يثوب .

(٣) الحب : المحبوب : ويراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من النعيم المطبق تطبيقا والريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة — وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : ليل . شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فكأنه حبيب يخاف رقيبا .

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلَىٰ عَلَيْهِ وَقَدْ حُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الْجُبُوبًا<sup>(١)</sup>  
 كَانَ الْجُوءُ قَاسَىٰ مَا أَقَاسَىٰ فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا<sup>(٢)</sup>  
 كَانَ دُجَاهُ يَمْخِذُهَا سُهَادَىٰ فَلَيْسَ تَغِيْبُ إِلَّا أَنْ يَغِيْبَا<sup>(٣)</sup>  
 أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي  
 أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الدُّنُوبًا<sup>(٤)</sup>

(١) الجيوب : وجه الأرض ومنتها ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : ما تزين به من الذهب والفضة وغيرها ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدي ؛ وحذيت قوائمه الجيوب : أى جعل الجيوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تفارقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضمير من سواده ليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجواكبد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سواده يطول والليل يطول معه ، فكأن سواده يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسواده لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إنى أقلب أجفانى فى ذلك الليل ، ولكثرة تقليبى إياها كأتى أعد على الدهر ذنوبه ، فكأن أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تنفى . كذلك تقليبى أجفانى كثير لا يفنى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفانى فى ذلك الليل وأنا أرى نجومه كأتى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أَحْصَىٰ فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنَّ لِدُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصِيٍّ

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ      يَبْظُلُ بِلَحْظِ حَسَادِي مَشُوبًا<sup>(١)</sup>  
وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ      أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا<sup>(٢)</sup>  
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْخَدَنَانِ حَتَّى      لَوْ أُنْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبًا<sup>(٣)</sup>  
وَمَا قَلَّتِ الْإِبِلُ أَمْتَطِينَا      إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخَطُوبَا<sup>(٤)</sup>  
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا      وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا<sup>(٥)</sup>  
وَتَرْتَعُ دُونَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِينَا      فَمَا فَارَقْتَهَا إِلَّا جَدِيدًا<sup>(٦)</sup>  
إِلَى ذِي شَيْمَةَ شَفَعْتُ فَوَادِي      فَلَوْلَاهُ لَقَلْتُ بِهَا النَّسِيبَا<sup>(٧)</sup>

(١) بلحظ حسادي أي بلحظي حسادي . يقول : ليس ليلى وإن طال بأطول من نهار يشوبه - أي يخالطه - أن أنظر فيه إلى حسادي وأعدائي .

(٢) يقول : إذا كان لحسادي نصيب مني في الحياة وشاركوني فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة : أي أنه لا تحو له الحياة حتى يقتل حساده .

(٣) الخدنان : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال : انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب نفسه إليه ؛ والنقيب : الحبير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابني من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .

(٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وقصدناها لقلة ذات اليد أدتني المهن والشدائد إلى المدوح ، فكأنها كانت مطايا ركبناها إليه .

(٥) و (٦) رمت الإبل : رعت في مجبوحة وخصب ؛ والجديب : ضد الخصب ؛ ومكان جديب : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا ينبغي أحد ركوبها ، وهي لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتنال منا . فما فارقتها عند وصولي إليك إلا جديبا لأنها رعتني وأنت على فلم تترك مني شيئا .

(٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شفقتي جبا وشفقتي ؛ والمعنى تيمنتي وبلغت مني ، وشفقتي : من شفاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء في الشعر . يقول : إن أخلاق المدوح شفقتي بحسنا . فلو لا مهابته واحتشامه لغزلت بها كما يتغزل العاشق بمشوقه .



تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ      وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَاءَ الرَّبِيْبَا<sup>(١)</sup>  
عَجِيْبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيْبٌ      أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارِ عَجِيْبَا<sup>(٢)</sup>  
وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا      بِسَمَى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا<sup>(٣)</sup>  
قَسَا فَالْأَسْدُ تَفْرَعُ مِنْ قَوَاهُ      وَرَقٌّ فَنَحْنُ نَفْرَعُ أَنْ يَذُوبَا<sup>(٤)</sup>  
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ بَطْشًا      وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا<sup>(٥)</sup>  
وَقَالُوا ذَاكَ أَرَمَى مَنْ رَأَيْنَا      فَقُلْتُ رَأَيْتُمْ الْقَرَضَ الْقَرِيْبَا<sup>(٦)</sup>

(١) الضمير في هواها : للشيمة ؛ والرشاء : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والريببى : المرابي . يقول : إن كل نفس تشق أخلاقه كما أعشقتها أنا . فهي محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشاء شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى المدحوح ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبا ، لأنهم الغاية في المهذ والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أى ليس كل من بلغ الشيب يسمى شيخا ؛ فشيخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هومع أنه شاب — في حكمة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ للشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسنا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه قدرق طبعا وكمرماحق لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفا : إذا لان جانبه ، واحلوت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء . وهى الشديدة العصف في حمق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبتشا وهبوبا : نضا على التمييز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ، ولدى الجود أسرع منها في العطاء .

(٦) القرض : الهدف يرمى بالسهم . يقول : إن الناس يقولون : إنه أرمى من رأيناه

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا<sup>(١)</sup>  
 إِذَا نُسِبتُ كِنَانَتُهُ أُسْتَبْنَا بِأَنْصِلَهَا لِأَنْصِلَهَا نَدُوبَا<sup>(٢)</sup>  
 يُصِيبُ بِيَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَا تَصَلَّتْ قَضِيْبَا<sup>(٣)</sup>  
 بِكُلِّ مُتَقَوْمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْرًا لَهُ حَتَّى ظَنَّاهُ لَيْبَا<sup>(٤)</sup>  
 يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَيَبِينُ رَمِيَهُ الْهَدَفَ الْهَمِيْبَا<sup>(٥)</sup>

رمى السهام ، قلت: إنكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه . فكيف لو رأيتموه  
 يرمى الغرض البعيد ؟

(١) الرمايا : جمع رمية ، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد . يقول :  
 إنه صائب الفكرة فهو يرمى المنيات بسهام ظنه فيصيبها لثوب فكره ، فكيف لا يصيب  
 المحسات بسهامه ؟

(٢) و (٣) الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام ؛ ونسبت : قلت على رأسها  
 لينثر ما فيها ؛ واستبنا : تبينا ورأينا : والندوب في الأصل : آثار الجروح ؛ والمراد هنا  
 مطلق الأثر ؛ والأفواق ؛ جمع فوق ، وهو موضع الوتر من السهم . يقول : إذا نثرت  
 كِنَانَتُهُ وَأَفْرَغَ مَا فِيهَا مِنَ السَّهَامِ رَأَيْنَا لِنَصُولِهِ آثَارًا فِي نَصُولِهِ لِسُرْعَةِ رَمِيهِ وَرَمِيَهُ إِيَّاهَا  
 عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَدْرِكُ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمِيلَ عَنْهُ وَيَصِيبُ الْآخِيقَ مِنْهَا  
 فَوْقَ السَّابِقِ ، فَلَوْلَا أَنْ يَنْكَسِرَ النَّصْلُ بِالْفَوْقِ لِأَنْصِلَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ مَسْتَوِيَةً  
 كَالْقَضِيبِ . وَكَانَ الْوَجْهُ أَنْ يَقُولَ : بِأَفْوَقِهَا لِأَنْصِلَهَا نَدُوبًا بِدَلِيلِ الْبَيْتِ الْإِثْنَانِ ، وَلِأَنَّ  
 النَّصْلَ إِذْ ذَاكَ لَا تَقَابِلُ ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ يُرِيدُ بِالْأَنْصِلِ : السَّهَامَ ، لَا الْحَدِيدَ بِخُصُوصِهِ .  
 (٤) بكل مقوم : بدل من قوله ببعضها : أى يصيب بكل سهم هذه صفته . يقول :  
 إن سهمه يتجه كيف شاء ، فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

(٥) النزع : جذب الوتر للرمى ؛ وضمير منه : للسهم ؛ والرمى المرمى ، فهو فيعل  
 بمعنى مفعول ؛ والهدف : بدل من رميه . يقول : إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه  
 ناراً بين القوس والهدف ، وذلك أن حفيف السهم في سرعة مهوره يشبه حفيف النار  
 في التهاهما ؛ والعرب إذا وصفت شيئاً بالسرعة شبهته بالنار ؛ ومنه قول العجاج يصف  
 سرعة مشي الحمار والأتان :

أَلَسْتَ ابْنَ الْأَوْلَى سَعِدُوا وَوَسَادُوا      وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِيًّا<sup>(١)</sup>  
 وَتَأَلَوْا مَا أَشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا      وَصَادَ الْوَحْشَ تَمْلَهُمْ دَيْبِيًّا<sup>(٢)</sup>  
 وَمَارِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ      كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرَابِ طَيْبِيًّا<sup>(٣)</sup>  
 أَيًّا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ      وَعَادَ زَمَانُهُ السَّالِي قَسِيًّا<sup>(٤)</sup>

كأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرَبِيَّ<sup>(١)</sup>

(١) الأولى بمعنى الدين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الذين أدرکوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة فأدرکوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ؛ ودبيب النمل مثلا لرقصهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء أفادته من دفن آباءه في التراب ، وهذا من قول أبي تمام :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ      فِطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير في زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جنى : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آباءه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد في المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان باليا جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سألت الندى والمجد حيَّانِ أتما      وهل عشتما من بعد آل محمد

فقالا نعم متنا جميعاً وضمنا      ضريح وأحياناً ديبس بن مزيد

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحمرة ، ويبلغ بحمرته فيقال : كأن لحيته ضرام عرفجة .

تَيْمَنِي وَكَلِّكَ مَادِحًا لِي وَأُنشِدُنِي مِنَ الشَّعْرِ الْغَرِيْبِ<sup>(١)</sup>  
 فَاجْرِكَ الْإِلَهَ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَيْبِيَا<sup>(٢)</sup>  
 وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أُدِيْبًا  
 فَلَا زَالَتَ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا<sup>(٣)</sup>  
 لِأَصْبِحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا<sup>(٤)</sup>

(١) تيمنى قصدى ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كرم بن الفضل رحمه الله  
 قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الثامى للقب بالشوق  
 قال : كنت عند للتنبى فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فؤادى قد انصدع      وضرعى قد اقلع  
 والليل عطفى      قد انهوى وما رجع  
 يا حب ظبى غنج      كالبدر لما أن طلع  
 رأيتنه فى بيته      من كوة قد اطلع  
 فقلت ته ته وته      فقال لى مر بالسكع  
 هات قطع ثم قطع      ثم قطع ثم قطع  
 وضع بكفى وفى      جيبى أدعك أن تضع

فهذا الذى عناه للتنبى بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريب .

(٢) آجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالمسيح ؛ وهذا الشاعر كليل قد جاء ليداوى  
 للمسيح الذى يحيى الموت ويبرى الأكمه والأبرص ، وإذآ فلا حاجة به إلى طيب ؛ ولاسيما  
 إذا كان الطيب عيلا .

(٣) جله شمسا لشرفه وعموم منفعته ، يدعو له بأن لاتزال دياره مشرقات بنوره  
 وبأن لايشرف على الغروب : أى لايموت .

(٤) لأصبح : تعليل للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإنها  
 لاتهريك ، ولكن الذى أخشاه أن نرأى فىك ، فأنا أدعو الله أن يتيك الرزايا لأصبح  
 آمنا فىك المذورين معا .

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طنج ، قد انزوى أحدهما  
عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه :

لِلجَلِيسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا      مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَا الْأَدْبَابَ<sup>(١)</sup>  
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَالَ ذَا رَهْبًا      وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَالَ ذَا رَهْبًا<sup>(٢)</sup>  
فَلَمْ يَهَابَكَ مَا لَأَحْسَ يَرُدُّعُهُ      إِنِّي لَأَنْصِرُ مِنْ شَأْنِهِمَا عَجَبًا<sup>(٣)</sup>

وقال وقد استقل في القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا      فَقُلْتُ لِمَ لَيْكَ إِنَّ مَعِيَ السَّحَابًا<sup>(٤)</sup>  
فِيهِمْ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ      فَأَسْكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسِكَابًا<sup>(٥)</sup>  
وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

الطَّيْبُ مِمَّا غَنِيَتْ عَنْهُ      كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طَيِّبًا  
يَبْنِي بِهِ رَبَّنَا لِلْمَالِي      كَمَا بِكُمْ يَنْفِرُ الذُّنُوبَا<sup>(٦)</sup>

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن  
الآخر — مقابلان بضمهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب فتميزا فإنك إذا صعدت إلى  
أحدهما جلست عليه مال الآخر عنه هية لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا أحس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلا : رجنا ، وإليك بمعنى أكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا  
نظر إليه يرجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله قسم البيت  
— يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة  
في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقرا إلى سقيه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب  
أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمير . والخطاب في بكم لطاهر العلوي ، وهو من نسل الزهراء كريمة  
سيدنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بكم ينفر الذنوبا .

وقال وقد استحسِن عين باز في مجلسه :

أَيَا مَا أَحْيَيْتِنَا مُثَلَّةً      وَوَلَا لَمْلَاحَةَ لَمْ أَعْجَبِ (١)  
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيهَا      سُوَيْدَاهُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ (٢)  
إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فِي عِطْفِهِ      كَسْتُهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنَكِبِ (٣)

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوي (\*):

أَعْيِدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ  
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لِحَظُ الْجَبَائِبِ (٤)

(١) التصغير في ما أحيسنها : مبالغة في الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أي لم أقل ما أحيسنها : أي لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوقية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفي خلوقها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه القلة صفراء مثل لون الخلق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .

\* قالوا : إن الأمير أبا محمد بن طنج لم يزل يسأل المتنبي أن يخص أبا القاسم طاهراً العلوي بقصيدة من شعره وأنه قد اشتى ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزميت أن أسألك قصيدة تنظمها في فاجلها فيه . وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفي : فسرت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريرته والتقاء مسلماً عليه ؛ ثم أخذه بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلاً . ثم أنشده أبو الطيب خلع عليه — للوقت — خلعة نفيسة . قال علي بن القاسم الكاتب : كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعراً جلس المدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب ؛ فإني رأيت هذا الشريف قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهي التي بداندباها للنهود ، والجبائب : جمع حبيبة ولحظ الجبائب أي رؤيتهن . قول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظن الأجرة فليس هناك

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْهِمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَابٍ (١)  
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبٍ (٢)  
وَأَحْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ  
لَفَارَقْتُهُ وَالذَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبٍ (٣)

صباح إلا بردهن ، وقد نفي عن الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حتى يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدهمة: شديدة السواد ، والنياهب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق . يقول : لما رحلتم لم أصر بكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأض نهارى ليلا حالك السواد . وعبارة الواحدى : يريد أن جفونه مختومة بمدهن لم تنفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غلب عنى الكواعب فغاب صباحى بمدهن ، لأن الدنيا تنظلم فى عين المهزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومي وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . راعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والهدب : الشعر النابت على أشفار العين ولكن المراد بأعلى كل هدب : ما نبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونص عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هدب على العموم فالحاجب هنا بمعنى المانع لأننا إذا حملنا الحاجب على المهورود كان مغمضا لأن هدب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا حملنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن حملنا الحاجب المهورود حملنا قوله كل هدب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِمَخِيطٍ مَخِيطُ  
يقول : إن عينيه لا تطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكان أعلى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ  
(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لو اصلتمونى : يعنى أن

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي      مِنْ الْبُؤْسِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ (١)  
أَرَاكَ ظَنَنْتِ السَّلْكَ جِسْمِي فَمَقَّتِهِ      عَلَيْكَ بِدْرٍ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ (٢)  
وَلَوْ قَلَمٌ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ      مِنْ الشَّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ (٣)

من أهواه يعد عني ، ومن أجتوره يقرب مني لسوء صحبة الدهر إياي ، فقوله لفارقه :  
أى لفارقت الوراق مضطراً بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم :

أَرَى مَا أَشْتَهِيهِ يَفْرُؤُنِي      وَمَا لَا أَشْتَهِيهِ إِلَيَّ يَأْتِي  
وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْخِضُنِي عِنَاداً      وَمَنْ أَشْنَاهُ يَشْبَثُ فِي لَمَائِي  
كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَارٍ      فَلَيْسَ يَسْرُهُ إِلَّا وَقَائِي

وقال المكبري : قوله لفارقه : كان الوجه أن يقول لفارقتي ، لكنه قلبه لأن من  
فارقك قد فارقته ، وهذا من باب القلب . ثم قال : وكان حقه أن يقول أخبت  
الأصحاب لأنه أراد خبت من صحبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه  
الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافرين » أي أول من يكفر :  
وأنشد الفراء :

وَإِذَا هُمْ طَمَعُوا فَأَلَامُ طَاعِمِهِ      وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيعِ  
فَاتَى الْأَمْرَيْنِ جِيعَا :

(١) يقول : ليت أحبتي واصلوني مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت  
عني بعدم . يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتحى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما  
قال أيضاً :

ليت الحبيب المهاجرى هَجَرَ الكرى      من غير جرم واصلى صلة الضنا  
(٢) أراك أظنك ، والسلك الحيط الذي ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر  
يريد بدر عليك تقدم الجار والمجرور ، والترايب موضع القلادة من الصدر يقول :  
أظنك حسبت السلك الذي في قلادتك جسمي لمشابهة إياه في الدقة خلقت بينه وبين  
ترايبك بالدر للنظوم فيه لكلا يلامس صدرك ، أي أن ولوعك بمشاقق حملك على منافرة  
كل ما يشاكلني ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معاني التنبؤ البديعة .  
(٣) يقول : لشدة متعسى نعلت حتى لم يبق لي جهنم يحس به فلو ألقيت في شق



تُخَوِّفِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ      وَلَمْ تَدْرِي أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ (١)  
 وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَى مُحَجَّلِي      يَطُولُ اسْتِجَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ (٢)  
 يَهُونُ عَلَيَّ مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةَ      وَتَوَعُّعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ (٣)  
 كَثِيرُ حَيَاةِ اللَّزَاءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا      يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ (٤)

قلم ، لم يخبر بي خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد اقتنوا في هذا المعنى كل الاقتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذَبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَزَجْتُ بِي      فِي مَقَلَّةِ الْوَسْطَانِ لَمْ يَنْتَبِهْ  
 وقول الآخر :

فَأَسْنَبِي مَا أَجَبْتَنِي لِي فَلَمَّانِي      يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ  
 مِنْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسَى فُلُوَانِهَا      فِي الْعَيْنِ لَمْ تَنْتَمِعْ مِنَ الْإِغْفَاءِ

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بشئ دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛ والضمير فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة ؛ وعبلرة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعداى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه بياض ، والمجمل : قال أبو عبيدة : المجمل من الخيل أن تكون قوائمه الأربع أيضا يبلغ البياض منها ثلث الوطيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، المرقوبين — وأغر مجمل كما ترى من صفات الخيل — استمارها لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يمتاز عن الأيام كما يمتاز الفرس بالفرقة والتجليل .

(٣) العوالى : صدور الرماح ؛ أى الأسننة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول : مثلى إذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف ؛ يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان ؛ يحث على الشجاعة

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى

عِضَّاصَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَابِ (١)

أَتَانِي وَعَيْدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ أَعْدَاؤِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ (٢)

وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَخَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ (٣)

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيان لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقي من العيش لا حق بما ذهب فهو في حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومي :

رَأَيْتُ طُوبِيلَ الْعُمُرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُفَضَّاهُ إِلَى غَايَةِ تَرَى

قال العكبري : وهذا من كلام الحكماء قل الحكيم : أو اخر حركات الفلك كأوائلها وناشئ العالم كلاشيه في الحقيقة لا في الحس :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عنى فإنى لست ممن إذا خشى الهلاك صبر على الذل والهوان . جعل الأفاعى مثلا للهلاك لأنها تقتل بسماها دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للذل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قل ابن جنى : لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فنبه الأفاعى بالعظيمة والعقارب بالذل . وقال الواحدى : جعل عض الأفاعى لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قال ابن فورجه تعليقا على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعى مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوء وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم في الوعيد أيضا فخذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدى صادقا ؟

إِلَى لَعْمَرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ  
 بَأْيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجْرَ ذَوَاتِي  
 كَأَنِّي عَجِيْبٌ فِي عُيُونِ الْمَجَابِ (١)  
 وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْهُ رِكَابِي (٢)  
 كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرِ  
 فَأُثْبِتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٣)  
 فَلَمْ يَبْنِقْ خَلْقٌ لَمْ يَرُدَّنْ فِنَاءَهُ  
 وَهَنَّ لَهُ شِرْبٌ وَرُودَ الْمَشَارِبِ (٤)  
 فَتَى عَمَلْتُهُ نَفْسَهُ وَجُدُوهُ  
 قِرَاعَ الْأَعَادِي وَأُبْتَدَالَ الرَّغَائِبِ (٥)

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فإني لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبري وأنا تاتي وعلو همي فبني تيممفي وتنسل إلى من كل حذب .

(٢) ذؤابة النمل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروى بدل ذؤابت ذؤائبي ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إنني لم أدع موضعا من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرحل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قال فيه المتنبي هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل في حسن التخلص . يقول . كما أن مواهب المدوح لم تدع مكانا إلا آتته كذلك أنا لم أدع مكانا إلا آتيته ، فكأنني امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب المدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي المادة — أن يردها الشاربون ولكنها هي ترد الشاربين ، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعجارة الخطيب التبريزي : كأنهن قد وردن عليه ورود الناس المشارب لينتفعوا بها : يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل

إذا سألوا شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤالا

(٥) الابتدال : مثل البذل ؛ والرغائب : جمع رغبة ، وهي الشيء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاه غريزتان موروثتان ؛ والأعادى : يروى العوالى ، وهي صدور الرماح .

فَقَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ  
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ (١)  
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ (٢)  
أَغْرَهُ أَمَّاهُ مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ (٣)  
أَنَاسٌ إِذَا لَاقُوا عِدِّي فَكَأَنَّمَا  
سِلَاحُ الَّذِي لَاقُوا غُبَارُ السَّلَاحِ (٣)

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من دينه السفر لأن سخاه يدعوهم إليه ، ورددهم إلى الأوطان بعد أن غمهم بنصه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعز : خبر ؛ وأصل النان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأُكف . وقد روى بدل في بنانهم : في أكَفهم ؛ والمدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج علي ابن أبي طالب ، ومن ثم قال : كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها والجود لا يمحي من أكَفهم ، وهذا وثقت فرق بين الفاطميين وبين الملويين ؛ فالفاطميون هم أولاد فاطمة من ولها الحسن والحسين ، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما الملويون فهم من ولد علي يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية ، والرواجب : واحدها راجبة ، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هي ظهور السلايات وقيل هي ما بين البراجم من السلايات وقيل هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاحج التي تلي الكف ؛ وقال ابن الأعرابي : الراجبة البقعة للمساء بين البراجم . والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجات إلا الإبهام .

(٣) السلاه : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يباؤون به ولا يكتثرون ، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم ؛ وخص السلاه لأنها أسرع وغبارها رقيق وألطف . وقال الواحدي : يجوز أن يكون السلاه جيل للمدوحين ويقال : فرس سلهب أي ماض ، ولذا قال الجوهري : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلب ، وإذا اتصب اتلأب . « اسلهب : امتد ، واجلب انبسط ولم يتقبض : واتلأب : أقام صدره ورأسه »

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا النَّصِيَّ فَجَحَّتْهَا      دَوَايِ الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَابِ (١)  
 أَوْلَيْكَ أَحَلَّى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ      وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهُورِ الشَّبَابِ (٢)  
 نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا أَبْنَةَ بِيَوَاتِرِ      مِنْ الْفِئَلِ لَا قَلَّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ (٣)  
 وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِيِّ أَنَّهُ      أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ (٤)

(١) الضمير في نواصيها : السلاهب ؛ وهي جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصي الناس أى أشرفهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ النَّائِبِينَ بِهِ      فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ  
 وَجَبْتَهَا : أى جئن القسى : أى بلغت السلاهب القسى ؛ والهوادى الأعناق .

ودواي : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطانها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وسلمت سائر أعضائها ، وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرْتُ جِيَادَكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا      فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرِاقِعٍ وَجِجَالِ  
 لِحْزَتِكَ صَبْرًا فِي الْوَعْيِ حَتَّى أَثْنَتْ      جِرْحَى الصُّدُورِ سَوَالِمَ الْأَكْفَالِ  
 (٢) الشباب : جمع شببية ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضرائر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شبائب وشواب ، قال الراجز :

مَجَازًا يَطْلُبِينَ شَبِيئًا ذَاهِبًا      يَخْضِينَ بِالْحِنَاءِ شَبِيئًا شَائِبًا  
 \* يَقْلُنَ كِنًا مَرَّةً شَبَابِيَا \*

يقول : هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بلى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . لأن المدوح علوى ؛ والبواتر : السيوف القواطع ؛ والفل ؛ التلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أليك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلمت أفعالك من العيوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول في مضاربها .

(٤) التهامي : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جنى : قد أكثر الناس القول

في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر وردائه . يقول المتنبي : إن أبهر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أبك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة - على رواية إحدى بدل أجدى - وروى بعضهم البيت هكذا

### وأ كبر آيات التهامي آية

أبوك : يعني أن علي بن أبي طالب أبا المدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضي : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعده عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن عمدا صنوبر - أي منفرد أبتز لا عقب له - فإذا مات استرحنا منه ، فأنزله الله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - أي الكثير ، ولست بأبتر كما قالوا ؛ ما شئتك : فهو الأبتز فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فلن قيل : الأنساب إنما تتخذ بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانِنَا - وَبَنَاتِنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ (١)

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامي ؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى : إني باعث نبياً من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامي الأملئ الأبطحي ، فلا أدري كيف تموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها .

(١) قيل إنه للفردق ؛ وبنونا خبر مقدم ؛ وبنو أبناتنا مبتدأ مؤخر أي أن بني أبناتنا مثل بنينا .

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسَبِ كَأَصْلِهِ  
فَمَاذَا الَّذِي تُفْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ (١)  
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ وَلَا بَعَدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ (٢)

(١) النسب : ذو النسب الشريف ، والمنصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كرم . يعني : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :  
وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلِهِ  
وقال أبو يعقوب الحریمی :  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِمَجَادِثِ مِنْ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلِ  
وقال البحرى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يَرَى فِي قَمَالِهِ حَسَبَهُ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شبيه والبيت كالتمة لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسبا وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول في الأقارب وهذا تعريض بالدين ذكرهم من الأعداء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد في هذا البيت ياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت والذي يصح في تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأبعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب والأشباه من الأقارب لا يعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً كقوله :

\* الناس ما لم يروك أشباه \*

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فمضى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون في الشبه ولا يشبه بعضهم بعضاً ولا يعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ (١)  
يَقُولُونَ تَأْيِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى  
فَمَا بَالُهُ تَأْيِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ (٢)  
عَلَّا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ (٣)  
وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُدْرِكَ مَالِمًا يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ (٤)

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبي طالب رضى الله عنه . يقول :  
إذا لم يكن العلوى تقياً ورعاً كطاهر — وهو المدوح — كان حجة لأعداء أبي تراب ،  
لأنهم يستدلون بتقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفي  
المثل من أشبه أباه فما ظلم وقل بعضهم ؛

شريف أصله أصل شريف ولكن فعله غير الحيد  
كأن الله لم يخلقه إلا لتنمطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب  
إليه المنجمون من السعد والنحس — ولكن المدوح يؤثر في الكواكب ، إذ يجعل  
النحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوساً  
بما ينزله به من نعمته ، فلا تستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورجه :  
تأثيره في الكواكب إثارتها الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر  
الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر  
تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أى  
قوله في الورى :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والذلول المتقادة التي تذلل لراكبها .  
يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فاتقادت له اتقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل  
غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلاً ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد على  
الجاره فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خليق به أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك جهداً ،  
ويدرك مالم يدركوه من غير ما طلب وسى ؛ يعنى أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طمعه



وَيُحْدِي عَرَانِينَ الْمُلُوكِ وَإِنَّمَا  
يَدُّ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ  
هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ  
يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ  
لِمَنْ قَدَمِيهِ فِي أَجَلِ الْمَرَاتِبِ (١)  
لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ (٢)  
وَشِبْهُمَا شَبَّتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ (٣)  
بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِإِيَابِ (٤)

الله عليه من الفضل وعلو الممة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسي والاجتهاد . هذا وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإني لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك (١) المرانين : الأنوف ، وعرانين : مفعول ثان ليحدي ؛ والمفعول الأول : نائب فاعل يحدي - التي يعود على المدحوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرانين الملوك أحذية له يطؤها بدميه ، ولو هو فعل ذلك لكانت في أجل المراتب لأنها تتصرف بوطأته . (٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ من قول أبي تمام :

إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ (٣)  
هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ، وابن وصيه لأنه ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وسيدنا علي هو وصي سيدنا رسول الله . وقوله وشبههما : أي وهو شبههما ، وقوله شببت بعد التجارب : كلام مستأنف . يقول : شببت بهما بعد تجربتي واختباري إياه ، فليس تشبيهي عبثا . (٤) اسم أن محنوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية : بمعنى التي ، والتقدير : يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالغنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لظمن عائب . يقول : إنه يرى العيب أشد من اقتل ، وهذا من قول أبي تمام :

فَقَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ (١) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعِيوبَ الْمُقَاتِلُ  
وقال ابن جنى : ما الأولى زائدة ، والثانية بمعنى الذي ؛ واسم أن مضر فيها .

(١) الفرصة : لحة عند تنفس الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وهما فرصتان ترصدان عند الفرع .

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكُتَابِ (١)  
لَمَلَّكَ فِي وَقْتِ شَغَلَتْ فُؤَادَهُ  
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشَ مُحَارِبِ (٢)  
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً  
سَقَاهَا الْحَجَبِي سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ (٣)

(١) تعز : يروى تسل ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الفرقة من الجيش .  
يقول : تأس أيها المال الذي أباده المدوح ، فليست وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة  
بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسراً .

(٢) يقول : لملك أي هذا المال المباد شغلت فؤاد المدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك  
أو أطمعت الأعداء في محاربه رغبة فيك ، فاستحقت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه  
يلتمس للمال ذنباً عند المدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديقة : الروضة قد أحرق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجبي :  
العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل ، فجعل العقل  
ساقياً كما تسقى السحاب . وقوله : سقى الرياض السحاب : أراد سقى السحاب الرياض ،  
فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً في  
الشر - كقول أبي حية الفيمري :

كَأَخْطَ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيَّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ (١)  
وقول عمرَةَ ائْتَلَعَمِيَّةَ تَرْمِي ابْنِهَا :  
هَمَّا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَحَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فَدَعَاهُمَا (٢)

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر  
حاذق في الكتابة ؛ وخص اليهودي لأنه من أهل الكتاب ، وقيل : المراد التشبيه  
في عدم الانتظام . وقوله يقارب : أي يدنى الكتابة بعضها من بعض ؛ ويزيل : أي  
يلعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودي ، وفصل بينهما يوما ، وهو الشاهد .

(٢) من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام . فصل بين المضاف والمضاف

فَحَيَّتْ خَيْرَ ابْنِ خَلِيدٍ أَبِهَا لِأَشْرَفِ بَيْتِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ (١)

وقول جرير :

تَسْقِيْ امْتِيَا حَا تَدَى الْمِسْوَاكِ رِيْقَتَهَا كَمَا تَضَمَّنَ مَاءُ الْمُرْتَةِ الرَّصْفَ (١)  
وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش :

أَنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَلَا (٢)

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحووا بازهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب التبريزي : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : المدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن بيته أشرف ولد لؤى بن غالب .

إليه بقوله : في الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لاغوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقوله :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا  
كَأَنَّهَا مُرْتَةٌ غَرَّاهُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدْفَ

والامتياع : الاستياع ؛ والندى : البلل ؛ والمزنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة - حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصفى من غيره وامتياحا ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والمسواك : مفعول أول لتسقى ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقها ؛ وقد فصل بينهما بالمسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولدأنجيبا ، ونجلاه : ولده ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متعلق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة : وهي من محاسن شعره :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ حُمْرَ الْحُلِيِّ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ (١)  
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شُكَا فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ (٢)

(١) من : استفهام ، والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء في حسن العيون . والأعراب : جمع أعراب ، وهم سكان الحيام والوبر . وقوله في زي : حال من الجاذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الحلى : حال بعد حال والجلابيب : جمع جلباب - اللحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها - قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترضيه ، وكان قد قتل :

تَمَشَّى النَّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ مَشَى الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ (١)

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبهات بالجاذر : وهن في زي الأعراب ، ومحتليات بالذهب الأحمر ، ومحتليات النياق الحمر ، ومشمطات في اثياب الحمراء - يعنى أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول - مخاطبا نفسه - : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن ، فمن الذى امتحك بالسهو والمذاب ؟ يعنى أنهن دهنك بمجهن حتى صرت مسهدا معذبا ، فكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجاذر حتى كأنهن جاذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أَيَا ظِيَّةَ الْوَعْصَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَيَبِينِ النَّقَا أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ (١)

(١) قوله وهي لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لكونه ميتا ، فهي تمشى إليه مشى العذارى .

(١) جلاجل : روى حلال - بالحاء للضمومة - وقال ابن برى : روت الرواة هذا البيت في كتاب سيويه : جلاجل - بضم الجيم لا غير -

لَا تَجْزِي بِي بَضَى بَعْدَهَا بَقْرٌ

تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبٍ (١)

سَوَائِرٌ رَبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْمُونٍ وَمَضْرُوبٍ (٢)

وَرَبَّمَا وَخَدَّتْ أَيْدِي اللَّطِيءِ بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبٍ (٣)

(١) المراد بالبقرة : النساء التي وصفها : يدعو لمن يقول : لا جزيني مقابل الضنا الذي حل بي بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعي دموعا مثلها : يعني لا أورشهن الله السقام بعدى كما أورشني بعدهن ، وإن كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن . قوله لا تجزى : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهى ؛ فحكه في الجزم حكم النهى كقول مالك بن الرب من كلمة يرى بها نفسه :

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟ (١)

والباء في قوله بضى : للمقابلة ، وبى : صفة لضى : أى ضنى حال بي أو واقع بي ، وبقر : فاعل تجزى : أى لا تجزى بقر بضى حل بي ضنى يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والماء : راجعة إلى قوله بقر ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزى دموعي الخ صفة لبقرة ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعي : أى تجزى دموعي مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتصيره يقر ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول : إنهن من قومهن في عز ومنعة ، فمن تصدى لمن طعن أو ضرب ، فسارت هودجهن ما بين مطمون ومضروب .

(٣) الوخذ : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشى . والنجيع الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان . يريد أنهن في منعة ، دونهن طعان وضراب وتقال ، فالبيت في معنى البيت السابق .

(١) الاستفهام : في قوله : وأين الخ بمعنى النهى ، ولذا وقعت «إلا» بعده .

كَمْ زَوْرَةٌ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَاقِيَةٌ  
أَذَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذَّيْبِ (١)  
أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْفَى وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي (٢)  
قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِمِهِمَا  
وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ (٣)  
جِيرَانِهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصْحَابِ (٤)  
فَوَادُ كُلِّ حُبِّ فِي بُيُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيذٍ لِلْمَالِ مَحْرُوبِ (٥)

(١) يصف جرأته في زيارة الجباب بعد أن ذكر منتهن يقول - مخاطبا نفسه - كم قد زرتهم زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الدب الغنم يقع فيها ، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الرامح . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أذى ومن زورة الذيب .

(٢) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والانشاء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولي وبى . وأثنى : أى أعود ، وأغراه به : ضراه به وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيح لأنه يسترنى عنهم ، وأنصرف وكان الصبح يغرى بى ، إذ يشهرنى ويدلم على مكافى . وهذا البيت - كما ترى - من معجزات المتنبي .

(٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البرارى وخالفوها في أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمرايع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح ؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .

(٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار - على حد قوله تعالى « ولكن السبر من آمن بالله » والأصحاب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .

(٥) أخيد : أى مأخوذ ؛ والمهروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشحاعة : فساؤهم ينهن القلوب ، ورجالم ينهون الأموال وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال - أى بالسخاء - وأموال الأعداء .

مَا أَوْجُهُ الْحَضْرَ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ (١)  
 حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيْقِهِ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ (٢)  
 أَيْنَ الْمَيْزُ مِنَ الْآرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرُ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ (٣)

(١) الرعايب : جمع رعبوية ، وهى المرأة التارة السمينة : والضمير فى به : للحضر  
 يقول : ليست الأوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء  
 الحضرة ، وبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة - بكسر الحاء ، أو فتحها - الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى  
 البدو ؛ وانتطرية : للعاجلة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأفاويه ، و طرى الطعام :  
 خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن  
 أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقة ، لا يعرفن  
 التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) الميز : اسم لجماعة العز - كالكلب والعبيد - قال العكبرى : الميز : اسم  
 للمعزى ، وهو خلان الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول العز والمعز والمعز والأمعوز ، وواحد  
 المعز : ماعز : مثل صعب . وصاحب ؛ والأنثى ماعزة وهى العز والجمع مواعز .  
 والمعز بالفتح والمعز بسكون العين لفتان فصيحتان قرأ أهل الكوفة ونافع بسكون العين ،  
 وقرأ الباقون بفتحها . وقال سيويه : معزى منون مصروف ، لأن الألف لللاحق -  
 لا للتأنيث - وهو ملحق بدرهم على فاعل ، لأن الألف للملحقة تجرى مجرى ما هو من  
 نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط - فى تصغيرى معزى وأرطى - فى  
 قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا  
 الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير جلى وأخرى . وقال الفراء : للمزى مؤنثة وقال  
 بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تنون للمزى فى النسكرة ، والآرام :  
 لظباء الخالصة البياض . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو  
 فى حال إقبالهن . وقال بعض الشعراء : ناظرة : تميز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير  
 من حسن الآرام عيوننا . شبه نساء الحضرة بالمعز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين  
 تقع الميز من الظباء فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالظباء تفضلها حيواناً  
 وغير هيون .

أَفْدَى فِجَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا  
مَضَعَ الْكَلَامِ وَلَا صَنَعَ الْحَوَاجِبِ (١)  
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْ ذَا كَهْنٍ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ (٢)  
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً  
تَرَكَتْ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَحْضُوبِ (٣)

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعراب . ومضع الكلام : ترك إباته ، كأن التكلم يمضغ شيئا : يقول : هن فصحات مبيئات ، لا يمضغن كلامهن غنجا وتغننا كنساء الحضرم ، ولا يمضغن حواجهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب : جمع حاجب أشجع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

\* نَفَى الدَّنَانِيرِ تَنْقَادَ الصِّيَارِفِ (١)

(٢) مائلة : شاخصة ؛ ويروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكنهن من تحتها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التمويه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير . وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت ياض شيبى دون خضاب : أى لم أموه شيبى كما لم يموهن حسنهن .

(١) صدره :

\* تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ \*

يصف ناقة تسرع في الهواجر فيقول إن يديها لشدة رفعها الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصايل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفي رديتها عن جدها وخص المهاجرة لتمذر السير فيها والشاهد في الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهم فيكون الشاهد في الصياريف والدراهم



وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ  
رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْدُوبٍ<sup>(١)</sup>  
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ

مِثْقِي بِحِلْيَةِ الَّذِي أُعْطْتُ وَتَجْرِبِي<sup>(٢)</sup>  
فَمَا الْحِدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَا نَسِئُهُ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ<sup>(٣)</sup>  
تَرْعَرَعَ أَلْتِكُ الْأَسْتَاذُ مَكْهَلًا قَبْلَ الْاِكْتِهَالِ أَدِيًّا قَبْلَ تَأْدِيبِ<sup>(٤)</sup>

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمير في قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجل شعر رأسي مكذوبا : أي مسودا بالخطاب ، إذ هو غير لونه . قوله : ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس : عن شعر في الوجه .

(٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخفت مني الشباب وأعطتني الحلم والتجارب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت : أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول علي بن جبلة :

وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَا طَوَّتْ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي  
وقول ابن المعتز :

وَمَا يُنْتَقَصُ مِنْ شِبَابِ الرِّجَالِ يُرَدُّ فِي نَهَايَا وَأَلْبَاهِيَا

(٣) الحدائة : حداثة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث إياه . يقول : إن حداثة السن لا تحول دون الحلم ، فالرء قد يكون حليما في الشباب كما يكون حليما في الشيب — كما قال أبو تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

(٤) ترعرع الصبي : نشأ وشب ، والأستاذ : لقب كافور ؛ وهي كلمة فارسية ، من معانيها : اللطم ، والدبر ، والعالم . يريد التنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أي أنه ترعرع على ذلك

مُجْرِبًا فَمَا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبٍ (١)  
 حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآآتٍ وَتَشْيِيبٍ (٢)  
 يُدَبِّرُ الْمَلِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ (٣)  
 إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النَّكْبُ مِنْ بَلَدٍ  
 فَمَا تَهَبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبٍ (٤)

طبماً دون أن يفيد من كر الغداة ومر العشي، وهذا دليل على أن الحدائث ليست  
 بمائة من حلم .

(١) قال صاحب اللسان: رجل مجرب كمرض — بالفتح — جرب في الأمور  
 وعرف ما عنده، كأن الأمور جربته وأحكمته؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور  
 وجربها. ثم قال: إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. يقول التنبي: نشأ كافور مجرباً  
 قبل أن يجرب — لما جبل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه  
 من الكرم — ففها وكرما: مفعول لها .

(٢) التشيب في الأصل: ذكر أيام الشباب: وهو يكون في ابتداء القصاد، ثم  
 سمي ابتداء كل أمر تشيباً، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب، ويريد بنهاية الدنيا:  
 الملك، لأنه لا شيء إلا والملك فوقه يقول: إن كافوراً أصاب الغاية القصوى من دنياه  
 وهو الملك، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها: أي أنه بعيد مرتقى الهمة .

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وتراعى حدودها إلى هذه الأطراف، لأنها داخلة في  
 ملكته، لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول  
 — ولا النوب، وإنما ملكته تحد بهذه البلاد؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام حسب .

(٤) يقول: إنه لهيبته وعظمه في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الموح في بلاده  
 هبت مستوية رزينة مرتبة إعظاماً له وإجلالا، والرياح مثل أراد به البالغة في إعظام  
 الناس إياه وتكبرهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له .  
 وعبرة الخطيب اتبريزي: يعظم أمره وسياسته، ولم يرد الرياح بعينها، بل يريد أن  
 الناس له هائبون، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هية له . فالضمير في  
 أتها: يعود على الملك بمعنى الملكة والنكب: جمع نكباء، وهي الريح تهب في  
 غير استواء .

- وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيْبِ (١)  
يُصْرَفُ الْأَمْرُ فِيهَا طَلِيْنٌ خَاتِمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبٍ (٢)  
يَحِطُّ كُلُّ طَوِيلٍ الرَّمْحِ حَامِلُهُ  
مِنْ سَرِجٍ كُلُّ طَوِيلٍ الْبَاعِ يَغُوبُ (٣)  
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَغُوبُ (٤)  
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجِيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبٍ (٥)

(١) هذا البيت في معنى الذى سبقه . يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طمسه ومحاه ، كطرسه . يقول : إن أمره يمثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم أمحى كل ما كتب ولم يبق إلا الحاتم امثل أمره بمجرد رؤية الحاتم إعظماً وإجلالاً . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرهما ، وفيه خاتم وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير في حمله : يعود إلى الحاتم ، واليغوب : الفرس السريع الجرى . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى: أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظماً فنزل عن فرسه ، وللعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبرة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء ؛ وللعنى : يريد نفاذ أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أى إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويتهيج إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده .

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أياً كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجديه نالت مطلوبها ، فكانها غزته بجيش لا يفلب .

أَوْ حَارَبْتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبٍ<sup>(١)</sup>  
أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَفْصَى كِتَابِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ  
إِلَى غَيْوْثٍ يَدِينُهُ وَالشَّائِبِ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتُهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ<sup>(٤)</sup>

- (١) التقدمة : التقدم ؛ والتجيب : الهرب . قال صاحب اللسان : التجيب الفار ، وجيب الرجل تجيباً إذا فر وعرد ، وفي الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جيب الناس عنها كالكار بعد الفار : أي إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جيب الرجل . إذا مضى مسرعاً فاراً من شيء . يقول : إذا قصدته أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يفيدهم الإقدام لأنهم لا يقدرُونَ عليه ولا الهرب لأنه يدركهم لا محالة .
- (٢) أضرت : من الضراوة ، وهي الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراه ، بكذا : ألجمه به ؛ وفي الأثر : إن لحم ضراوة كضراوة الخمر : أي إن له عادة طلابة لأكله كمعادة الخمر مع شاربها ، ويريد بأفصى كتابه الجبناء الذين لا يشهدون اقتال ؛ والحمام : الموت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجاله لقاء الموت وجرأتهم عليه فليس للموت مرهوباً عندهم .
- (٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل في الشائب تقوم مقام الضمير : أي إلى غيوث يديه وشأبيهما . يعرض التنبي - فيما يظهر - بسيف الدولة ، يقول ؛ يلومني الناس على هجري الغيث - يعني سيف الدولة - وهم واهمون في هذا اللوم ؛ لأنني تركت غيثاً إلى غيوث : أي أنني فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لا تعطّر فيقول : لا مني الناس في هجري بلاد الغيث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تصف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالي .
- (٤) يقول : إنني هجرت إلى من يعطى القطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن . وهذا تعريض بين سيف الدولة . والدولت : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لتلك ؛ فتطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا      وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبٍ (١)  
 بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ      ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبٍ (٢)  
 وَجَدْتَ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتَ أَذْخَرُهُ      مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرَى وَتَقْرِبٍ (٣)  
 لَمَّا رَأَيْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَنْدِرُ بِي      وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمَّ الْأَنْايِبِ (٤)  
 فَمَنْ الْمَالِكِ حَتَّى قَالَ قَائِلَهَا      مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرُودِ السَّرَاحِبِ (٥)

(١) راعه : خوفه وأفزعه ؛ وبه : صلة مغدور ؛ والموفور : الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء ، والمنكوب : ضده . يقول إنه لا يندر بأحد كي يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحيفه أو يسلب ماله ليفزع به للموفور الذي لم ينكب . يعني أنه حسن السيرة في رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يندر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش صاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أي ينكل بصاحب جيش ليحتر به صاحب جيش آخر ، وهو - أي كافور - في جيش أسود النبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله ، ويجدله أي يصرعه على الجدالة وهي الأرض - وجملة يجدله : صفة لذي جيش ؛ وذا مثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله في أمم : أي في جيش أمم النقع : أي أسود النبار ؛ والغريب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غريب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره .

(٣) يقول : إنى وجدت مافي الخيل من عدو وجرى أنقع الأشياء التي ادخرتها لأنها حملتني إلى كافور وأخرجتني من بين الغادرين بي كما بين ذلك في البيت التالي . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأيت الخيل حدثان الدهر ونوبه تندر بي - يريد الناس - وقت لي بحملها إياي عن موطن التندر إلى كافور ؛ وكذلك وقت لي الرماح لأنى استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأناييب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأناييب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدين من الرمح وما شاكلة .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المغاوز وفاتها حتى لو كان لها - أي للمغاوز - قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذلت الصعب منا ونجت من عوائلنا ،

تَهْوَى مِنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَا كَوَّلٍ وَمَشْرُوبٍ (١)

فالمراد بالمهالك: الفاوز ، والجرد : القصيرة الشعر ، وذلك محمد في الخيل، والسراجيب: جمع سرحوب ، وهو الفرس الطويل . وعبارة ابن جنى : ضجت للفاوز من سرعة خيل وقوتها ، وقال ابن فورجه : إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها الفاوز ، وإنما تفهم الأمور المهلكة : يعنى أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تصعبت المهالك من نجاتها بسلامتها منها .

(١) تهوى : أى تسرع ؛ وقوله بمنجرد : يعنى نفسه ، والنجرد : الجاد فى الأمور الماضى فيها لا يرد شيء ؛ وقوله ليست مذاهبه : أى ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا . يقول : إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لمثل كسوة أو طعام ، وإنما طلبته المعالى . وهذا كقوله :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلْبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلْبِ الْمَعَالِشِ

وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
وَلَكِنَّمَا أَسْمَى لِجَدِّ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَدْرِكُ الْجَدَّ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي (١)

وقال حاتم الطائي :

لِحَا اللَّهِ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْتَقَى كَبُوسًا وَمَطْعَمًا (٢)

وقال آخر :

وَلَيْسَ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِيَشْرَبَ صَبُوحٍ أَوْ لِيَشْرَبَ غَبُوقٍ  
وَلَكِنْ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِيَضْرِبَ عَدُوًّا أَوْ لِيَنْفَعِ صَدِيقٍ

(١) ما - فى قوله ما أسمى - مصدرية ومجد مؤنل قديم له أصل ، والثائل اتخاذاً صل

مال ، وقيل المؤتل : المجموع وقيل : المستمر المثبت

(٢) لحاه الله : قبحه وأهلكه . من لحوت العود ، إذا قشرته ، والصعلوك : الفقير

الذى لا مال له ، وصعاليك العرب : ذؤباتها .

- يَرَى النُّجُومَ بِمَعْنَى مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبٍ (١)  
 حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ  
 تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحَجُّوبٍ (٢)  
 فِي جِسْمِ أَرْوَعٍ صَافِيِ الْعَقْلِ تَضْحِكُهُ  
 خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِبِ (٣)  
 فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَاللِّقْنَاءُ وَالْإِدْلَاجُ وَالتَّأْوِيبُ (٤)

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه ، شأن السلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حق ، وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يتناولون أنفسهم للناس — يريد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد ، بدليل قوله في البيت التالي : في جسم أروع ، وما أبدع قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصُوعِكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تَرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ  
 وقوله يقول مسلم :

كَذَلِكَ النَّيْتُ يُرْجَى فِي تَحْجِبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْتَفْرَأً عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

(٣) في جسم : صفة لنفس — في البيت السابق — أوحال منها ، والأروع هنا : الشهم الذكي النفوذ وفي غير هذا الموضع الذي يروعك حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هي عليه من الحسة والدناءة : ضحك منها هزوا واستصغارا ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أي لكافور ؛ ولها أي للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إنى أحمدك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلفتني إليك — كما ذكر في البيت التالي .

وَكَيفَ أَكْفَرُ يَا كَافِرُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَّغْنَاكَ بِي يَا كَلَّ مَطْلُوبِي  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَائِي بِتَسْمِيَةِ  
(١) فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ عَن وَصْفٍ وَتَلْقِيْبٍ  
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ (٢)

---

(١) الفاني : المستغنى . يقول : أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به ، فلم يحتاج معه إلى وصف أو ذكر لقب ، وهذا كما يروى ، أن رؤبة بن العجاج أتى البكري النسابة فقال : من أنت ؟ قال : أنا رؤبة بن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت ، فقال رؤبة يفتخر بذلك :

وقد رفع العجاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي  
(٢) الضمير — في قوله به — يرجع إلى الحبيب ، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن ، وهذا أبلغ . يقول : إني أحبك وأنت حبيب إلى ، وإني أعود بك من أن لا تحبني ، لأن من نكده الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ



وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة\*):

أَغْلَبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ (١)

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيْبًا تُقْرَبُ (٢)

\* قالوا: إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولي أبا الطيب ناحية من الصعيد، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن التنبي لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً، فقال أبو الطيب هذه انقصيدة يمدحه بها.

(١) يقول: إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك، والغلبة للشوق: إذ هو يظلب صبرى، وإنى أعجب من هذا المجر لتراخيه وطوله، على أن الوصل لو واقفنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق. وقال الواحدى: الأغلب الغليظ الرقة الذى لا يطاق ولا يغالب، فكأنه قال: إن الشوق صعب شديد ممتنع.

(٢) تنائى تفاعل، من النأى. وهو البعد، يقال نأى وأنأته على أفعال؛ ولكنه نقله إلى فاعل، كما يقال أبعدته وبعادته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول: إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه، أفلا يغلط مرة فيبعد البغض ويدنى الحبيب؟ وجعل ذلك غلطا من الدهر، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس:

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَأَجِبٌ لِمُنْجَعٍ  
وَأِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقْدَانَهُ لِمُنْتَعٍ

ويقول الطرماح:

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ

ويقول الآخر:

عَجِبْتُ لِنُطْوِيحِ النَّوَى مَنْ أَحْبَبَهُ

وقال المحدث:

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبَغِضُنِي عِنَادًا  
وَمِنْ أَشْنَاهُ شِصْصٌ فِي لَهَائِي

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقْلَ تَبِيَّةَ عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْهَدَالِيَّ وَغُرْبِيَّ (١)  
 عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي مِنْ جَفْوَتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أُتَجَبُّ (٢)  
 وَكَمْ لِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدِي تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ (٣)  
 وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحْجَبِ (٤)

(١) الثبئة التلبت والتحكك قال الشاعر :

فِ بِالْأَبْيَارِ وَمُوقِفَ زَائِرِ وَتَأَى إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرِ

وثبئة : منصوبة على التمييز ، وأراد ما أقله ثبئة ، لحذف لضيق اللقاه والهدالي : موضع بالشام ، وغرب : جبل هناك معروف ، والهدالي : مبتدأ وشرقي : ظرف خبره ، وأصله شرقيي — ثلاث ياءات — لحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتجب : من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيرى وأقل لبنة عشية كان هذان المكانان على جاني الشرقي : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحفى الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية في البيت السابق — وأحفى : أفضل تفضيل — من حفى به حفاوة : إذا بالغ في إكرامه وإلطافه — يقول : إن سيف الدولة كان أحفى الناس بي جفوته وغادرته ، وكانت أهدى طريقى هي التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جني : كان يترك القصد ويتصف خوفًا على نفسه .

(٣) المانوية : أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا وقد بين تلك النعمة في البيت التالي .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلا ، يقول : إن ظلام الليل وقاك فائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلا فلا يصرورك وزارك فيه المحبوب آمنًا لم يخش الرقيب إذ حبه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قد يزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز :

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلِي مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادِ

هذا وقد ذكر شر النور في البيت التالي

وَيَوْمٍ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ      أَرَأَيْتُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقَرَّبُ<sup>(١)</sup>  
 وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَغْرَّ كَأَنَّهُ      مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ<sup>(٢)</sup>  
 لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ      تَجِيءُ عَلَيَّ صَدْرِي رَحِيبٌ وَتَذْهَبُ<sup>(٣)</sup>  
 شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ أُذُنِي عِنَانَهُ      فَيَطْفَأُ وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ<sup>(٤)</sup>  
 وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ      وَأُنزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ<sup>(٥)</sup>

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استمرت فيه خوفاً من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من الكمين وآمن على نفسي . فالواو واو رب ؛ وكنته : أى كنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان في مسيره يراعى أذنى فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئاً من بيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً . ثم وصف فرسه فقال : كأنه في سواده قطعة من الليل وكأن النمرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه ، وهذا من قول أبي داود :

وَلَهَا جِبْهَةٌ تَلَأُلُ كَالشَّفَرَى أَضَامَتْ وَغَمَّ مِنْهَا النُّجُومُ

والنمرة : البياض في جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أى كوكب - من كواكبه - أى كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مديديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مديديه ، وإذن ففي إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجيء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى بجذبه وثب وطنى مرحاً ونشاطاً ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطفيان الفرس : شدة النشاط والمرح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قفبته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير في عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ

- وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرِبُ (١)  
 إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحَسَنُ عَنْكَ مُغِيبٌ (٢)  
 لَخَالَهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا رَاكِبٌ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ (٣)  
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَقْتَبُ (٤)  
 وَبِي مَا يَذُودُ الشُّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا ابْنَ الْقَوْمِ قَلْبٌ (٥)

في مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته - قتلته - وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لقب ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن المعتز

تَخَالَ أَخْرَهُ فِي الشَّدِّ أَوْلَهُ وَفِيهِ عَدُوٌّ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب ، فبالجربة تعرف الكوادر من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ما عنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل المعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذي يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان - جمع شية - يقول : إن مزايا الخيل فيها وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم ترمها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أي قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرته ، ومناخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بشئ المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتني أعلم هل تخلو لي قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يلغني المراد وأناال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرد ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . روي أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال في مرضه الذي مات فيه لا بنيه : إنكما لتبكيان حولاً قلبي إن سلم من هول المطلاع . يقول المتنبي : إن

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدَحَهُ  
وَأَنْ لَمْ أَشَأْ تُنْبِئِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ (١)  
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمِّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَقَرَّبُ (٢)  
فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْصَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً  
وَنَادِرَةً أَخْبِيَانِ يَرْضَى وَيَنْضَبُ (٣)

بي من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أمله بمنع الشعر ويلهى الخاطر عنه ولكن قلبى حسن التقلب للأمر؛ فلا يضيّق بنوازل الدهر ولا تخدّمها خطراته، وقوله يا ابنه القوم فإن العرب من عاداتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهن، وإنما قال يا ابنه القوم إشارة إلى كثرة أهلها، وقال ابن جنى: هو كناية عن قولهم يا ابنه الكرام.

(١) يقول: إن خلائق كافور من الظهور وانباهة بحيث تنبئ عنه فما هو إلا أن تلى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم أت بشيء من عندى، وإنما هى أخلاقه تلى على. وقد أخذ الصاحب بن عباد هذا المعنى فقال:

وما هذه إلا وليدة ليلةٍ      يغور لها شعرُ الوليد وينضب  
على أنها إملاء مجدك ليس لى      سوى أنه يُبليّ عليّ وأُكتبُ  
(٢) يمم قصد يقول: إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آتسه ببطايه وتفقدته إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم؛ وفي هذا المعنى يقول الأول:

نزلت على آل المهلب شاتياً      غريباً عن الأوطانِ فى زمنِ المحلِ  
فازال بي إكرامهم وافتقادم      وإلطانهم حتى حبتهم أهلِ  
ويقول أبو تمام:

هم رهط من أمسى بعيداً رهطه      وبنو أبى رجلٍ بغيرِ بنى أبِ  
(٣) يقول: إن أفضاله مفعمة عقلا وحكمة ونوادير غريبة ترى ذلك له فى حالى رضاه ورضبه لا يخلو منها فى حال وكل من نظر إلى أفضاله استشف منها العقل والسداد وأصالة الرأى. والنادرة: الشيء النادر التريب، ورواها ابن جنى بادرة: أى بديهة.

(٢٠ - التى ١)

إِذَا ضَرَبْتَ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفَّهُ  
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ<sup>(١)</sup>  
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ<sup>(٢)</sup>  
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ  
فَإِنِّي أَعْغَى مِنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ<sup>(٣)</sup>  
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانِنَا وَتَنْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فاذا نظرت إلى مضاء سيفه وأره في الوعى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لأن كفه يستظهر بالسيف لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضى في يد الضميف لا يؤثر شيئاً — كما قال البحرى :

فَلَا تُفْلِحِينَ بِالسَّيْفِ كُلِّ غَلَاةٍ

لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ — لَا السَّيْفَ — يَقْطَعُ<sup>(١)</sup>

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حيناً نضب وذهب في الأرض وجف مكانه ، وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ ولللبث : المكث ؛ ونضب الماء : ذهب في الأرض .

(٣) يعرض المتنبي بتقاضى ما يؤمل . يقول : إني أَعْغَى مِنْذُ حِينٍ : أى أطربك بمديحى ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذت سماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل في الكأس فضلة أشربها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقمه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما أطلب ما توجه همتك ويقضيه كرمك .

(١) قوله فلا تغلين بالسيف : يقال غالى بالشيء وأغلى به إذا اشتراه بضمن غال ؛ وغالى به وغلاه : سام فأبسط وجاوز الحد .

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ صَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلَكَ يَسْلُبُ (١)  
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلُّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي وَأَبْيَكِي مَنَ أَحِبُّ وَأَنْدُبُ (٢)  
أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنَقَاءَ مَغْرِبِ (٣)  
فَإِن لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمُنْكَ أَوْهُمْ  
فَإِنَّكَ أَحَلِّي فِي فُؤَادِي وَأَغْدَبُ (٤)

(١) ناطق به كذا: أسنده إليه؛ والضيعة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيعة أو تقوض إلى ولاية فإن ما تكسوني إياه بجودك — أي ما يحده جودك من الآمال — تسلبني إياه باشتالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٢) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضاخكون من يحبون أمامي؛ أما أنا ففعل العكس منهم: أبكي من أحب وأنديه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد المتنبي أن يفرى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألاق التي يلاقها من جراء اغترابه.

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخم ليس بالعقاب؛ وقيل: كلة لأصل لها: كالغول، وقال ابن الكلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمع، مصعده في السماء ميل فكان ينتابه طائفة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغرباً، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» ترعرعت، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربتها العرب مثلاً في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء المغرب، وطارت به العنقاء: يريدون هلاكه أو ذهابه إلى حيث لا يرجع. قال:

ولولا سليمان الخليفة حَلَّتْ به من يد الحجاج عنقاء مغربُ

ومغرب — من أغرب في البلاد: ذهب وأجد. يذكر المتنبي تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٤) يقول: إني أوتر لقاءك على لقاءهم حين لا يتيسر لقاءك معاً لأنك أحب إلى منهم.

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلَّى الْجَمِيلَ مُحْسَبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ (١)  
يُرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمُرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُدْرَبُ (٢)  
وَدُونَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا  
إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطُّفْلُ أَشِيبُ (٣)  
إِذَا طَلَبُوا جَزَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا  
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خِيَبُوا (٤)

(١) أولاه جيلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك على أهلي لسأسديت إلى من الجميل ، وطابت لي الإقامة بساحتك لما القيت فيها من العز كما قال البحري :  
وأحب أوطان البلاد إلى الفتى أرضٌ ينالُ بها كريم المطلب  
ومعنى بيت المتنبي مبنى على ما ذكره في عجز البيت السابق .

(٢) والحديد المدرب : أى الهدد ، ومنه لسان ذرب : أى حاد - يريد السيف -  
يقول إن الحساد يريدون بك السوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم  
الرماح والسيف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون - من التيات الأمر عليك -  
أحوال أى أحوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ، ولو لم تخلصوا  
منها إلى الموت لقيت أنت وشاب أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى  
الموت : إلى الشيب . قال الواحدى : أى دون الذى يطلب الحساد - من زوال  
ملكك وفساد أمرك - للموت وهو قوله ما لو تخلصوا منه - أى الموت - أى أنهم  
يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة  
ما يرون وصعوبة ما يلحظهم وما يقاسون منك . وقال ابن جنى : دون ما يريدون من  
السوء للموت الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلهم ، ولكنهم لا يتخلصون  
من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطايك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل  
ما يقترحون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى آتاك الله فإنهم لا يدركونه ،  
لأنه لا ينال بالاكتماب ، وإنما ذلك شئ آثره الله به . وعجاجة ابن جنى : إن راموا  
فضلك منهم منه . قال ابن فورجه - مقباً على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان



وَلَوْ جَازَ أَنْ يَمْحُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا      وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُؤْهَبُ (١)  
 وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً      لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ (٢)  
 وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمَلِكِ مُرَضِعاً      وَلَيْسَ لَهُ أُمَّ سِوَاكَ وَلَا أَبَ (٣)  
 وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ      وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِيَّ مِخْلَبَ (٤)  
 لَقَيْتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسِ كَرِيمَةٍ  
 إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنْ الْعَارِ تَهْرَبُ (٥)

أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله ؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتنبي على ما لم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤذي من يغل وشح ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها لا توهب . والأصل في هذا المعنى قول الأول :

وإن يَقتَسِمَ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَوتِي      فلن يَقسِموا خُلُقِي الكَرِيمَ ولا فَضْلِي  
 والله قول أبي تمام :

فانفَحَ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْعَةً      إن كانتِ الْأَخْلَاقُ مِمَّا يُؤْهَبُ (١)  
 (٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون في نعمائك ، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك ، لأن أشد الظالمين ظلماً من قلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو علي بن الأخشيد صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه - يقول : أنت الذي رببته وقت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مريض ، فكنت له أباً وكنت له أمّاً . قوله رببت ذا الملك : أي صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال المتنبي وأنت الذي ربى لكان أحسن ، ولكنه قال رببت كما قال كثير :

وأنتِ التي حَبَّيتِ كلَّ قَصِيرَةٍ      إلى وما تدرى بِذَلِكَ القَصَائِرِ  
 (٤) يقول : وكنت لذي الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو لك بمنزلة الحلب للأسد يحمي أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ، والهندواني : السيف الهندي ، والحلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .  
 (٥) يقول . ذبت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرماً

(١) الحميم : الحلق وقيل سعة الحلق ، والحميم الأصل

وَقَدْ يَتْرِكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَهَيَّبُ (١)  
وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَسَكِنَّ مَنْ لَاقَوْا أَشَدُّ وَأُنْجَبُ (٢)  
ثَنَانُهُمْ وَبَرَقَ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقُ  
عَلَيْهِمْ وَبَرَقَ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ خُلْبُ (٣)  
سَلَّتْ سُيُوفًا عَلَّتْ كُلَّ خَاطِبِ  
عَلَى كُلِّ عُوْدٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ (٤)

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتنام « تختار » ذلك على المهزيمة . فالتقنا : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقتصر ،

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع للمقدام الذى لا يهابه ولا يباله ، ويلقى بنفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الهياة الذى يهاب الموت ويخشاه . فالضمير فى يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك فى الحرب لم يدموا بأساً وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأنجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لزر فر ابن الحارث :

سَقِينَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبِرًا

(٣) البيض - بالكسر - السيف ، وبالفتح : جمع بيضة ، وهى الخوذة من حديد . والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطرفه يقول : لقد هزمتهم وصرقتهم عنك وسيوفك تفرع خوذهم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق فى الآخر ، غير أن برق السيوف فى الخوذ صادق لأنها تقطع الجناح فتسيل دماؤهم بعده ، أما يرق الخوذ فى السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعجارة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر للمع البيض فى السيوف ، فشبّه بالبرق الخلب الذى لا مطرفه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : النبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم وغبه ورهبة . وقال بعض الشعراء :

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ      إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنَسَّبُ (١)  
 وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحْضِكُ قَدْرَهُ      مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ (٢)  
 وَمَا طَرَبِي لِمَا رَأَيْتُكَ بِدَعَا      لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ (٣)  
 وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي      كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ (٤)

يريد أن سيفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ،  
 فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى - بحذف إحدى التاءين - أى تنهاهى . يقول : إنك فى غنى عن  
 الأنساب التى يذكرها النسابون لغيرك ، لأن المكرمات تنهاهى إليك وتعزى - إذ  
 كنت أصلاً لها - إليك ؛ وحسبك هذا شرفاً يغنيك محموده عن النسب . ولاحظ أن  
 هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبى الداهية ، وقد يكون غير مقصود ،  
 ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سباً للملوك ، لأنه أشبه بنفى النسب  
 عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَاتِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ      تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مُجَدِّ مُؤَثِّلٍ  
 وَقَوْلُهُ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ ، فَالْأَسْبَابُ : فَاعِلٌ يَنْسُبُ ؛ وَالتَّقْدِيرُ عَمَّا يَنْسِبُهُ النَّاسُ : أَيْ  
 عَنِ النَّسَبِ الَّذِى يَنْسِبُهُ النَّاسُ .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لأنك فوق كل أحد . قال  
 التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبى يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء .  
 (٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لائى  
 كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به  
 لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على وؤبة القرد وكل ما يستملح  
 ويضحك منه . . . قال ابن جني : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت  
 على أن جعلت الرجل أبازنة - وهى كنية القرد - فضحك !

(٤) يقول : إن شعرى وهمتى يلوماني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى  
 عليك ، فكانتى أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلاً لأن الأم . وهذا المعنى من  
 قول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَتَيْتِي      سِوَاكَ بِأَمَالِي فَعَجَبْتُكَ تَائِبًا  
 وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : الْمَصْرَاعُ الْأَوَّلُ هِجَاءٌ صَرِيحٌ لَوْلَا الثَّانِي . قَالَ الْخَطِيبُ الْتَبْرِيزِيُّ :

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ  
أَقْتَسُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنْهَبُ (١)  
فَشَرِقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ  
وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلغَرَبِ مَغْرِبٌ (٢)  
إِذَا قُلْتَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ  
جِدَارٌ مَمْلُؤٌ أَوْ خَبَاءٌ مُطَنَّبٌ (٣)

\*\*\*

ليس في البيت جهاء ومعناه أن همته عدته كيف قنع بغيره ؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره ؟ وشهد له بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ ومالا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريق إليك ، نجبت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت في غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعري لذلك كأنه ينهب منها . يتندر النبي إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامي حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبي تمام :

فَفَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا  
(٣) مطنب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى

ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضرم سكان الدر؛ والبوسكان الوبر . وهذا كقوله :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَالِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخَضْنَ الْبَحَارَا

وقال يمدحه ، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهي آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مَنْ كُنَّ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خِضَابُ      فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ<sup>(١)</sup>

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكن لي : وصف لمنى ؛ وللى : جمع منية ؛ والقرون : ضفائر الشعر ، قالقيس : وهل مالت عليك قرون ليلى      كليل الأحوانة في نداها

يقول : إن مشيبي هذا وكون البياض خضاباً لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديماً : يعنى أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفى شبابه بايضاض شعره لأنه أوفر وأجل في العين . وجمع المنى نظراً إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذى يخفى البياض يسمى خضاباً .

( هذا ) . ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقاً نحوياً للعلامة العكبرى لمناسبة إعراب

\* منى كن لي أن البياض خضاب \*

قال العكبرى :

منى نكرة وهى مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسماً معرفة ، كقولك امرأة خاطبتنى ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تتنبه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان الخبر عنه مجهولاً كان الخبر حقيقاً باطراح الإصغاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان المبتدأ نكرة أن يتضمن الخبر اسماً معرفة أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال في تقدير زيد ذو مال ، فالمبتدأ الذى هو مال هو الخبر في الحقيقة ، وزيد هو المبتدأ فى المعنى ، وقوله كن لي مفيد ، لأن فى ضمن الخبر ضمير التكلم ، وهو أعرف المعارف ؛ ولو قال منى كن لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء

كانه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شيبته بقوله ليالى عند البيض  
وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع في قوله تعالى « قل بل ملة  
إبراهيم » وإذا قيل إن التنى مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقيلة لأنها  
للتحقيق ، فهى أشبه باليقين ، وإنما يقع التنى وما شاكلة على أن الخفيفة لأنها تخلص  
الفعل للاستقبال ، فهى أشبه بالطمع والرجاء والتنى من حيث تعلقت هذه المعانى بما  
يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تنى ابتئى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر<sup>(١)</sup>

قل لا يمتنع وقوع التمنى على أن الثقيلة ، كما لم يمتنع وقوع وددت عليها ووددت  
وتمنيت بمعنى واحد . وفى التزليل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن  
يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التى هى كنى وأن واسمها وخبرها نعت لها ،  
فتتعلق أن بما قبلها كأنه قال فى منى كنى لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحقا أنك ذاهب  
وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك  
فى أن مذهبان : فذهب سيويه والافخش والكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم  
حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله  
غدا الرحيل وأحقاً أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان  
هذا مذهب سيويه ومن معه فالنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر منى أنك  
ذاهب ، فنصب أكبر بتقدير فى ، وأنشد :

أحقاً بنى أبناء سلمى بن جندلٍ تَهْدُدُكُمْ لِيَأَيَّ وَسَطِ الْمَجَالِسِ<sup>(٢)</sup>

(١) من أبيات لبيد قالها قرب وفاته وبعده

فقوماً فقولا بالذى تملئانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر  
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضع ولا خان عهداً ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع

سببها فى الأغاني وفى خزائن الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبنى منادى مضاف لما

لَيْلِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَّأَى فِتْنَةً وَفَخَرُّهُ وَذَلِكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ (١)  
فَكَيْفَ أَذْمُ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي  
وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ (٢)  
جَلَّ اللَّوْنُ عَنِ لَوْنِ هَدَى كُلِّ مَنْسَلِكٍ  
كَمَا أَنْجَابَ عَنِ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ (٣)

والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف التتقدم حكاة عنه سيويه قال : وزعم الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل في غد وأن أن بمنزلة وموضعها كوضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانباً الرأس ؛ والعباب : هو الصيب . يقول : إن تمنى الشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده ، ولكن يفخرن بوصولي ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي ، لأنني ممن يعفت عن النساء ويرغب عن صالحهن .

### \* وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيْبَةُ أَنْزَقُ \*

وقوله ليالي : منصوب بفعل مضمر دل عليه مني كأنه قال تمتت ذلك ليالي فوداي عند النساء فتنة وليالي مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح (٢) يقول : فكيف أذم الشيب اليوم ، وقد كنت آتمناه وأشتهيه ؟ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته : يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سميت في هذا سميت ابن الرومي في قوله :

هِيَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ  
فَالكَ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلْتَ مَرْمِيَّ سِوَاكَ تَعَمَّدُ  
(٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا .

وانجباب : انكشف ، والضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يوماً : أي صعد فيه الضباب يقول : إن يياض الشيب كان

بعده ، وتجد في الخزانة تحقيقاً وافياً لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام العسكري فراجعه إن شئت

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ  
(١) وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْدِ مِنْهُ حِرَابٌ  
لَمَا ظَفَرَتْ إِنْ كَلَّ ظَفْرُهُ أُعِدَّهُ  
(٢) وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابٌ  
يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا  
(٣) وَأَبْلَغُ أَقْصَى الْمُنْصَرِّ وَهِيَ كَمَا ب  
وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي  
(٤) إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ  
غَيْءٌ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي  
(٥) إِلَى بَلَدٍ سَأَفَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ

كأنه كامن في السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير : كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوءه .  
(١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ، ولو أن الشعرات البيض في وجهه كانت حرايا . والهاء في قوله منه : للجسم .  
(٢) يقول : إن كل ظفري ولم يبق في فمي ناب من الكبر ، فحتى لا يكل ظفريها ولا يذهب نابها ، قال العكبري : قوله أعده في موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم  
(٣) غيرها استثناء ، والكما ب : الجارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسي شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمي .  
(٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بي أصحابي وكنت لم كائنهم الذي يهتدى به ، يريد أنه خريت خيرا بالفلوات . والصحة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، وروى تهتدى صحبتي به .  
(٥) يستفزني : يستخفي ويحركني . يقول : إني غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندي سواء ، فإذا غادرت وطناء لم يستخفي حب الرجوع إليه .



وَعَنْ ذَمْلَانَ الْعَيْسِ إِنْ سَاحَتْ بِهِ وَإِلَّا فَنِي أُكْوَارِهِنَّ عُقَابٌ<sup>(١)</sup>  
 وَأَصْدَى فَلَا أُبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةٌ وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَلِلسَّرْمِيِّ مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَلِلخَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا  
 فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ تُجَابٌ<sup>(٤)</sup>

(١) التملان : ضرب من السير ؛ والعيس : الإبل . وقوله : إن ساحت به ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غني كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنني كالعقاب : أجوب الفياقي دون أن أحتاج إلى ما يحملني

(٢) yeemalat : النياق النجبية العتملة المطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس : ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش في الفياقي الحارة التي يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدو حاجتي إلى الماء تصبرا وتجهداً وحزماً، وهذا من قول أبي تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَرَرًا إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(٣) النديم : الذي ينادمك ويجالسك على الشراب . يقول : إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلفه في البدن كما قال مسكين الدرمي :

يظلون شتى في البلاد وسرم إلى صخرة أعين الرجال انصداعها

وقد نظر التنبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تغلف حُبُّ عثمة في فؤادي وبأديه مع انخافي يسيرُ

تغلف حيث لم يبلغ شرابُ . ولا حُزْنٌ ولم يبلغ سرورُ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجاب : تقطع . يقول : إنما أصعب

للرأة قدرا يسيراً ثم أسافر عنها ، فيكون بيني وبينها فلا أقطعها إلى غير لقاءها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمعن في الابتعاد .

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسَهُ فَيَصَابُ (١)  
 وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلنَّوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابٌ (٢)  
 تَرَكَنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ  
 فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَيْنَ لِمَابٍ (٣)  
 نُصْرَفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِمَابٌ (٤)

(١) الغرة : المرور . يقول : إن عشق النساء غرور بهن وطمع في وصلهن إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويروي قصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى : إن دواعي العشق تقع أولا في القلب ، ثم تتقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يستهوئها ويفلها على رشدها .

(٢) النوانى : الحسان ؛ والرمية الطريدة التي ترمى . يقول : إن قلبي لا تصفيه النساء بسهام الحافظين إذلا أصبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الخمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج : أى لا أحمل كأس الخمر يدي . ويروي للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى : ولست بمن يلعب الشرطج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القدح وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال حمله ، وأيضا فإنه كلمة أمجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتنزه عن شرب الخمر أليق بالتنزه عن الفزل من اللعب بالشرطج

(٣) اللعاب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعذارى ولعابها ؟ والتلعاب — بالفتح اللعاب ، صيغة تدل على تكثير الصدر . ويقال رجل تلعباة — بكسر التاء — وتلعاب وتلعابة : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرمح : أى لالذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي ، وقصرها على الجد في طعان الأعداء .

(٤) نصرفه : أى القنا ؛ والحوادر : الخيل الغلاظ السمان . وتروى حوادر — بالحاء المعجمة — أى كأنها أصابها الخدر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حواذر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعنى خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكماب : المقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح وتنقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كماب من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِحٍ  
وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ (١)  
وَبَحْرٌ أَبُو الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُجَابٌ (٢)  
تَجَاوَزَ قَدْرَ اللَّذِجِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُنْفَى عَلَيْهِ يُعَابٌ (٣)

وكنْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَمَسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بِنَايَا  
هذا ورواية حواذر هي رواية ابن جنى ، وقد تقدما بعض الشراح بقوله : كيف  
يصفها بالخذر وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية  
بقوله : يجوز على رواية ابن جنى هذه أن يكون حواذر أى تميل عن الطمن وتخذه  
بكثره ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تعيد عن الطمن . وقوله انقصت فهن  
من الطمن كعاب ، يجوز أن يكون فى أول ما طوعن عليها وهى فى غرة من الطمن  
فلما كثر الطمان عليها وألفته طارت تخذه وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد  
تخذ الطمن وتعيد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطمن قليل  
وتسلم لخذرها من طمن كثير .

(١) الدنى : جمع دنيا ، والسابح : الفرس السريع الجرى يقول : إن سرج الفرس  
هو أعز مكان لأنه يمتطى لطلب المعالى أو محاربة الاعداء لدفع شرم ، أو للهرب من  
الضيم واحتمال الذل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر  
ولا يحتاج فى مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آذابه وكل ما يحتويه والله قائل :

مَا تَعَلَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُنْتِي جَلِيسًا

(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم :  
الكثير الماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة الموج وارتفاعه . يقول .  
وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دَعَانِي إِلَى عُمَرٍ جُودِهِ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بَحْرٍ خَضَمٍ

وروى : وبحر أبى المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبى المسك والخضم خبره :  
أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جنى وبحر - بالجر - عطا على جليس :  
أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالفت فى حسن الثناء عليه استحق

وْغَالِبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَّا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ الشُّيُوفِ رِقَابُ<sup>(١)</sup>  
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَى أَبَا الْمِسْكِ بَذْلَةً إِذَا لَمْ تَصْنُ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابُ<sup>(٢)</sup>

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحري :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يكون المديح فيه هجاء  
وقال ابن جنى : هذا من المدح الذى كاد أن يتقلب لإفراطه هجوا ، وهذا ضد قول  
أبي نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندى بالذى عابوا

(١) عنوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحى القيوم « من العنوة »  
وهى القهر . يقول : وحاول الأعداء غلبه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا  
كل رقاب إذا غالبت السيوف آضت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتذال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول :  
وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شيء من الثياب إلا  
الحديد : أى إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه يعنى أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى  
الحرب بالدرع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وإذا تكون كتيبة معلومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت القدم غير لابس جنه بالسيف تضرب معلما أبطالها<sup>(١)</sup>

هذا ، وقد ذهب ابن جنى إلى غير ما أوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق  
الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا للطمن فجعل الثياب كما ترى  
تصون الحديد . قال العروضى يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإعالم التني  
جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن انثياب إلا الحديد يعنى الدروع ، وإعما  
يريد التني لانه المستثنى وأنشد بيت الكمي .

ومالى إلا آل أحمد شيمة ومالى إلا مذهب الحق مذهب

(١) كتيبة معلومة مجتمعة : وشهباء لما فيها من بياض السلاح والحديد ، ونهالها  
عطاشها ، والجنة ما وراراك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، ومعلما : حال .  
ورجل معلم إذا علم مكانه فى الحرب بعلامة أهلها . وسيأتى شرح البيتين .

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
 وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِيَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 يَتَوَدُّ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقْضِهَا نَائِلٌ وَعِقَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 أَيَا أَسْدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيِّغَمٍ وَكَمْ أَسْدٍ أَرْوَاحُنَّ كِلَابٌ<sup>(٤)</sup>

ومعنى البيت : أكثر ما يليق هذا المدوح في الحرب بإذلا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . ققوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمي ، والضراب : الضرب ؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جنى : المعنى : أوسع ما يكون صدرا إذا تقدم فى أول السكتية يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جنى الرماء من أصحاب المدوح ، وليس فى هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطن من أصحابه فصدرة واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد - كما قلنا - خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان فى مأزق متضايق فى الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدرا .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرون على خلافه وقد استقادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فهما أبرم أمرا نفذ وإن غضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطعمه الناس رغبة فى عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، وهمتك همه الأسود - والأسد موصوف بجاو الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر :

وكانوا كأنفِ الليثِ لا شَمَّ مرغماً ولا نالَ قط الصيدِ حتى يُعفراً<sup>(١)</sup>

(١) أى أنه لا يطعم إلا بما صاده بنفسه .

وقد قال أبو تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ثم قال المتنبي - وأراد ما عداه من الملوك - : وكم من أسد ذئب النفس ساقط الهمة ؟  
أى كم من ملك يشبه الأسد في قوة بطشه ولكن روحه روح كلب ؟ هذا وللعلامة  
العكبرى هنا كلمة في النادى أوردتها المناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردتها لنفسها  
ولأننا أخذنا على أنفسنا أن لا نقفل شيئا مما أوردته جميع السراح . قال العكبرى : أيا  
أسداً : هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لكان أجود ؛ لأنه خصصه ؛  
والنكرات إذا خصصت كان حكمها في النداء كحكم المفرد العلم : قال الله تعالى « يا جبال  
أوبي معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد ؛ والطير من رفعه جمل . عطفنا  
على الجبال ، ومن نصبه - وهو المشهور - فله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عطفاً على  
موضع الجبال لأنها في موضع نصب ؛ الثانى : أن تكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث : أن يكون  
مفعولاً عطفاً على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلاً » ؛ واختلف  
البصريون وأصحابنا الكوفيون في النادى ؛ فقال البصريون : هو مبنى على الضم  
وموضعه نصب ، لانه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ،  
وحجتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولاً في المعنى ولم  
نخفئه لثلاث يشبهه بالمضاف إلى ياء التكلم ؛ ولم ننصبه لثلاث يشبهه مالا ينصرف فرفضناه  
بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برفع صحيح فرق . وأما المضاف فنصبتناه  
لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوباً بحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالاً من  
غيره . وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى - وإن كان يجب في الأصل  
أن يكون معرباً - أنه أشبه كاف الخطاب ، وهى مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه  
الأوجه ، فوجب أن يكون مبنياً ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن  
الأصل في قولك : يا زيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن النادى لما كان مخاطباً كان ينبغى أن  
يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب ، فيقال يا إياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم  
النادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنياً ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنينا  
على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لا يخلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم ،  
بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الكسر

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلَكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيَهَابُ<sup>(١)</sup>  
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقُّ يُلْطَهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُ<sup>(٢)</sup> وَطَالَ عِتَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْعِمِرُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يِيَابُ<sup>(٤)</sup>

لأنه كان يلتبس بالضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقاً بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافاً إلى النفس كان مكسوراً ، وإن كان مضافاً إلى غيرها كان منصوباً ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه في موضع نصب لأن تقدير يازيد أذعو زيداً ، وأنهى زيداً ، فلما قامت «يا» مقام أذعو : عملت عمله ، فدلّت على أنها قامت مقامه من وجهين : أحدهما أنها تدخلها الإمالة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثاني أن لام الجر تعلق بها نحو يازيد وبالعمرو ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر ، فلم تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترى . على أن يتصك حقاك ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحك الأيام شيئا لنعتك .

(٢) يلطه : يجحده ويمطل به ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية : أنشأت تلتها : أى تمنعها حقها من المهر ، ويروى تطلها وأصله لطلطت حقه إذا جودته وربما قالوا تطلت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طآت فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قلوا من اللعاع تلمت<sup>(١)</sup> . ويقال أطله على أى أعانه أو حمّله على أن يلط حتى . يقال : مالك تصينه على لطلته . وأعبه : أزال عتبه أى أرضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يجحده ويماطل في قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتتممر : مطاوع عمرت المكان : إذا سيرته عامراً أهلاً ، واليباب : الخالي ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى العائب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحفهم منها سوء لزلوهم في كنفك وجوارك وهذا خلاف عاداتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

(١) اللعاع : هو الهنءباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلى اللعاع : أكله

وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا  
وَدُونَ الَّذِي أُمَّتُ مِنْكَ حِجَابٌ<sup>(٣)</sup>  
أَقِلُّ سَلَامِي حُبِّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابٌ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فِطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ<sup>(٥)</sup>

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف : يعنى إن أظفرتنى الأيام بطلوبى لديك  
فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القراب : قراب السيف وهو عمدته . يقول : إنما الملك في الحقيقة والواقع  
هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته ببلو همتك وسداد رأيك ، فهو  
بالتقاس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قراب وأنت فيه السيف والزية كلها للسيف  
لا للقراب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى  
القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط ، يقول : إن عيني قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لأنى  
بلغت ما كنت أود من لقاءك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعاد ، لأنى لم أئل منك  
ما كنت أرجوه من الصنيعة إلى ، وهل ينفعنى أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محبوب  
عنى ؟ وهذا كلام بديع يفزو التنبي به — وبما بعده — الإشارة إلى ما توقعه من كافور  
من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ماخف عنكم . يقول : لإيثارى التخفيف  
عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك  
أن تصب يكون : على إعمال كى ، وتكون ما : زائدة ، وأنت ترفعها على أنها لتعمل ،  
وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث  
تدركها دون أن أذكرها ، فسكوتى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما تقول أمية  
ابن أبى الصلت :



وَمَا أَنَا بِالْبَاطِعِ عَلَى الْحَبِّ رِشْوَةٌ      ضَمِيفٌ هَوَى يُبْنَى عَلَيْهِ ثَوَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أُدَلَّ عَوَازِلِي      عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ<sup>(٢)</sup>

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي      حِجَاؤُكَ إِنْ شِئِمَّتْكَ الْحِبَابُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْمَرْءَ يَوْمًا      كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ  
ويقول أبو تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ      تَقَاضَيْتُهُ بِرِّكَ التَّقَامِي  
ويقول أبو بكر الخوارزمي :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً      فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمَ  
فَإِذَا رَأَاكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي      حَمَلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلَزُومَ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه ، يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حبي إياك ، لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضيف . فقوله ضيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب في البيت التالي . هذا : والرشوة ؛ ضم الراء ، وفتحها ، وكسرهما ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارثى منه رشوة : إذا أخذها . قال البرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لترقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لعن الله الراشى والمرثى والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالصانعة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ؛ فالرائش من يعطى الذي يبيته على الباطل ، والمرثى : الآخذ ، والرائش : الذي يسئ بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللأى يلتمنى على قصدي إليك أتى كنت مصيباً في هواك ، وأنتك تفضل على وتبغنى ما أرجيه منك .

(١) الحباب : ما يحبو به الرجل صاحبه وبكرمه به ، أو هو العطاء بلامن ولاجزاء ويروى حياؤك إن شيمتتك الحباب .

وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالِفُونِي فَشَرُّوهُ      وَغَرَّبْتُ أُنَى قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا<sup>(١)</sup>  
جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْكَ وَاحِدٌ      وَأَنْكَ لَيْثٌ وَالْمَلُوكُ ذَبَابٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْكَ إِنْ قُوَيْسَتْ صَحْفَ قَارِيءٍ      ذَبَابًا وَلَمْ يَخْطِيءِ فَقَالَ ذَبَابٌ<sup>(٣)</sup>  
وَلِإِنْ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ      وَمَذْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول: وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدي إليك ، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك . وهذا كقول البحترى :

وأشهد أني في اختياريك دونهم      مؤدّي إلى حظّي وتمتيع رُشدِي  
والتشريق والتغريب في البيت تمثيل أراد به تحقيق المخالفة ، ولعله أراد به الحقيقة .  
(٢) يقول: إن الخلاف جار في كل شيء إلا في أنك واحد نماز عن الأشكال ؛ وفي أنك أسد ، والملوك بالقياس إليك ذباب ، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :  
لو أن إجماعنا في فضل سُودِدِهِ      في الدين لم يَخْتَلِفِ في الأمةِ اثنتان  
ويقول البحترى :

وأرى الناسَ مجمعين على فضلك من بين سيّدٍ ومسودٍ  
فالخلف بمعنى الاختلاف وأنك واحد بدل اشتغال من الكاف في قوله فيك .  
(٣) يقول: إذا صحف القاريء لدى هذه المقايسة لفظ الذباب — المذكورة في البيت السابق — فقال وإنك ليث والملوك ذباب: لم يخطيء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف ، لأن من عداك من الملوك كذلك .  
(٤) الكذاب: الكذب ، يقال كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاً وكذاياً .  
قال الشاعر :

فصدقتها وكذبتها      والمرء ينفعه كذابه

وأنشدوا :

نادت حايلة بالوداع وأذنت      أهل الصفاء وودعت يكذاب  
ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة مثال همزة وكذبان

وَإِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَلِمَالُ هَيْئٍ      وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ  
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا      لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ      فَمَا عَنَّكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابٌ<sup>(٢)</sup>

وكيذبان وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبذبان وكذبذب . قال الشاعر :

فإذا سمعتَ بأنتي قد بعتمكم  
بوصال غانية قفل كذبذب<sup>(١)</sup>

والكذب : جمع كاذب ، مثل راع وركع . قال أبو داود الرؤاسي :

مَتَى يَقُولُ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلُهُ      إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثَ الْكُذْبِ الْوَلَعَةُ  
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْصَرُ      شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفْمًا لِيَنْ مَنَعَهُ  
لَا يَحْسُدُ النَّاسَ فَضَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ      إِذَا تَشَوَّهَ نَفْسُ الْحَسَدِ الْجَشِيمَةَ

« الولة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن  
بعضه يكون كذبا : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبي تمام :

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِ حَقِّ      فَلَمْ آتَمِّ وَلَمْ أَتَحَوَّبْ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ ائْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِيقُ

عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَ كَذِبِ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي : أي لولاك لم أقم بمصر  
وكنت لا أزال مهاجراً في الأرض أتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس ، لأن جميع  
البلاد وجميع الناس لدى سواء .

(٢) يقول : ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والي انصبت عليها آمالي ، فإن

(١) الرواية قد بعته - يعني جملة - وقبله :

قد طال إيضاعي الخدم لا أرى      في الناس مثلي في معد يخطب

حتى تأوبت البيوت عشية      فحططت عنه كوره يتأب

فإذا سمعت بأنتي قد بعته الخ .

(٢) فلان يتحوب من كذا : أي يترك الحوب ، وهو الإثم ، كيتأتم : أي :

يترك الإثم .

وصرة في صباه برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناس من كبره فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَفِيرُ      أَسِيرَ الْمَنَابِإِ صَرِيحَ الْعَطَبِ<sup>(١)</sup>  
 رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ      وَتَلَاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ<sup>(٢)</sup>  
 كَلَا الرَّجْلَيْنِ أَتْلَا قَتَلَهُ      فَأَيْكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ<sup>(٣)</sup>  
 وَأَيْكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ      فَإِنَّ بِهِ عَصَّةً فِي الذَّنْبِ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهاباً إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالي ذهاب عنك إلا إليك . وأورد العكبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جنى : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف . وقال : إن العنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستفير : الذى يطلب الفارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعاه ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وبأشر ، وغل : خان من الغلول : الحياطة فى المنام ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جيده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأياكما انقرد بجيد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهمك والسخرية ولمناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فهما تثنية لفظية ومعنوية فأصل « كلا » كل ، خففت اللام وزيدت الألف للتثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون التثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية والألف فهما كألف رحا

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :  
فِي كَلْتِ رَجُلِيهَا سُلَامِي زَائِدُهُ كَلْتَاهَا قَدْ قُرْنَتْ بِوَاحِدِهِ (١)  
فإفراده كلت يدل على أن كلتا ثنية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرأ ونصبا إذا  
أضيفت إلى الضمر ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما ، ومررت بكلتيهما ،  
فلو كانت الألف في آخرهما كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفها نحو رأيت  
عصاهما ومررت برحاهما . فلما اقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن  
ثنيتهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين : أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على  
اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كلتا الجبتين  
آتت أكلها » وكقول جرير :

كَلَا يَوْمِي أَمَامَةَ يَوْمِ صَدَّةٍ وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَّا لِمَامَا  
فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :  
كَلَاهَا حِينَ جَدَّ الْجَرِيُّ بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَمَا وَكَلَا أَنْفِيهِمَا رَابِي (٢)

(١) قيل : إن هذا البيت من رجز يصف به نعامة ، فضمير رجلها يرجع إلى  
النعامة ، والسلامي : عظم في فرسن البعير وعظامه صفار طول أصبع أو أقل في اليد  
والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير في كلتاها :  
للرجلين ، والمصراع الثاني : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة : أى من السلاميات .  
(٢) من أبيات للفرزدق في جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عبيدة  
ابن أخى امرأته وكان منقوص العضد فغلبها منه أى طلقها فقال الفرزدق :

مَا كَانَ ذَنْبُ التِّي أَقْبَلْتَ تَعْتَلَهَا حَتَّى اتَّحَمْتَ بِهَا أُسْكِفَةَ الْبَابِ  
كَلَاهَا . . . . .

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها دون القلوص ودون البكر والناب  
تعتلها : تجذبها جذبا عنيفا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفي رواية : ما بال  
لومكها أى لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة الباب : أى حتى أدخلتها عتبة بابك ،  
وكلاهما أى كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجرى : أى اشتد ، وأقلما : أى أقلما

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتيبي (\*) :

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً . وَأُمُّهُ الطَّرْطُبَةُ (١)

فقال : قد أقلما حملا على المعنى - وقال رابى حملا على اللفظ - وقالوا : الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى التثنية . فتقول : جاءني كلا أخويك ، ورأيت كليهما ؛ وكذلك حكم كلتا في المضمرة والمظهر ، فلو كانت التثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى التثنية لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للتثنية أنها تعال في قراءة حمزة والكسائي . وإذا أردت التوسع في هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب \* كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب وهو المشار إليه في القصيدة التي مدح بها دلبر بن لشكروز بالكوفة - وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوماً من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشرف الكوفة ، فامتنع منهم ، وأقبل يجاهر بشتهم ، فأرادوا أن يجيئوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها - أقول : ولولا أن يقال إننا تصرفنا في الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج - إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسيء الناس بنا الظن - لما أثبتنا هذه الأبيات التي ينبو بها السمع .

(١) يقول : ما أنصف القوم هذا الرجل إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا ، والطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر :

لَيْسَتْ بِقِتَاتَةٍ سَبْهَلَةٍ وَلَا بِطَرْطُبَةٍ لَهَا هُتْبُ (١)

عن الجري ؛ ورأى من الربو وهو النفس العالى المتتابع ، وهذا تمثيل يقول : إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرسين جدا في الجري ووفقا قبل الوصول إلى الغاية :

(١) القتاة النجوم من التت وهو النيمة والكذب الميأ ، ويقال للفارغ النشيط الفرح سهللا ، ووروى عن عمر أنه قال ، إنى لأكره أن أرى أحداً سهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة . وكل فارغ سهللا ، والهاب ما غلظ من الشعر .

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاغُوا أُمَّ غُلَيْبَةَ<sup>(١)</sup>  
 فَلَا يَمُنُّ مَاتَ فَضْرًا وَلَا يَمُنُّ نِيكَ رَغْبَةً<sup>(٢)</sup>  
 وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتَ رَحْمَةً لَا حَسَبَهُ<sup>(٣)</sup>  
 وَحِيلَةَ لَكَ حَتَّى عُدِزْتَ لَوْ كُنْتَ تَبِيهَ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا عَلَيْنِكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ<sup>(٥)</sup>  
 وَمَا عَلَيْنِكَ مِنَ الْقَدْرِ إِنَّمَا هُوَ سُوبَةٌ<sup>(٦)</sup>  
 وَمَا عَلَيْنِكَ مِنَ الْعَا رِإِنْ أُمَّكَ قَحْبَةٌ<sup>(٧)</sup>  
 وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ  
 مَا ضَرَّهَا مِنْ أُنَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُنْبَهُ

(١) يقال باك الحمار الأتان : نزا عليها ، والنوبة : النوبة جلهم كالحمير في غشياتها بفحش .

(٢) يقول : فلا تغر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإنما قلت ما أضفوك رحمة بك لما أصابك من القتل والعار لا محبة لك وغيره عليك . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالثأمة ، وليلحظ أن ضبة هذا من البناء بحيث لم ير للتنبؤ بدا من أن يسلك معه هذا السلك ، قد صرح باسمه . . . . . وأيضاً كان يكنى أن يقول ما أضف الناس ضبة وأمه الطرطة ، ولا يقول بعد ذلك : وإنما قلت رحمة لا محبة .

(٤) تيه بكسر التاء - مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبالي واكثره ، وتروى لو كنت تنبه . أي تعظن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يذرك الناس فيما أم بك إذا سمعوا قولي هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و(٦) و(٧) مافي الأبيات الثلاثة استقهام إنكارى ، وهى فى البيتين الأولين : ضمير الشأن ، والسبة : العار يسب به ، والقعبة : البنى ، والفاصلة الفاجرة . وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أهلك عار ، وإنما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها ، والندرسبة تسب به ، فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من جوار أمك .

وَلَمْ يَنْكُهَا وَلَكِنْ  
يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٍ  
وَقَلْبُهُ يَنْشَشِي  
لَوْ أَبْصَرَ الْجُدَعَ شَيْئًا  
يَا أَطِيبَ النَّاسِ نَفْسًا  
وَأُخْبِتَ النَّاسِ أَصْلًا  
وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمَّ  
كُلِّ الْفُعُولِ سِهَامٍ  
وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّاءُ  
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكِ  
يَا قَاتِلًا كُلِّ ضَيْفٍ  
عِجَانَهَا نَاكَ زُبَّةً<sup>(١)</sup>  
وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهُ  
وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهُ  
أَحَبَّ فِي الْجُدَعِ صَلْبَهُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَلَيْنَ النَّاسِ رُكْبَةً<sup>(٣)</sup>  
فِي أُخْبِتِ الْأَرْضِ تَرْبَةً  
تَدْبِيعُ أَلْفَا بِجَبَّةً  
لِمَزِيمٍ وَهِيَ جَبَّةٌ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ لِقَاءِ الْأُطْبِيَّةِ<sup>(٥)</sup>  
وَحُرْقِ عَيْرٍ خَطْبُهُ<sup>(٦)</sup>  
غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَةُ<sup>(٧)</sup>

(١) العجان : ما بين القبل والدبر . يقول : إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتصكه .  
(٢) هذا كناية عن الأير . يقول : لجه ذلك يجب أن يكون مصلوباً في ذلك الجذع .  
(٣) يقول : إنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أملت ركبته لكثرة البروك عليها .  
(٤) يريد بالفعول : الذين يفعلون بها ، فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام .  
(٥) يقول : إن الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يجب به . يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجبالاً له .

(٦) الهلوك : البقي الفاجرة . يقول : إن الفاجرة كالجرة المخطوبة إلى أهلها لافرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة .

(٧) غناه : هو غناؤه ، فقصره : أي يكفيه ضيغ وعلبة ، والضيغ : اللبن الممزوج بالماء ، والعلبة : قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يقول : إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراه ؛ ولو كان هذا الضيف صلوكا : يكتفى بقليل من الضيغ في علبة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ، ولو كان صلوكا لآمال معه يطمع فيه



وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَانَكَ اللَّيْلُ جَنَبَهُ (١)  
 كَذَا خَلِقَتْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُفَالِبُ رَبَّهُ (٢)  
 وَمَنْ يُبَالِي بِدَمِّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ  
 أَمَا تَرَى الْخَلِيلَ فِي النَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَةٍ (٣)  
 عَلَى نِسَائِكَ تَجَلُّو فَعَوْلَهَا مُنْذُ سَنَبِهِ (٤)  
 وَهَنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرُ نَ وَالْأَحْيِرَاحُ رَطْبَهُ (٥)  
 وَكَلَّ غُرْمُولٍ بَغْلٍ يَرِينُ يَحْسُدُن قُنْبَهُ (٦)  
 فَسَلْ فُوَادَكَ يَا ضَبُّ أَيْنَ خَلَفَ عُجْبَهُ (٧)  
 وَإِنْ يَخُنُّكَ لَعْمَرِي لَطَأَلْنَا حَانَ صَحْبَهُ (٨)  
 وَكَيْفَ تَرَعَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُعْبَهُ (٩)

(١) وخوف : عطف على قاتلا - في البيت السابق - أي ويا خوف كل رفيق الخ .  
 يقول : هو من الصدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .  
 (٢) يقول : إن الله خلقه مجبولاً على الصدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله  
 الله عليه لا يستطيع اناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يفال .  
 (٣) و (٤) السرية : الجماعة من الخيل ، وفعلها : كناية عن غرمولها . والسنبه :  
 الحين والقطعة من الزمان .

(٥) الأحيراح : تصغير أحرأح - جمع حر ، وأصله حرح - الفرج  
 (٦) القتب : وعاء القضب من ذوات الحافر .  
 (٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : أسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من  
 العيب والكبر ؟ يعني حين اختبأ وامتنع منهم بالحسن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .  
 (٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك - أي خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك  
 على الإقدام علينا خوفاً ورعباً - فلست أول من خانه قلبه ، لأنه تعود خيانة  
 أصحابه .

مَا كُنْتَ إِلَّا ذُبَابًا فَفَتَكَ عَنَّا مِذْبَةَ<sup>(١)</sup>  
 وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهَا فَصِرْتَ تَضْرِبُ رَهْبَةَ  
 وَإِنْ بَمَدْنَا قَلِيلًا حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرْبَةَ<sup>(٢)</sup>  
 وَقُلْتَ لَيْتَ بَكْنِي عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةَ<sup>(٣)</sup>  
 إِنْ أَوْحَشْتَكَ الْمَعَالِي فَإِنهَا دَارُ غُرْبَةَ<sup>(٤)</sup>  
 أَوْ آنَسْتَكَ الْمَخَازِي فَإِنهَا لَكَ نِسْبَةَ<sup>(٥)</sup>  
 وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كَرْبَةَ<sup>(٦)</sup>  
 وَإِنْ جَهَلْتَ مُرَادِي فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ<sup>(٧)</sup>

(١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جينا ما كنت إلا فذباباً طردناه بمذبتنا فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير في عنه وفي فيه : يرجع إلى العجب : يعنى كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالذباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جنى إلى أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .  
 (٢) يقول : وإذا جدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهذا مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطمن وحده والنزَّالاً

(٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الحيل : القصيرة الشعر ؛ والشطبة : الطويلة .  
 (٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك ، لأنك غريب عنها ، أما المخازي فإنك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقرباة .  
 (٦) يقول : إن مرادى أن أنه إلى ما فيك من الندر والشع ، فإن عرفت مرادى هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعتمن خلاك وقال ابن جنى يقول : أنت مع ما أوضحته من جهائك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت أنه جهاء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما قال الواحدى .

(٧) فان الجهل بك أشبه لأنك لست بمن يفهم .

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بِمَمَّتِهِ وقد توفيت ببغداد :

أَخِرُ مَا لِلْمَلِكُ مَعْرَى بِهِ      هَذَا الَّذِي أَثَرَ فِي قَلْبِهِ (١)  
لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ      أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ (٢)  
لَوْ دَرَّتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ      لَأَسْتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتَبِهِ (٣)  
لَعَلَّمَا تَحَسَّبُ أَنَّ الَّذِي      لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ (٤)  
وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارُهُ لَهُ      لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ (٥)  
وَأَنَّ جَدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ      مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ (٦)

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .  
(٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحية والاستنكاف ، وشابه خالطه .  
يقول : لم يؤثر هذا الحادث في قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحية والأنفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماه ويستبيح حرمة ويفتصبه من يعز عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علمت لما عرضت لشيء من أسبابه . وقد دل البيت التالي على ذلك .

(٤) يتندر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسقطت عليها .

(٥) الدرى : الكنف ، والغضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمته لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته ومن ثم اجترأت عليها ولم ترع حقه . ويروى : وأن حد الرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حرمة وطنه ، فمن لم يكن مستوطننا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ فَيُجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ (١)  
 لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ (٢)  
 يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ وَمَا أذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ (٣)  
 نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ (٤)  
 تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ مِ مِنْ كُنْبِهِ (٥)

(١) أجفل : أسرع في الهرب ، يقول : إني أخاف - إذ قلت هذا - أن تفتن أعداؤه إلى أن الأيام لا تزأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتغالهم بهزه .

(٢) يقول : لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ، ولو قال لن - بدل لا - لكان أحسن ؛ لأن لن تدل على التأييد .

(٣) يقول : ينسى الإنسان بتلك الضجعة تبه وإعجاب به نفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أى ينسى بتلك الضجعة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكره ما لا بد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَتَوَّا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لَتَبَسَى  
 وَأَصْلُهُ قَوْلُ مَتَمِّ بْنِ نُورَةَ :

فَمَدَدْتُ أَبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فَدَعَوْتَهُمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا  
 وَلَقَدْ حَطَّتْ وَلَا حِمْلَةَ أَنْفِي لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَانِي أَجْرَعُ ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزبه عن أبيه : «أما بعد» فإننا أناس من أهل الآخرة ، أسكننا في الدنيا أمواتاً وآباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب لمت يكتب إلى ميت يعزبه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها بما كسب الزمان لا من كسبنا نحن ، وقد فسر ذلك في البيت التالى ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان تناسق الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعاف رجوعها إلى أما كتبنا .

فَهَذِهِ الْأَذْوَاحُ مِنْ جَبْوِهِ      وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبِهِ (١)  
 لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى      حُسْنِ الَّذِي يَنْسِبُهُ لَمْ يَنْسِبِهِ (٢)  
 لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ      فَسَكَتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ (٣)  
 يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ      مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ (٤)  
 وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُصْرِهِ      وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ (٥)  
 وَغَايَةُ الْفُرْطِ فِي سِلِّهِ      كَفَايَةُ الْفُقْرِطِ فِي حَرْبِهِ (٦)

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف - هو الروح - وجوهر كثيف - هو البدن - فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؛ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب انفسية فيه ، لأن هذا إنما هو تفسير لشعر المتنبي حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق المستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأفزع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً في كل معنى من معاني الحياة فتقول : لو فكر الحريص التهاك على جمع المال في منتهى ذلك وأن مصير هذا المال إلى الزوال أو أنه مائت عنه لا محاله : لما تهالك على جمعه ، وهم . قال العسكري : وهو من قول الحكيم : النظر في عواقب الأشياء يزيد في حققتها ؛ والعشق عمى الحس عن درك رؤية المشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل « معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها .

(٤) قوله : في جهله وفي طبه ، حالان . يقول : إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلاً أم جاهلاً . فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعي الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمن على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لملمه وتقديره لضروب الأدوية وارتباط الأسباب بالسببيات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثيراً الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ في السلم واللودة كمن بالغ في الحرب والمعادة والتحرش بالخطر

فَلَا قَصَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ      فَوَادُهُ يُخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ (١)  
 أَسْتَفْغِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى      كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ (٢)  
 وَكَانَ مِنْ عَدَدِ إِحْسَانِهِ      كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ (٣)  
 يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعَمَلِ عَيْشَهُ      وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ (٤)  
 يُحْسِبُهُ دَافِنُهُ وَحُسدَهُ      وَتَجَدُّهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ (٥)  
 وَيُظْهِرُ التَّذَكُّرَ فِي ذِكْرِهِ      وَيُسْتَرُّ التَّأْنِيثَ فِي حُجْبِهِ (٦)

كلاهما إلى الموت . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقى أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفراط بتشديد الراء : قصر . وفي الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يهرب الموت ، يعني إذا كان لا امتدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ يحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهيابة الجبان . والضمير في رغبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من اللدح الذي يشبه التلم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أي لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعني للمرئية عمه عند الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فوائده وأياديه كان عنده كمن أسرف في سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب للعالي لا لحب العيش : فالضمير في عيشه : للمرتى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذي يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التي هي أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها في حبها وخدرها أتى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما مما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومساعيها — من طلب للعالي وإيثار المعروف وإغاثة للمهوف — فهناك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هي من شيم الرجال .

أُخْتُ أَبِي خَيْرِ أَمِيرٍ دَعَا      فَقَالَ جَيْشٌ لِلقَنَا لَبِّهِ <sup>(١)</sup>  
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا      أَبُوهُ وَالقَلْبُ أَبُو لَبِّهِ <sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ      كَانَتْهَا النُّورُ عَلَى قُضْبِهِ <sup>(٣)</sup>  
فَخَرًّا لِدهْرِ أَنْتِ مِنْ أَهْلِهِ      وَمُنْجِبٍ أَصْبَحَتْ مِنْ عَقْبِهِ <sup>(٤)</sup>  
إِنَّ الْأَسَى القِرْنَ فَلَا تُحْيِيهِ      وَسَيِّفَكَ الصِّدْرُ فَلَا تُنْفِيهِ <sup>(٥)</sup>

(١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، وله : أجييه ، يقول : هى أخت ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للمراح أجييه : أى يدعو الجيش فيجيه بالسلاح . ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة خير أمير دعاه جيش فقال للقنا: لب الجيش . يعنى أنه يجب الصارخ ويثبت للستيث .

(٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لها للثل بالقلب واللب — أى العقل — فجعل اللب مثاله والقلب مثلاً لأبيه ، والقلب ، وإن كان أبا اللب — أى مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حذف المتنبي ماجراً على هذا .

(٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين لآبائه ، وليسوا بزین له هو ، لاستغنائهم بمزية علائهم عن أن يزين بأبنائهم : يعنى أن أبناءك يزينون آباءك كما يزين النور القضب .

(٤) غرأ : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلية ؛ كما فى قولهم : تباً لزيد ؛ والمنجب : الذى يلد النجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول : ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، ليفخر أبوك الذى صار منجياً بكونك من عقبه .

(٥) الأسى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك ومائتك فى السن أو القوة والشجاعة ؛ ونبا السيف : إذا لم يقطع ويعمل فى الضريبة . يقول : إن الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه بإعانتها على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نايًا كليلًا . أى لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنْ بَدَرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ النَّقُودُ مِنْ شُبُهٍ (١)  
 حَاشَاكَ أَنْ تَضْمَنَ عَنِّ حَمَلٍ مَا  
 تَحْتَمِلُ السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ (٢)  
 وَقَدْ حَمَلْتَ الثَّقَلَ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنِّ سَعْبِهِ (٣)  
 يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ (٤)  
 مِثْلُكَ يَنْبِي الْحَزْنَ عَنِّ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنِّ غَرْبِهِ (٥)  
 إِيْمَا لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ إِيْمَا لِتَسْلِيمِ إِلَى رَبِّهِ (٦)

(١) جعله كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغي أن تتم لفقد أحدهم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .

(٢) أراد بالسائر : الذي حمل إليه الكتاب بوقاتها . يقول : حاشاك أن تضمن عن حمل ما أطاق حمله الرسول : أى إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وقاتها فأنت أشد إطاقة له ، قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالطة ، وإنما أراد تسكينه فتوصل إلى ذلك من كل وجه :

(٣) يقول : إنك قد حمات الثقيل من الأمور قبل هذا الحادث فأغنتك قوتك عن جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل اشقل إذا هجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال عتاب بن ورقاء :

وَجَرَهُ إِذْ كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَضْفِهِ عَلَى شَفَا

واللغى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء .

(٤) الإشفاق : الحوف والجزع ، والتلب ، الدم — ثلثه : فمه وعابه . يقول : إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبهه .

(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجرى الدمع . يقول : مثلك يقدر على صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .

(٦) إيماء : لئمة فى إيماء . يقول : يفضل ذلك إيماء إبقاء على فضله لتلايضح فضله بالجزع ، وإيماء لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .



وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَخْفِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهٍ<sup>(١)</sup>

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَاءَ لِفَيْرِ أَبِي  
مُمٌّ أَمْتَحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبٍ  
سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً  
مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ<sup>(٢)</sup>  
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَبِكَ بِهِ  
يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْتَقَى عَلَى اللَّقَبِ<sup>(٣)</sup>

- (١) يقول : لم أعن بقولي : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك . لأنك الفرد الذي لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .
- (٢) هذا البيت جواب لما في البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أي أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أي إنما قيل لك الذهبي لنهاب عقلك .
- (٣) ويك : هي ويك ، حذف اللام لكسرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبك به هو ملقب بك : أي أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملق على لقب — أي على عار وخزي — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التي أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغفر أسير المنايا سريع العطب

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي ، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض  
حِصَى مُنْصَرَفَه من مصر ؛ فاستفوى وردان عبيد أبي الطيب ، فحملوا يسرقون له  
من أمتعه ؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه  
وأمر النملان فأجهزوا عليه :

لَمَّا اللَّهُ وَرَدَانَا وَأَمَّا أَنْتَ بِهِ  
لَهُ كَسَبُ خَنْزِيرٍ وَخُرْطُومٌ ثَمَلَبٌ<sup>(١)</sup>  
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةٌ  
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هُنَّ عَرْسِهِ  
فَيَأْلُومُ إِنْسَانَ وَيَأْلُومَ مَكْسَبِ<sup>(٣)</sup>  
أَهَذَا اللَّذِيًّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ  
هُمَا الطَّالِبَانِ الرَّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ<sup>(٤)</sup>

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهي دويبة كريمة الريح .  
تألف الأماكن العذرة في البيوت - ولاتفاق الاسمين جملة كالخنزير في أكل العذرة ،  
ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب ، أنه نأى الوجه . فوجهه تخرطوم الثعلب ، وهو أنه  
ولمه ؛ ولجاء الله . قبحه ولمنه .

(٢) يقول : إن غدرة بي دلالة على أنه ورث العذرة من أمه وأبيه : يعنى  
أنهما كانا غادرين ، والعذرة موروث له . لاعتن كلالته ؛ وأحسن من هذا ما رواه  
ابن جني .

\* على أنه فيه من الأم بالأب \*

أى أن غدرة بي دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) المهن : الفرج - قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول - تجاهلاً واستهزاء - : أهذا هو الذى تنسب إليه بنت وردان -

لَقَدْ كُنْتُ أَنبِيَّ الْفَدْرَ عَنْ تَوْسِ طِيٍّ  
فَلَا تَعْدِلَانِي رَبِّ صِدْقٍ مُّكَذَّبٍ (١)

---

هذه الحشرة الحفيرة القذرة ؟ - ثم قال : هو وهي يلتمسان الرزق من شر مطلب : هي تطلبه من الحشوش - أما كن العذرة - وهو يطلبه من هن عرسه . والذيا : تصغير الذي (٣) التوس والسوس : الأصل . يقول : لقد كنت أقول أن طيئاً لا تعدر وأن آباءهم ليسوا بقدارين ، فلا تلوماني إن قلت : إن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيء . وقوله : رب صدق مكذب : يعني أنه كان صادقاً في نفي الغدر عن طيء وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء . يريد أنه صادق ، وأن وردان ليس من طيء .

## قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأَى خَاسِرًا مِّنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا  
فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ<sup>(١)</sup>

(١) الخلة : الحاجة والفقر ، ويقال : في الدعاء للميت : اللهم اسدد خلته : أى ائتمه الذى ترك . وأصله من التخلل بين الشيتين . قال الأصمى : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التى ترك بعده من الخلل الذى أبقاه فى أموره ، وفى المثل . الخلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرة . ورجل محل ومخل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبةٍ يقول لا غائبُ مالى ولا حرمُ

يعنى بالخليل المحتاج الفقير المحتل الحال ، والحرم : المنوع ، وقوله : من حيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج فى هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه . وقوله : فكانت قذى عينيه : أبرع كلمة فى معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع فى العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدى وقبله :

سأشكرُ عمراً ما تراخت منيتي أيا دى لم تمنن وإن هى جلت

ففى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت<sup>(١)</sup>  
قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوماً ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً رثاً - وهذا هو مغزى قوله : رأى خلتي من حيث يخفى مكانها \* فدعى وكيله وقال

(١) قوله سأشكر : فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيده ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه فى مزالق الدهر فلا يجد مراكباً بقيه مصرع السوء .

وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالاً :

لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هُمُ مَمَاتٌ لِحَيٍّ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ (١)  
وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْدَى بِشَيْءٍ جُفُونُهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتْ (٢)  
جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَتِيْفِي وَدَوْلَتِي (٣)

وقال في صباه عند وداعه بعض الأُمراء :

أُنْصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطِمَةَ أَخْلًا تَرَكَتُ بِهَا

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتًا (٤)

اقترض لنا مالا ، فقال: هيات . ما يعطينا التجار شيئاً . قال: فأربحهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم . فوجه بها إليه مع تحت ثياب فقال هذه الأبيات .  
(١) هم : مبتدأ ، وممات : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما هم الحرب والجلود ؛ فميت بقتاله الأعداء ، ويحيى بنوالة الأولياء .

(٢) هذا كارد على قوله : فكانت قذى عينيه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أي يتأذى بشيء — فمضى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها : أي أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئاً يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أي جزاه عن كل خير ، ونداه : أي جوده ، والغمر : الكثير ، وماء غمر : كثير مفرق ، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق : أي واسع الخلق كثير المعروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِضَحْكِكَ رِقَابَ الْمَالِ

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلاً . قال الجوهري : الكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أي صرفه وأذله ، وكبته : أي صرعه لوجهه . وفي القرآن الكريم « كبتوا كما كبت الدين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » وقال الفراء : كبتوا أي غيظوا وأحزنوا يوم الخندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحَلِي وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا<sup>(١)</sup>

وقال مرتجلاً يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي :

فَدَنَّاكَ الْخَيْلُ وَهِيَ مُسْوَمَاتٌ وَبِيضُ الْهَيْدِ وَهِيَ مَجْرَدَاتٌ<sup>(٢)</sup>

وَصَفْتُكَ فِي قَوَافِ سَائِرَاتٍ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتٌ<sup>(٣)</sup>

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلِ دُهُمٍ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتٌ<sup>(٤)</sup>

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، قلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكان الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبدهم فأحرقها. ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر بعباياك قصائدي التي مدحتك بها والتي غاظت أعداءك في الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها .

(١) نظرتك : أي انتظرتك ؛ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالي عنك ، وهذا وقت وداعي إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلاً للمدح ، أو تمنع وتحمم فتكون أهلاً للذم . وهذا كقول أحمد بن أبي فنن :

حَانَ الرَّحِيلُ قَدْ أَوْلَيْنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَحْوَجُ مَا كُنَّا إِلَى زَادِ

(٢) مسومات : مملات بعلامات تعرف بها . يقول : فدنتك الخيل والسيوف في

الحرب حتى تفتي هي وتبقى أنت ، إذ يبقى الخير لنا ما بقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير انقوافي ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصفتك

بقصائد كثيرة ، يد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أحط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدم : السود ، والشيات : جمع شية ،

وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس

من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود :

أوهي — أفعالهم — تزين بفعلك تزين الأدم بالغرة والتحجيل — كمال يقول

أبو تمام :

قَوْمٌ إِذَا سَوَّدَ الزَّمَانَ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغُودِرَ وَهَوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرْمَتُ ذَوَاتِهَا      ذَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقَلَّتِي      بَشْرًا رَأَيْتُ أَرْقَ مِنْ عِبْرَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 يَسْتَأَقُ عَيْسَهُمْ أَنِيبِي خَلْفَهَا      تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجْرَ حُدَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
 وَكَانَهَا شَجَرٌ بَدَتْ لِكِنِّهَا      شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ مَمَرَاتِهَا<sup>(٤)</sup>

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حتى لو أن الليالي صُوِّرتْ لَفَدَتْ      أفعالُه الغرُّ في آذَانِهَا شَفْنَا<sup>(١)</sup>

(١) السرب : القطيع من الظباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ محذوف : أى الذى اشتاقه أو أصفه مثلا ، وذواتها : صواحبها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت ربات محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عيني وطى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عني .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للمسير ، فكان بصري إذا وقع على بشرته رأى شيئا أرق والطف من دموع القلعة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهم عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمي : نشزا ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيت طول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للمقلة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنيبي خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفراتى أصوات الحداء تزجرها لتسرع ، فسائقها — على الحقيقة — أنيبي وزفراتى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

(١) الشنف كفسل — وحركة ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن

لَا سِرْتٍ مِنْ إِبْلِ لَوْ أُنِّي فَوْقَهَا  
 لَمَحَتْ حَرَارَةٌ مَدْمَعِي سِمَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 وَحَمَلْتُ مَا حَمَلَتْ مِنْ هَذِي الْمَا  
 وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ حَسْرَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 إِنِّي عَلَى شَفْنِي بِمَا فِي خُرْمَا  
 لَأَعْفُ عَمَّا فِي سَرَائِيلِهَا<sup>(٣)</sup>

يقول : كأن هذه الإبل شجر ، بيد أني جنيت الموت من ثمراتها ، لأنها كانت سبب فراق أحبه ، وروى ابن جنى : بلوت المر من ثمراتها . وبلوت : اختبرت وذقت وهذا من قول أبي نواس :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنِ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

(١) لا سرت : دعاء ؛ ومن إبل . تميز : وقوله لمحت : من الهو ؛ واللام : جواب لو . والمدامع في الأصل : مجرى الدمع من العين ، والمراد بها هنا : الدموع والسبات : جمع سمة ، وهي أثر الكي على الجلد . يدعو على الإبل أن لا تسير لأنها فرقت بينه وبين من يحب ، ثم قال : ولو كنت من ركاب هذه الإبل لكأنت حرارة دمى تمحو آثار وسمها ، وقوله : لو أني : حرك الواو الساكنة من لو بحركة الهمزة وحذفها وهو كثير مستعمل في كلامهم

(٢) الما : بقر الوحش ، والمراد : النساء للشبهات بالما لحسن عيونهن . وهذا دعاء أيضاً . يدعو أن يكون حاملاً ما حملته هذه الإبل من الحجاب ، وأن تحمل الإبل ما حملها هو من حسرات فراقهن .

(٣) الحجر : جمع حمار . وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، والسراويلات : جمع سراويل ، فارسي معرب ، وهو ذلك اللباس الذي يستر النصف الأسفل من الجسم . وقال سيويوه : سراويل واحدة ، وهي أعجمية عربت ، فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، فهي مصروفة في النكرة ، وإن سميت بها رجلا لم تصرفها ، وكذلك إن حقرتها اسم رجل ، لأنها مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف مثل عناق ؛ ومن النحويين من لا يصرفها في النكرة . ويزعم أنها جمع سروال وسروالة ، وينشد :

عَلَيْهِ مِنَ اللَّؤْمِ سِرْوَالَةٌ فليس يَرِقُ لِلسَّتْعَطِفِ<sup>(١)</sup>

(١) قيل : إن هذا البيت مصنوع وقيل قائله مجهول : قال السيرافي : سروالة : لغة في السراويل . وقوله من اللؤم : كان في الأصل صفة لسروالة . فلما قدم عليه صار حالاً منه واللؤم : شح النفس ودناءة الآباء .



وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالْأَبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا<sup>(١)</sup>

ويحتج في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف اثور الوحشي :

أَيَّ دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٍّ فِي سِرَاوِيلِ رَامِحٍ<sup>(٢)</sup>

قال صاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون للآزر تزيها لألفاظها عما يستشع ؛ حتى تغطي هذا الشاعر للطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندي أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الأصحاب على التنبي . . . ، وإنما قال للتنبي عما في سرايلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي . يريد للتنبي : إن مع حي لوجهن أعف عن أبدانهن ، ومثله لفظويه — أحد أئمة النحو وتليذ ثلمب — :

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهَا . . . . . وليس لي في خَنَا مَا بَيْنَنَا وَطَسْرُ  
وما أروع قول الباس بن الأحنف :

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظْرِ

(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول ترى ؛ وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والرووة والمروة الإنسانية ، والأبوة هنا الأئمة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والخوالة — وكان الأصمعي يروي قول أبي ذؤيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَةٌ حَى أَنْشَرْتَ أَحَدًا أَحَى أَبَوْتِكَ الشَّمِ الْأَمَادِيحِ  
وغیره برویه .

• أَحْيَا أَبَا كَنْ بِاللَّيْلِ الْأَمَادِيحِ

يقول : إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوۃ بالحسان فكأنها ضرائر لمن ، وقد زاد ذلك تبيانا في البيت التالي .

(٢) الضمير في دونها : لأتاه ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : اثور الوحشي :

قال القائل : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر في موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحشي :

ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم اثور الوحشي من الشعر بالسراويل — وهو من لباس القيس — ولذا شبهه بقى فارسي وشبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِمَايَ لَدَنِي      فِي خَلَوْتِي لَا اَلْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا (١)  
 وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ اَتَيْتُهَا      ثَبَتَ الْجَنَانَ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا (٢)  
 وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرْتُهَا      اَقْوَاتَ وَخَشِيَ كُنَّ مِنْ اَقْوَاتِهَا (٣)  
 اَقْبَلْتُهَا غَرَّرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا      اَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَاهِهَا (٤)  
 الثَّابِتِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا      فِي ظَهْرِهَا وَالطَّمَنُ فِي لِبَاتِهَا (٥)

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاته في خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعني أنه لو لم يكن للذة عواقب آتية يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والروءة والأنتة . قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهره تترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً أقول : وفيه شيخ المعرة إذ يقول : - وإن كان أعجب ولتفعل النفس الجميل لأنه خيرٌ وأفضلُ لأجل ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالي بالأخطار .

(٣) المقاب : جمع مقنب - الطائفة من الخيل تجتمع للقتال ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبي فتركته قوتاً للوحوش التي كانت قوتاً له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلمهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أي المقاب التي أهلكتها : يقال أقبلته الشيء : أي وجهته إليه وجعلته قبالة مما يليه ، والغرر : جمع غرة ، وهي البياض يكون في وجه الفرس ، والأيدي هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم للمدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيدى وفي يد العضو بالأيدى ، ولكن التنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع - في قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم وشفقت صدورهم منهم كأنها أيدي بني عمران المعتادة التقبيل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أي جعلته يقبلها . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحذق بركوب الخيل ، يقول : إنهم يثبتون في ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمة الحرب والطمعن متابع في لباتها ،

العَاصِرِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِهَا (١)  
فَكَأَنَّهَا نُسِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا (٢)

وفروسة أى — أى حدقا — تميز ، والتابطين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والطنن — بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يشبتون فى ظهورها ثبوت الطنن ؛ والتقدير: كجلودها وكالطنن : واللبات جمع لبة ، وهى النحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أماتها : أى والذين ركب جدودهم أماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوانك وذها أخواك ، والأمات : جمع أم لما لا يقل ، وتجمع للعائل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدي : والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنها من تتأبجهم تناسلت عندهم ، فجدود المدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسياق الآيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لاخليل المدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل المدوحين فإنهم يقودون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : والذى عندى أنه يصف معرفتهم بالخيول ولا يعرفها إلا من طال مراسمها ، والخيول تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ما وقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس فى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد المدوحين . والجياد تعم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبوا الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة :

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرفُ العُربُ زجر الشاء والعكر  
« العكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل . »

(١) هجبت — بالبهاء للمجهول — ولدت ، قال الأزهري : يقال نسجت الناقة إذا ولدت فى منتوجة ؛ وأتجت إذا حملت ، فهى تتوج ، ولا يقال متج ، ونسجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناجج للإبل كإقابلة للنساء ، وعبرة الجوهري فى الصحاح : نسجت الناقة على

إِنَّ الْكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ      مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُؤْدَاوَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
تِلْكَ النَّفُوسُ النَّالِيَاتُ عَلَى الْعَلَى      وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
سَقَيْتَ مَنَابِتَهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى      بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

مالم يسم فاعله تتج ، وقد تتجها أهلها : تتجا . قال السكيت :

وقال المذمرُ لِلنَّاسِجِينَ      مَتَى ذُمِّرَتْ قَبْلِي الْأَرْجُلُ<sup>(١)</sup>

والتتوج من الخيل وجميع الحافر الحامل ، وقد أتجت . وبضمهم يقول : تتجت ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابي فقد قال تتجت الفرس والناقة : ولدت وأتجت : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله - ولم أسمع تتجت ولا أتجت على صيغة فعل الفاعل .  
والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الخيل ولدت تحتهم قائمة مستعدة للجري ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الخيل .

(١) السويداوات جمع سويداء - حبة اقلب - يقول . إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالتقلب دون سوداء . وقال بعض الشراح : ينى أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحزرونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد بمنابت هذه النفوس : آباء المدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك للنبات : يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض ، وجعل النبات يسقى للنبات على عكس العادة تفننا وإغرابا في الصنعة . يقول : إن آباء المدوحين الذين أحيوا الناس بمجودهم قد حي مجدم بمجود هذا المدوح الذي هو خير أبنائهم . وروى بدل بيدي : بندي - بالنون - وعبرة ابن جنى : لا أزال لله ظله عن أهله وذويه . قال ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعظاته .

(١) المذمر : الذى يدخل يده فى حياء الناقة لينظر أذكر جنتها أم أنثى ؟ سمى بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو . والمذمر : هو الكاهل والحق وما حوله إلى الذفرى . وهو الذى يذمره المذمر . يقول السكيت : إن التذمير إنما هو فى الأعناق لافى الأرجل .

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاقِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَاةِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 عَجَبًا لَهُ حِفْظُ الْعِنَانِ بِأَنْمُلٍ مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ مَرَّ يَرَى كُضُّ فِي سَطُورِ كِتَابَةٍ أَحْصَى بِمُخَافِرِ مُنْهَرِهِ مِنْجَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
 يَضَعُ السَّنَانَ بِمَحِثُ شَاءَ مُجَاوِلًا حَتَّى مِنْ الْأَذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا<sup>(٤)</sup>  
 تَكْبُورُ وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحَدٍ قُرْحُ  
 لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَاتِهَا<sup>(٥)</sup>

- (١) يقول : لسنا نتعجب من كثرة عطاياه وواهيه ، وإنما نتعجب كيف سلمت أمواله من بذله وتفريقه إلى وقت بذلها ؟ إذ ليس من عادته أن يمك شيئا .
- (٢) العنان . سير اللجام ، وروى : حفظ العنان : بإضافة حفظ إلى العنان ، والبيت في معنى البيت السابق : يتعجب منه كيف حفظ العنان بأهل ماعاداتها أن تحفظ الاشياء ؟ يريد أنه شجاع يكثر ركوب الخيل في الحرب ، وأنه جواد معطاء .
- (٣) يصنف بالفروسية ، وأن فرسه يطاوعه في جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث أراد ؛ وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من سائر حروف الهمج .
- (٤) مجاولا : من الجولان ، وروى محاولا : من المحاولة . وهي الطلب والأخوات : جمع خرت ، وهو الثقب . يقول : إنه من الحدق في الطمن بحيث يضع رجمه في ثقب الأذن متى أراد .

(٥) القرخ : جمع القارخ من الخيل ، وهو ما أتى عليه خمس سنين ، وهو إذ ذاك يكون في جن نشاطه وقوته . والضمير في آلاتها : يعود إلى القرخ : أى أن قوائمه لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقت ، وهذا مثل . يقول : إنك سبقت الناس في المكارم ، فإذا أراد غولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك ولم تستطع اللحاق بك لصعوبة مسالكك . ولك أن ترجع الضمير - من آلاتها - إلى وراء ، وهي مؤنثة أى ليست قوائمه من آلات الجرى وراءك . وإليك عبارات الشراح ، قال ابن جنى : لو تبعتك هذه القرخ لكبت وراءك ولم تحملها قوائمه لصعوبة مسالكك . وقال الواحدي : يجوز أن تكون الهاء عائدة إلى القرخ : أى أنها إذا تبعتك لم تعنها قوائمه فليست من آلاتها ، وهذا مثل ، يريد أن الكبار والفحول إذا راموا لحاقتك في مدى الكرم : غثروا وكبوا ولم يلحقوك ، والمعنى أن سيدك في العلى يخفى على من تبعتك فيعثر وإن

(٢٣ - النبي ١)

رَعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
لَا خَلْقَ أَنْتُمْحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ  
بِكَ رَاءَ نَفْسِكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا<sup>(٢)</sup>

كان قويا كالتقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك : أى ليست مما يكون خلفك فتطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهتزاز والاضطراب ؛ والقنوات - جمع قناة - الرمح . يقول : إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهتزاز في رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمع منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبي تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله

وإليك تحفة نحوية للعلامة العكبرى أوردها مناسبة قول المتنبي : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التي مع لا مبنية على الفتح كقولك لا رجل في الدار ، وتقديره : لا من رجل ، فلما حذف «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات . وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحببتنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير في قولك : لا رجل في الدار ، أى لا أجد رجلا ، فأكتفوا بلا : من الفعل العامل ، كقولك : إن قتلت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ، ووجه آخر : أن «لا» تكون بمعنى غير : كقولك زيد لا عاقل ولا جاهل : أى غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما أعملوها نصب لأنهم لما أولوها بالنكرة - ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغيير . كما رفعوا النادى بغير تنوين لما حدث فيه من التغيير . . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى

غَلَّتِ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ تَرْتِيكَ الشُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
كَرَمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلاً  
وَيَبِينُ عِتْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
أَعْيَا زَوَالِكَ عَنْ مَحَلِّ نَلْتَهُ  
لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، وللرأة هاتي بالياء وللرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مهاتاة ، وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل : أصل هات من آتى يؤاتى . فقلبت ألف هاء .

(١) غلت : هو غلظ ، يقال في الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر - بفتح العين - الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل : التبيين في القراءة وبآية : متعلق بظلت ؛ وترتلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استئنافية . يقول إن الذى عد أعشار القرآن قد غلظ وفاته آية لم يعدها ، وهى ترتلك للسرور ، فإن هذا الترتيل معجزة في الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات يبنى أن تلحق بآيات الترتيل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) مائلا : ظاهرا ؛ والعتق : الكرم ؛ وعتقت الفرس تعتق وعتقت عتقا : سبقت الخيل فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل متاق الوسيقة إذا طرد طريدة سبق بها وأنجأها ، وفرس متاق الوسيقة . قال الأصمى : وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجأها وسبق بها . قال أبو المثلث يرثى صخرا :

حامي الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة لانكس ولا واني

« الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا سهل عرف عتقه بصهيله . وإنما يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعيا الشيء : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر في علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزايه ،

لَا نَعْدُلُ الرَّضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ  
أَنْتَ الرَّجَالِ وَشَائِقٌ عِلَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
فَإِذَا نَوَتْ سَفْرًا إِلَيْكَ سَبَقْنَا فَأَصَفْتَ قَبْلَ مُضَائِفِهَا حَالَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
وَمَنَازِلُ الْحَمَى الْجُسُومُ قَقْلٌ لَنَا مَا عُدْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
أَعْجَبْتَهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمَلِ الْأَعْضَاءَ لَا لِأَذَاتِهَا<sup>(٤)</sup>

كما أن القمر لا يزال هائته . قال النراج : وجمع القمر - وإن كان في المعنى واحداً - باعتبار ظهوره في كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شاقه : حمله على الشوق، وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاتها . يقول : لاناوم المرض الذي ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاتها : يعني أن المرض الذي بك لا يلام على إسمائه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاتها أيضاً ، فهي تزورك مثلهم وتنقل إليك عنهم شوقاً إليك . قال العكبري : وقد كان المدوح مريضاً حين مدحه المتعب بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاتها فجاءت قبلها شوقاً فأصفت حالات الرجال - أي علاتها المذكورة - قبل أن تصيفهم ، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروى بدل سبقتها - بالنون - سبقتها - بالياء - يعني إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقتها بإضافة أحوالها قبل إصافتك إياها : يريد إقامة العذر للمرض الذي نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً ، فكأنك ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أي أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك - الذي هو أفضل الأجسام - وألمت بغيره فما عذرهما في ذلك ؟ «هذا» ويقال حمى وحمه . قال الضباب بن سبيع لعمرى لقد برّ الصُّباب بنوهُ و بمض البنين حُمَّة وسُعَالُ

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأيت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتأمل أعضائك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأداة : مصدر



وَبَدَلَتْ مَا عَشِقْتَهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَدَلْتَ لَهُدِهِ صِحَّتَهَا<sup>(١)</sup>  
حَقُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ  
وَتَمُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
وَالْجِنُّ مِنْ سُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ فَلَواتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وَكُنَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً  
كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْبَاتِهَا<sup>(٤)</sup>  
فِي النَّاسِ أَمْثَلَةٌ تَدُورُ حَيَاتُهَا كَمَا تَهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا<sup>(٥)</sup>

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتأمل الأعضاء لا لتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحمى ، والضمير في صحتها للنفس . يقول : إنك بدلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بدلت لهذه الحمى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء بحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك في العلو ، وكذلك الأسود لأنها تشبهك في الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الأسود . يقول : إن جميع هذه الأجناس تألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عبادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع سترة ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهري في جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر في عش ، والوكر - بالراء - ما كان في غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة - بالضم - مواقع الطير حينما وقعت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمكن ، ووكن انطائر : دخل في الوكن ووكن يفضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت - دون سائر الناس - بالناب والمحمد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع البتكر الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال - أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ . وكمياتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس في الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كمياتها : فى أنه لاغناء فيها ولا نفع ، ومماتها كمياتها : فى عدم اللبالة به .

هَبْتُ النُّكَاحَ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا

حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النَّسَاءِ بِنَاتِهَا<sup>(١)</sup>

فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ مَلَكَ الْبَرِيَّةَ لَأَسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا<sup>(٢)</sup>

مُسْتَرْخَصٌ نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رَجُلِهِ بِدِيَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) يقول : خفت - إن تزوجت - أن يكون لى نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أتزوج واحدة منهن .
- (٢) يقول : لو كانت الخليقة ملكا له ثم وهبها لا ستقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لا ستقلها . والبرية : الخلق تقول : براه الله يبروه بروا أى خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من برا الله الخلق يبرؤم : أى خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .
- (٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترخص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترخص وعثرة رجله : روى بدلها غير رجله : أى غبار رجله . والديات : جمع دية فمن دم القتل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التى بها لكان رخيصاً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصاً أيضا : أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .

## قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس وركب  
قاصداً سمندو :

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدِ أَرِيحَ      وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أُجِيجُ<sup>(١)</sup>  
تَبَيْتُ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ      وَتَسْلَمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ<sup>(٢)</sup>

(١) الأريح : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار توج  
وتتج أجيجا. وكذلك ائجت : على افعلت ، وتأججت ؛ وقد أججها تأججاً ، وأجج  
بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضيء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقاً :

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشَفًا      أَعْرَ كَمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أَجُوجُ<sup>(١)</sup>

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أبناء طيبة تسر الأولياء ،  
ونار حرب يضطرم لهيها على الأعداء ، وعبارة ابن جني : يأتي خبر طيب يسر المسلمين  
ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العقيقات ؛ وتروى الحواصن — أي النساء الرييات لأطفالهن —  
وتروى : الحواصر — أي نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب  
تأمن بها النساء من السبي ، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر  
عليهم ، فالضمير في مسالكها : للحجيج ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز  
وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويحتمون في مجلس — وللعادين  
على أقدامهم عدى ، والضمير في بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

(١) يصف سبحانه متابعا ؛ والهاء في سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن  
البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء في سناه ، ورواه الأصمعي  
راتق متكشف ، فجعل الراقق : البرق .

فَلَا زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَائِسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيجُ<sup>(١)</sup>  
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعْبَيَاتٌ وَأَنْتَ بَغِيرِ سَيْنِكَ لَا تَعِيجُ<sup>(٢)</sup>  
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُنْفِرُ مِنْ يَمِينِهِ  
إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ<sup>(٣)</sup>

(١) المهيج : الذي هاجه غيره ؛ وفرائس : خبر زالت . لما ذكر الأسد استعار له الفرسة فقال : لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك في حيثما كانت .

(٢) لا تعيج : لا تبالى . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم . فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رحماً ، فحرفه وجاء إليه وسأله وأنشده . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لا تبالى إلا بسيفك . يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبته ، وأنه شجاع لا يبا إلا بسيفه ، هذا . ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأهم تعبئة ، وقد يترك الهمز فيقال عبئهم تعبئة : أى رتبهم في مواضعهم وهياتهم للحرب ؛ وقد قلنا : لا تعيج بمعنى لا تبالى . قال صاحب اللسان : العيج شبه الاكتراث ، وأنشد :

وَمَا رَأَيْتُ بِهَا شَيْئاً أَعْيَجُ بِهِ إِلَّا التَّمَامَ وَالْإِمْرَاقَةَ النَّسَارَ

قال ابن سيده : ما عاج قوله عيماً و عيجوجة : لم يكثر له أو لم يصدق ؛ وما عاج بالدواء عيماً : أى ما انتفع ، وما أعيج من كلامه شئ . : أى ما أهاب به ؛ وبنو أسد يقولون ما أعوج بكلامه : أى ما ألقت إليه ؛ أخذوه من عبت الناقة . ويقال : ما عجت بخبر فلان ، ولا أعيج به : أى لم أشتف به ولم أستيقنه . قال ابن العلاء : العياج الرجوع إلى ما كنت عليه .

(٣) يسجو : يسكن تموجه ، قال تعالى « واللبلب إذا سجا » أى سكن بالناس ، ومنه البحر الساجى ، قال الأعشى :

فَاذْئَبْنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبِحُرُوكِ سَاجِ لَإِيوَارِي الدَّهَامِصَا<sup>(١)</sup>  
وليلة ساجية : إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة .

(١) الدهاميص والدهاميص : جمع دحموص : دوية صغيرة تقوص في الماء ، وكثيراً ما تكون في المستنقعات .

بأرض تَهْلِكُ الأَشْوَاطُ فِيهَا  
 إِذَا مِلْتِ مِنَ الرَّكْضِ الفُرُوجُ<sup>(١)</sup>  
 تَحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا  
 فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ المَلُوجُ<sup>(٢)</sup>  
 أَبالْفَعْمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى  
 وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ البُرُوجُ<sup>(٣)</sup>  
 وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلْتُهُ صَدُوقُ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا لَاقَى وَغَارَتُهُ جُلُوجُ<sup>(٥)</sup>  
 نُوذُهُ مِنَ الأَعْيَانِ بِأَسَا  
 وَيَكْتُرُ بالدُّعَاءِ لَهُ الضَّحِيحُ<sup>(٥)</sup>

قال الحارثي :

يا حبذا القمراء والليلُ الساجُ وطُرُقٌ مثلُ مُلاءِ النَّسَاجِ  
 وامرأة ساجية : فاترة الطرف . وهو معنى حسن في النساء ؛ وناقاة سجواء : ساكنة  
 عند الحلب ؛ وسجى الميت غطاءه ، والتسجى : التغطى ، من الليل الساجي ، لأنه يغطى  
 بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك ؟ وضرب  
 هذا مثلاً له اسأراه يدير رمحاً بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .  
 (١) الشوط : الطلق من العدو ، قال في اللسان : الشوط الجري مرة إلى غاية ؛  
 والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : ما بين قوائم الفرس . يقول :  
 عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطلوها  
 (٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب ، والضمير من فيها للأرض ؛ والملج : الجافي  
 الغليظ من كفار العمم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض  
 فتفديه أصحاب الملوج إذ تمنيم وتستأصلهم .  
 (٣) الفعمرات : الشدائد . يقول : أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا تثار قهراً  
 كما لا تثارق النجوم منازلها .  
 (٤) لج في الأمر لججاً ولجاجاً ولجاجة : تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول :  
 وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، ماجبن وما خام عن اللفاء  
 وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا يثنى حتى يستأصلهم ويهصف بهم .  
 (٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد اللدان :

رَضِينَا وَالذُّمُّسْتَقُ غَيْرُ رَاضٍ  
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيحُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ رُزْنَا تَمَنِّدُو  
وَإِنْ يُجْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ<sup>(٢)</sup>

ولكنني أغدو على مفاضة دِلاص كَأَعْيَانِ الْجِرَادِ الْمُنْظَمِ<sup>(١)</sup>  
وبأسا : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له - أى لبأسه - كما تقول نعوذه بالله  
حسنا : أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأسا أى خوفا - من قولهم لا بأس عليك - وهو  
أصح في التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه  
العيون لدى رؤية بأسه ، لأننا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الـدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيح :  
عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشتبكة ،  
وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيج . يقول : رضينا بما حكمت به السيوف  
والرماح في الحرب ، ولكن الـدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر  
فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الـدمستق  
مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضينا .

(٢) ممتدو : قلعة بالروم يقال هى المروفة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج  
القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلادنا ، وإن هرب وخام عن  
لقاتنا لحقناه إلى الخليج .

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .

## قافية الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أذنى أبْنَسَامٍ مِنْكَ تَحْمِيًا الْقَرَأْمُ  
 وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحِ<sup>(١)</sup>  
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا  
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَدْ تَقَبَّلُ التُّذْرَ الْحَنِيَّ تَكْرَمًا  
 فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهُوَ وَاضِحُ<sup>(٣)</sup>

(١) القراءم : الطباع - يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكي الطبع ؛ وجيد القرحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القرحة : خالص الفريزة - من قولهم ماء قراح : أى خالص - وقرحة البئر : أول ما يخرج من مائها ؛ ورجل قرحان : إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء - اليدان والرجلان والعينان وانهم والأذن - وسميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوا . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضاها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟

(٣) تكرما : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الحنى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَإِنْ مُحَالًا - إِذْ بَكَ الْعَيْشُ - أَنْ أُرَى  
وَجِسْمُكَ مُتَعَلٌّ وَجِسْمِي صَالِحٌ (١)  
وَمَا كَانَ تَرْكِي الشُّفْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ  
تَقَصَّرَ عَن وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَدَائِحِ  
وقال في صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلاماً :

أَنَا عَيْنُ الْمَسُودِ الْجَحْجَاحِ هَيِّجَتْنِي كَلَابِكُمْ بِالنَّبَاحِ (٢)  
أَيَكُونُ الْمُهْجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحٍ (٣)

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تتعل في علتك . وهذا من قول أبي تمام :

وَإِنْ يَجِدُ عِلَّةً نَعَمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ فِي مَرَضِهِ  
قال العكبري : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على  
البتداء والخبر ، ولا يجوز أن يكون البتداء نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها .  
(٢) للسود : الذي جعله قومه سيذا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛  
وجمع الجحجاج ججاج ، قال الشاعر :

ماذا يبدر فالتفتنقل من مرآة ججاج  
وإن شئت ججاج ، وإن شئت ججاج ، والماء عوض من الياء المحذوفة لا بد  
منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع في الحقيقة : ججاج ، لا الججاج ،  
وإنما حذفت الياء من البيت - ماذا يبدر الخ - ضرورة قوله ابن بري . يقول : أنا نفس  
الججاج - السيد الكريم - أثارتنى وأغضبتني سفهاؤكم بسفها . ولما سماهم كلاباً  
سمى كلامهم نباحا . ويروى - بدل هيجتني - هجتني : أي تسبتني إلى الهجنة . بدل  
على ذلك البيت التالي .

(٣) المهجان : الرجل الكريم الحسب النقي ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجان  
وهي الكريمة الحسب التي لم تترق فيها الإمامة تعريفاً . وقول على كرم الله وجهه :  
هذا جنائى وهجانه فيه إذ كل جان يده إلى فيه  
معناه : خياره وخالسه ، وأنشد أبو الهيثم :



جَهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا نَسَبْتَنِي لَهُمْ رُمُوسُ الرَّمَاحِ (١)

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنُ الشَّيْحُ (٢)

وإذا قيل من هِجَانٍ قَرَيْشٍ كُنْتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهَيْجَانُ  
وكل ذلك مأخوذ من الإبل ؛ والهيجان من الإبل : البيض الكرام . قال عمرو ابن  
كلثوم في معلقته :

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءُ بَكْرٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا  
« يصف امرأة يقول : تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد  
بعد ، بيضاء اللون ، قوله : لم تقرأ جنينا : أى لم تضم في رحمها ولدا » .  
قال أهل اللغة : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ؛ يقال : بعير هجان وناقة هجان ،  
وربما قالوا : هجان . قال ابن أحرر :

كَأَنَّ عَلَى الْجِمَالِ أَوَانَ خَفَتْ هِجَانٌ مِنْ نِعَاجِ أَوَارِعِينَا  
والصراح : الخالص النسب . يقول : إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم  
وغير خالص النسب : يعنى أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه : لأنه ذكر في البيت الأول  
شكواه من السفهاء واللثام ، وذكور في هذا البيت أن سفهم لا يقدرح في نسبه ولا يغيره .  
(١) يقول : إن أولئك العائنين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى ، فإن عشت قليلا  
عرفتهم الرماح نسي ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعددهم ويهددهم بالقتل . وهجارة  
الواحدى : يحتمل أنه أراد إذا طاعنتهم ورأوا حسن بلائى استدلووا بذلك على كرم نسي .  
(٢) الجلل : الأمر العظيم ؛ وجللا : خبر « فليك » مقدم . والتبريح : الجهد والشدة ،  
والرشأ : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وهو من أوصاف الأطباء . والشيح  
نبات طيب الرائحة . يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ماحل بي وإلا فلا ثم قال :  
أتظنون غداء من فعل بي هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غداؤه  
قلوب العشاق ينحلهم ويهزلم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم :

يَرَعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعَى السِّفْزِلَانُ فِي الْبَيْدَاءِ شَيْحَهُ

هذا : - وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أورده . قال العكبري : يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا - تعظيماً لما هو فيه من الشدة - وتم الكلام هنا ، ثم استأنف قولاً آخر متعباً من حسن المشبه أي كأنه ظبي في حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس !

فميناك عيناها وجيدك جيدها ولكنَّ عظم الساق منك دقيقُ  
وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشا الذي يهواه إنس لا وحش فيغذى بالشيخ ، وقال ابن جنى : المصراعان متباينان ، فذلك أفرد كل واحد بمعنى ، وقال أصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولفه وشغفه عن تقويم خطابه ؛ كقول جبران العود :

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْدَعِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بِالْبَيْنِ مَشْفُولُ  
ثُمَّ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوَى لِأَبْنَيْهِ إِثْرَ الْحُمُولِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ<sup>(١)</sup>

(١) جاء في اللسان والقاموس وشرحه : جبران العود شاعر من نيمر قال الجوهري : واسمه المستورد ، وقد غلظه الصاغاني . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث - وهو شاعر إسلامي - ولقب بذلك لقوله .

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالتَّحِيْتُ جَرَانَهُ وَلَلْكَيسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ  
خُذَا حَذْرًا يَاخُلَّتِي فإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلِحُ  
يخاطب امرأته . وأراد بجران العود - والعود البعير المسن - سوطاً قده من جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب مايكون ، ليضرب به امرأته ، وكاتنا قد نثرنا عليه . والجران . باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتحيت أخذت ؛ والكيس ، حسن الثأني في الأمور ، وباخلتي يروي يا جارتني ؛ وقوله فإني الخ : يقول : فإني رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الخ فالبرذعة المجلس الذي يلقي تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبرذعة ، ومستوهل . فازع ، واغترزت . وضعت رجلي في الغرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذي أنضاه السفر ، والحمول . الإبل ، ومعقول : أي لم يحلل عقله دهشاً .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفي كلامه ما يدل على ولوه بما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

\* قف بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدَمَ

ثم قال :

\* بلى وغيّرها الأرواحُ والديمُّ \*

وقال القاضى الجرجاني : بين المصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشا الذى شكله على شكل الغزلان فى غذائه . وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها وسكون اثناء فى التبريح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئاً » وقوله :

لم يَكْ شَيْءٌ يَا إلهى قبلَكَ

لأنها قد ضارعت بالهجر والسكون والفتنة حروف المد محذفت كما تحذفن وهى هنا فى قول التنبي قوية بالحركة ، لأن سيلها أن تحرك ، فكان ينبغى أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد بالحركة فى اننون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لم يَكْ الحَقُّ سوى أن هاجَهُ رَسَمَ دار قد تعفى بالسرَرِ (١)  
وقد حذف النون من لكن فى الشعر ضرورة ، أنشد سيويوه .  
فأنتُ بآتيه ولا أَسْتَطِيعُهُ ولاكِ اسقِنِي إن كان ماؤك ذا فضل (٢)

(١) جاء فى لسان العرب أنه للحسن بن عرفطة ، جاهلى ، والسرر لعله يريد الموضع الذى هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بآتيه ما وقفتُ والركابُ وبين الحُحُونِ وبين السرَرِ  
(٢) للنجاشى الشاعر وقوله :

وماء قديم العهدِ بالوردِ آجِنِ يُخالِ رُضاباً أو سلافاً من العسلِ  
لقيتُ عليه الذئبُ يعوى كأنه ضَلِيعٌ خلا من كل مالٍ ومن أهلِ

لَعِبَتْ بِمِشِيَّتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ  
صَنَامًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ (١)  
مَا بِالْهُ لَأَحَظَّتْهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُوَادِيَّ لِلْجُرُوحِ (٢)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبريح. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا، لأن من قال في بني الحرث بلحارث لم يقل في بني النجار بنجار... والأغن الذي في صوته غنة، وهو صوت من الحيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب، وفي أصواته غنة؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذي صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مغصب معشب؛ وأغن السماء: إذا امتلأ ماء.

(١) الشمول: الحمر. يقول: إن الحمر رنحته فتأيل في مشيته وزادت في حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح. وفي هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن: ظَلَلْنَا بِأَيْدِينَا نَتَمَتِّعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنَّا أقدامنا الحمرُ ثارها وقد جرت عادتهم بأن يتهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصورها أبدعوا في تجميلها وانتوا في تزويقها حتى صاروها كأنها الجمال مائلا. ويروى بدل - وغادرت - وجردت: أي سيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه. هذا: وإنما سميت الحمر شمولا؛ قيل لأنها تشمل بريحتها الناس؛ وقيل شبهت بالنمال من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف الشمال. (٢) يقول: إن فؤادي هو المجرع بنظري إليه، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادي هو الأثمد بذلك؟ وفي هذا المعنى يقول كشاجم:

قللت له يا ذئب هل لك في أخى يواسى بلا من عايك ولا بجمل  
فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأته سبع قبلي  
فلست بآتيه . . . . .  
(البيت)

والعسل: جمع عسل كأعمال. والضليع: القوى الشديد؛ والمعوج، والضروب في ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.

وَرَمَى وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابَنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسَّهَامُ تُرْمَعُ (١)  
 قَرُبَ الْمَزَارِ وَلَا مَزَارَ وَإِنَّمَا يَنْدُو الْجَنَانَ فَتَلْتَقِي وَيَرُوحُ (٢)  
 وَفَشَتِ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفَّنَا تَعْرِيفُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِیحُ (٣)

أَرَاهُ يُدَمِّي خَدَّهُ وَهُوَ جَارِحِي بِعَيْنَيْهِ وَالْمَجْرُوحُ أَوْلَى بَأْنِ يَدَمِي  
 وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . برید احمرت خجلا ، وأصله من انضرج : إذا  
 انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفي انضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة  
 يصف نساء :

• ضَرَجَنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرْمَةٍ •

أى شققن . وتضرج الثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تضرج من اللذء : أى  
 تنشق ؛ ومنه انضرجت له الطريق : أى اتسعت ؛ وانضرج ما بين القوم : تباعدا بينهم ،  
 وتضرجت عن البقل لثاقته : إذا انتحلت .

(١) كان الوجه أن يقول : ومارمت يدها ولكنه على لغة من يقول قما أخواك ،  
 وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهم للوروفة تقتل  
 قتریح ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب .  
 يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ، ولكن لاصيل إلى الزيارة خشية الرقباء ،  
 وإنما تلاقى بالقلوب ، فيندو قلبى إليك وروح أى أنك ذكرك فامتلك فى قلبى ؛ فكأننا قد  
 التقينا - كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنَّمَا لَمْ نَلْتَقِ  
 ومثله لأبى الطيب :

لَنَا وَأَهلِهِ أَبْدَاءُ قُلُوبٍ تَلْقَى فِي جُسُومِ مَا تَلْقَى  
 (٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتومة . وشفه : أخفه . يقول : إن كتمان الهوى  
 اقتصارنا فيه على التعريف قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزلنا البادى على ما تجبه الضلوع من  
 الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهِنَّ طُلُوحٌ (١)  
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا  
حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينِ قَبِيحٌ (٢)  
فَيْدٌ مُسَلَّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ  
وَحَشَى يَذُوبٌ وَمَدْمَعٌ مَنُفُوحٌ (٣)  
يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لِأَنْبَرِي  
شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنْوُحُ (٤)

(١) الحمول : الأجمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التي حملتها ، والطلوح : جمع طلع ، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوداج . يقول : لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحرزناً .

(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

وقد كان يذعي لابس الصبر حازماً فأصبح يذعي حازماً حين يجرع  
ويقول العتي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :

والصبر يحمّد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جليلين : أي المحاسن : فأفصح بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالدمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يبتشير بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حرزناً على الفراق ، ودمع مصوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدي : أي ولو كان وجهه كوجدي لأنبري الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجهه كوجدي لرق له الشجر وانبت يبي معه وينوح رحمة ورقة ؛ وقوله لأنبري ، يريد لاندفع وأخذ . ويقال : برى له يبري برى وأنبري : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .

وَأَمَقٌ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَأْسِهَا  
 فِي عَرْضِهَا لِأَنَّاخَ وَهِيَ طَلِيحٌ<sup>(١)</sup>  
 نَازَعَتْهُ قُلُوصَ الرَّكَّابِ وَرَكَبَهَا خَوْفَ الْمَلَائِكِ حُدَاهُمُ التَّسْبِيحُ<sup>(٢)</sup>  
 لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جُشِمَتْ خَطَرًا وَرَدَّ نَصِيحُ<sup>(٣)</sup>

(١) وأمق : الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل .  
 والوحد . ضرب من السير ؛ وخذت هنا . أسرع . والطيح : المني ، يقال طلع البعير  
 أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أنا وطلحته : حسرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها  
 السير وهزلها ؛ وإبل طلع وطلأح ، والطلع - بالكسر - المني من الإبل ، يستوى  
 فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاق . قال الحطيئة يصف إبلا وراعيا :

إِذَا نَامَ طَلِحٌ أَشَمَّتْ الرَّأْسَ خَلْفَهَا هِدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا  
 « يقول الحطيئة . إن هذه الإبل تنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام  
 راعيا عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرع ربح الشمال في ذلك  
 المهمة وعليها راكب لأناخ ذلك الرأكب ونزل والشمال معية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه  
 فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل  
 من الطول .

(٢) القلوص - جمع قلووص - الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا  
 المهمة على الإبل ، فهو يأبى إلا أن ينال منها ويصف بها بطوله ومشقته ، وأنا آبي إلا أن  
 أستبقها لسيري . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل - لحوفهم الهلاك - يسبحون الله  
 ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حذاء للابل مكان الغناء الذي تحدى به . وقل ابن  
 جنى : نازعته أخذت منه - من الأمق . أي المهمة - بقطعي إياه وأعطيته ما نال من  
 الركاب ؛ قل الواحدى : ليس المعنى على ما قال ابن جنى ؛ لأن المتنازع فيها هي القلوص ،  
 فالبلد يفتنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمعنى . إني أحب إبقاءها ، والأمق يجب  
 إفناءها بالمتنازعة فيها كقول الأعشى :

\* نازعتم قُضِبَ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا \*

أى أخذت منهم وأعطيتهم ، وهم أخذوا مني وأعطوني .  
 (١) جشمت : كلفت . يقول : لولا المدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ، ولا رددنا

الناصح الذي كان ينصح لنا وبينانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية  
للعلمة المكبري ، قال : لولا الأمير : الأمير مرتمع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا  
أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول  
لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمنعني ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على  
لو فصارا بمنزلة حرف واحد . كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . تقديره إن كنت  
منطلقا انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خراشةً أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأسكهم الضيع<sup>(١)</sup>

أي إن كنت ذا نفر ، حذف الفعل وزاد «أما» عوضا عنه ، والذي يدل على أنها عوض  
عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين العوض والمعوض ، وكقولهم  
أمالا فافعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فافعل هذا ، حذف الفعل لكثرة  
الاستعمال وزيدت ما على أن عوضا عنه فصارتا بمنزلة حرف واحد . ويجوز إيمانها لأنها  
صارت عوضا عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا في النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل  
بدونها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون  
الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك : لولا أن زيدا منعني ، قل الله تعالى :

(١) البيت لباس بن مرداس السلمي الصحابي ، وأبو خراشة كنية خفاف بن نديبة،  
ونديبة أمه - وهو صحابي جليل وأحد فرسان قيس وشعرائها ، وهو ابن عم الحنساء .  
وبعد البيت :

والسلم تأخذ منها مارضيت به والحرب يكفيك من أرقامها جرعُ  
وتقر الرجل رهطه ، ويقال لمدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع  
السنة المجدية ، وأصله أن الناس إذا أجدبوا ضمفوا عن الانتصار وسقطت قوامم فعاتت  
فيهم الضباع والذئباب فأكلتهم . يقول : يا أبا خراشة إن كنت عزيزا بقوم كثيرا لهم  
فإن قومي ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تال من مطالبك ما تريد ،  
أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنقاسها : أوائلها يخرضه على الصلح  
ويثبته عن الحرب .



وَمَتَى وَنَتَّ وَأَبُو الْمَظْفَرِ أُمَّهَا فَاتَّاحَ لِي وَلَمَّا الْحِمَامَ مُتَبِّحٌ<sup>(١)</sup>  
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بِرُوقِهِ وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتُهُ الرِّيحُ<sup>(٢)</sup>

« فلولا أنه كان من السبعين » ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تسكر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان محتصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ حَمِدْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرِي بِمَحْدُودٍ<sup>(١)</sup>  
ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أنى حددت ، فصارت محتصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أى تواتت وفترت ؛ وأما قصدها : أى مقصودها وقوله فاتتاح لى الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا تواتت الإبل فى سيرها وهذا المدح مقصودها فالموت خير لى ولها . يعنى : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .  
(٢) شمنا : فعل وفاعل ، وبروقه : مفعوله ، وما حجب السماء . جملة مترضة وشام البرق : نظر إليه يرجو المطر . وقوله : وحرى ، أى وشمنا سبحانه حرى أن يجود : أى

(١) أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت فى آيات هذا نصها :

قالت أمامة لما جئت زائرها هَلَا رَمَيْتَ بِيَعِضِ الْأَسْهُمِ السُّودِ  
لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرِي لِمَحْدُودِ  
إِذْ هُمْ كَرَّجَلِ الدَّبِي لَادَرَّ دَرَهُمْ يَنْفِرُونَ كُلَّ طُؤَالِ الشَّيْءِ مَحْدُودِ  
فَمَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجَيْدِ  
قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي ؛ وقيل للجموح - أحد بنى ظفر من سليم بن منصور - وحددت أى حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منع منه ، وهو محدود . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم ولكنى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذرى : اسم بمعنى العذرة ، والرجل : القطعة من الجراد والدبى : أصغر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرْجُوٌّ مَنفَعَةٌ مَخُوفٌ أَذِيَّةٌ مَغْبُوقٌ كَأْسٌ مَحَامِدٍ مَصْبُوحٌ (١)  
 حَنِيقٌ عَلَى بَدْرِ اللَّجِينِ وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمَسِيءِ صَفُوحٌ (٢)  
 لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمُ الْمَفْرَقُ مَالَهُ  
 فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحٌ (٣)  
 أَلْفَتْ مَسَامِعَهُ اللَّامَ وَغَادَرَتْ سِمَةً عَلَى أَنْفِ النَّاسِ تَلُوحٌ (٤)

جديرا به أن يجود — أى يمطر — . ومرته الريح : استدرته وأصله فى الناقة يمسح  
 ضرعها لتدر . يقول : شمنا بروق الممدوح : أى رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ،  
 ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أى بالمطرو وإن لم تمره الريح . يفضله على السحاب  
 لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما الممدوح  
 فليس كذلك .

(١) الغبوق : الذى يسقى بالعشى ؛ والمصبوح : الذى يسقى صباحا . يقول : إنه يحمّد  
 فى كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .  
 (٢) البدر : جمع بكرة ، وهى عشر آلاف درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر .  
 (٣) يقول : لو فرق فى الناس كرمه الذى يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء .  
 وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أقول إذ سألوني عن سماحته ولستُ ممن يطيلُ القولَ إن مدحا  
 لو أن مافيه من جودٍ تقسّمهُ أولادُ آدمَ عادوا كلهم سُمَحًا  
 والأصل فى هذا قول العباس بن الأحنف — وإن كان من باب آخر — :  
 لو قسّمَ اللهُ جُزءاً من محاسنه فى الناس طرأَ لهم الحُسن فى الناس  
 ويقول أبو تمام :

لو اقتسِمَت أخلاقُه الفُرُ لم تجد مَمِيحاً ولا خَلَقاً من الناس عائباً  
 (٤) يقول : إن مسامحه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به  
 ومضى على سخائه ، وروى ابن جنى : ألفت — من الألفة — أى أن مسامحه — لكثرة  
 ما سمعت اللوم — ألفتها واعتادته فصار شيئاً مألوفاً لا قيمة له عنده ، وغيره ممن أطاعوا  
 اللائم وأصفت مسامعهم إليه صاروا لئاماً يرى عليهم أثر اللؤم كما ترى السمة على الأنف .

هَذَا الَّذِي خَلَّتِ الْقُرُونُ وَذَكَرَهُ  
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحٌ<sup>(١)</sup>  
أَلْبَانًا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابِنًا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ<sup>(٢)</sup>  
يَفْشَى الطَّمَانَ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ  
مَكْسُورَةٌ وَمِنْ الْكِمَاةِ صَاحِحٌ<sup>(٣)</sup>

(١) المراد بخلت ههنا: تخلو؛ وأتى بالماضي: للتحقيق — على حد قوله تعالى «أتى أمر الله» — يقول: هذا الذي تمضى القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد في الكتب والأسفار. قال الواحدى: المعنى: أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم، وهو المعنى بذلك؛ إذ الحقيقة منها له، فذكره إذا في الكتب مشروح. «هذا»: وقوله وذكره وحديثه إلخ. قال العكبرى: قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد، وقيل هما جملتان: حذف الأولى لدلالة الثانية عليها، وهذا مثل قوله تعالى: «والله ورسوله أحق أن يرضوه»، وهذا مذهب سيويه، وأنشد:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ<sup>(١)</sup>  
وذهب البرد إلى أن في الكلام تقديمًا وتخييرًا، وتقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله. وقال قوم: بل الضمير عائد على المذكور، كقول رؤبة:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلُّعُ الْبَهَقِ<sup>(٢)</sup>  
أى كأن المذكور:

(٢) الألباب: العقول؛ والنوال: العطاء. والمعنى ظاهر.

(٣) يقول: يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح.

(١) لقيس ابن الحظيم [راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧].

(٢) من أرجوزته التي مطلعها:

وقاتم الأعماق خاوى المحترق \*

[راجع أرجوزة العرب للبكرى، «وخزانة الأدب» للبغدادى ج ١ ص ٩٠].

وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدَّمَاءِ مَجَاسِدٌ      وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ العَجَاجِ مُسُوحٌ<sup>(١)</sup>  
يَخْطُو القَتِيلَ إِلَى القَتِيلِ أَمَامَهُ      رَبُّ الجَوَادِ وَخَلْفَهُ المَبْطُوحُ<sup>(٢)</sup>  
قَمَقِيلٌ حُبٌّ مُجَبَّدٌ فَرِحَ بِهِ      وَمَقِيلٌ غَيْظٌ عَدُوٌّ مَقْرُوحٌ<sup>(٣)</sup>  
يُغْنِي العَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ      نَظَرُ العَدُوِّ بِمَا أَمَرَ بِبُوحٍ<sup>(٤)</sup>

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدي رجالٍ لمَ يَشِيمُوا سِيوفَهُمْ      ولم تكثرُ القَتلى بها حينَ سُلَّتِ  
« أى لم يخدموها إلا بعد أن كثرت بها القتلَى »<sup>(١)</sup> قال الواحدى : وقوله مكسورة  
حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القنائة من الحرب  
مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والسكائة : جمع كى : الشجاع التسمى  
أى التغطى بسلاحه ؛ إذ أنه كى نفسه : أى سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع المجد ، وهو المصبوغ بالجساد : أى الزعفران ؛ والمسوح : جمع  
مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت  
الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالعباب فكان عليها مسوحا .  
(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ،  
فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويخلف وراءه فارسا مبطوحا - أى قتيلاً أيضاً -  
ومجوز أن يكون المراد رب الجواد : للمدوح .

(٣) القيل : القام . المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن  
مقيلا » وقال ابن رواحة :

اليومَ نضربُ بكم على تنزيله      ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ  
« الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ؛ ومقيه : موضع ، مستعار من موضع  
القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الفيظ : القلب . يقول : إن قلب هبة فرح به مبتهج ،  
وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يغنى ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يغنى العدو خوفاً منه . يد أن

(١) قال المبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله : لم يشيموا لم  
يخدموا ولم تكثر القتلَى ، أى لم يخدموا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلَى حين سلَّت .

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابْنِهِ شَرْقًا وَلَا كَالْجُدِّ ضَمَّ ضَرْيِحٌ (١)  
تَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى  
هَوْلٍ إِذَا أُخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحٌ (٢)

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما قبله من العداوة . قال ابن الرومي :

تَحْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جِنٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ  
« لا جن : لا خفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص اثتقى :  
تَكَشَّرْتُ كَرَاهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي (١)  
وقال الآخر :

خَلِيٌّ لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ  
(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف - من قوله كانه - بمعنى مثل : صفة لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحدآ مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرقا : تمييز . والضريح : القبر كله ؛ وقيل الشق في وسط القبر ، واللحد في جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق في الأرض شقا ، وكل ماشق فقد ضرح . قال ذو الرمة :  
ضَرَحْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَلْنَا كُلَّ مُقْتَلٍ  
يقول : ليس في الأحياء مثلك شرقا ، ولا في الأموات مثل جد أيبك في الشرف .  
(٢) المسيح : العرق ؛ سمي مسيحا لأنه يمسح إذا صب . قال الراجز :

يَا رَيْبَهَا وَقَدْ بَدَأَ مَسِيحِي وَابْتَلَّ ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ  
« ياربها : يروي ناديتها » وقوله : هول ، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلطا - على لغة من يقول : قاما أخواك - يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا سالت السماء وامترجت بالعرق .

(١) مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه - [ أمالي القالي ج ١ ص ٦٨ والحزانة ج ٣ ص ١١٨ ملفية ] وفي الأغاني : ودوى صدره مرض وضغن

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ  
 أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللُّوحُ<sup>(١)</sup>  
 وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا  
 مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحٌ<sup>(٢)</sup>  
 عَجَزٌ بِحَرِّ فَاقَةٍ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّ الْقَرِيضَ شَجٍ بَعِطْفِي عَائِدٌ  
 مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَدُوحُ<sup>(٤)</sup>

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . والهواء بين السماء والأرض .  
 والمعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لخشيت منك الطوفان الذي أُنذِر به نوح قومه . فقوله  
 وخشيت : عطف على قوله ضاق - في البيت قبله - .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذي  
 لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك  
 متمسكاً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :

خَابَ أَمْرٌ وَلَا يَحْسَ الْخَوَارِثُ رِزْقَهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَفْدُ الْأَسْفُدِ  
 وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجَزٌ بِدَى أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بَعِيشَتِهِ وَسُعُ هَذِي الْبِلَادِ

وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير في وراه : للحر ؛  
 قال العكبري : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء متعلقة بفاقة ؛  
 ويجوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى  
 هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل : بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه  
 المعنى ، تقديره : التعمود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره :  
 به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم -  
 من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفي : متعلق بعائد ، وعائد : لاجيء ،

وَذَكَرْتُ رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامَهَا      تَبَنَيْتُ الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفَوَّحُ<sup>(١)</sup>  
جُهْدُ الْمُقِلِّ فَكَيْفَ بَابِنِ كَرِيمَةٍ      تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانَ فَصِيحُ<sup>(٢)</sup>

والقريض : الشعر ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :  
حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : النقص ، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد  
قتله فقال له أنشدني من قولك » وقوله سواءك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت  
قصرت . يقول : إن الشعر لاجيء إلى مستعير بي من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه  
أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ،  
تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أمنت على المطر .  
وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة :

شَكَرْتُ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْءِ      مِيَّ نَمِّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ<sup>(١)</sup>  
فَقَهِي تُبْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً      طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ  
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَلْدِ      شَوْمَ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ  
وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكَفْتُ كَرَوْضَةَ سُقَيْتِ سَحَابًا      فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى  
قلت ذات يده : وتولية : تعطيه . يقول : إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ،  
فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أننى لا أغادر شعرك  
والثناء عليك . والجهد - بالفتح والضم - قال العكبرى ؛ وقال الفراء بالضم ، الطاقة ،  
وحجته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد - بالفتح - من  
قولهم أجهد جهدك فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال أجهد جهدك - بالضم - والجهد  
بالفتح - المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدها : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ،  
وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتى  
بعد الوسمى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .

وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جَارِيَةٌ مَا لِحْسِمَهَا رُوحٌ      بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ<sup>(١)</sup>  
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا      لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ<sup>(٢)</sup>  
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا      وَدَمْعُ عَيْنِي فِي اتِّخَاذِ مَسْفُوحٍ<sup>(٣)</sup>

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا      وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ<sup>(٤)</sup>

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحب اللفظ صورتها . وجارية - كما قال المكبري - ابتداء ، وروح اسم ما المشبهة بليس ؛ والجار والمجورور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره المقدم عليه : وهو الجار والمجورور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبا : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إنني سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أني أكره الخمر : ومن ثم سيسيل دمي على خدي استبشاعا للخمر .

(٤) منصرفي : مصدر ميمي بمعنى انصرافي . قال الواحدى : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة اللبث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعتته على نفسي . ويجوز أن يكون المعنى : إن الليل برده ندماءه وتقريته جلساءه يعمل على الخلو به ، فانصرافي أمضى سلاح له وأعون على مراده . وقال المكبري - في قوله منصرفي - يريد انصرافي ، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعديا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذي ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بني مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها - مما هو على أربعة أو أكثر - استوت في الأشياء الأربعة المصدر



لَأَنِّي كَلَّمَا فَارَقْتُ طَرَفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَنَفِي وَالصَّبَاحِ (١)

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فقال بعض الجلساء ذلك وجرع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طنج ارتجالا :

أَبَاعْتُ كُلَّ مَكْرَمَةٍ طُمُوحٍ وَفَارِسَ كُلِّ سَلْمَةِ سُبُوحِ (٢)

والزمان والمكان والمفعول ، يقال جبل مجتذب ومجذب وعجيب من مجتذبى جبلك أى اجتذابى وهذا مجتذب جبلك أى الموضع الذى يجتذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تمليل لقوله : ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأنى كلما فارقت عيني ، ولم أرك ، لم أتم من شوقى إلى لقاءك ، فطال ليلى وبعد ما بين جنفى والصبح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجها عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلا يعيد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَائِلِيهَا جَرُورِ (١)

ويجوز نصبه على الظرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد ما بين جنفى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عيني الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجنين .

(٢) الباعث : الهوى — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجوع ، وهى العريضة المتعنة . والسلبية : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يا عبي كل مكرمة تستصحو على غيرك ، ويا فارس الخيل الشديداً الجرى .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الجبل الطويل الشديد القتال الذى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجبال : كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجروور البئر البعيدة القمر ، وبين : قال ابن منظور : البين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفرقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت

وَطَائِعِنَ كُلِّ نَجْلَاءِ غُمُوسٍ وَعَاصِيَّ كُلِّ عَذَالٍ نَصِيحٍ<sup>(١)</sup>

سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ<sup>(٢)</sup>

وأرسل أبو العشائر بازيًا على حجلة فأخذها فقال المنبي :

وَطَائِرِي تَتَّبِعُهُمَا الْمَنَائِيَا عَلَى آثَارِهَا زَجِجُ الْجَنَاحِ<sup>(٣)</sup>

كَأَنَّ الرَّيْشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَّاحِ<sup>(٤)</sup>

(١) النجلاء : الواسعة ، والغموس : التي تغمس المطعون في الدم . يقول : إنه كان يطن كل طمعة واسعة تغمس صاحبها المطعون في الدم ، ويعصي كل من يعذله في الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكنتني الله من الأعداء حتى أهريق دماءهم وآتى عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بني فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماءهم على الأرض كالماء . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الحجل ؛ طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية يستطاب لحمه . والزجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازي — يعني خفيف جناحيه في الطيران . قال العكبري : من رفع زجل يكون الكلام تاماً في النصف الأول ؛ ويرتفع على لابتداء ؛ والخبر ، الجار والمجرور وهو متملق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جعل المنايا البازي لأنه سبب منايا الطير ، وتتبعها هي وتتبعها . ورواها المكبري تتبعها وقال : يقال تبعته واتبعته وتتبعته . ثم قال : تبعت القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم وكذلك اتبعتهم وهو اقتلعت وأتبعت القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم وأتبعت غيري يقال : أتبعته الشيء فتبعه ، وقال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى . مثل ، ردفته وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسماً من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفي سهام متملق بمحذوف تقديره ظهر في سهام ، وعلى جسد : في موضع الصفة ، ومن رياح : متملق بتجسم .

كَانَ رُؤُوسَ أَفْلَامٍ غِلَاطٍ      مَسْحَنَ بَرِيشٍ جُوجُورَةَ الصِّحَاحِ (١)  
فَأَقْصَمَهَا بِحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ      لَهَا فِعْلُ الْأَسْنَةِ وَالصِّفَاحِ (٢)  
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَىٍّ يَوْمُ مَوْتٍ      وَإِنْ حَرَّصَ النَّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ (٣)

(١) الجُوجُورَةُ: الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رؤوس أفلام حبر غلاظ في ثوب أبيض ؛ وروى ابن جنى : غلاظا — نصباً على النعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الحبر عريضاً ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجوجور أو للبريش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقصمها : قتلها قتلا وحيأً سريعاً . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج — يريد محالبه — والصر : أصابه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفاح : السيف ، يريد أن البازي قتل هذه الحجلة قتلا سريعاً . هذا : ويقال مات فلان قصاً إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقصه أى قتله مكانه ، وأقصه بالرمح وقصه : طعنه طعناً وحيأً . والقصاص داء يأخذ الغنم لا يلبسها أن تموت ؛ وفي الحديث : من أشرط الساعة موتان يكون في الناس كقص الغنم . والحجن — بالتحريك — الاعوجاج ، وصر أحجن الخالب : معوجها ، والحجن : الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حى : خبر مقدم ، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حق خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحى على الفلاح أى أقبل على النجاة .

## قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثى ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،  
وقد توفى في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِكَتِ عِلَّةٌ بِمَوْرُودٍ      أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ<sup>(١)</sup>  
يَأْنَفُ مِنْ مَيْتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ      حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ<sup>(٢)</sup>  
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ اللَّمَاتِ عَلَى      غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ<sup>(٣)</sup>  
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ      وَصَرَبِهِ أَرْؤُسِ الصَّنَادِيدِ<sup>(٤)</sup>

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المضموم في لغة أهل  
البحرين وقد وردته الحمى فهو مورود قل ذو الرمة :

\* كَأَنِّي مِنْ حِدَارِ الْبَيْنِ مَوْرُودِ \*

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة  
وقال أعرابي لآخر : ما أمار إفراق المورود ؟ فقال : الرضاء . ويروى بمولود .  
يقول : ما لزمتم علة مورودا أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع  
أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذْ نَ      لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدْقِ الْكُرْنِ  
(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله في شجاعته وملايسته الحروب ينكر

موته على غير السروج : أى في غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو  
يختصر : ليس في جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت  
موت الحمار ، فلا نامت أعين الجناء .

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدده في  
الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدده : إصابتها إياه ، وجعله

وَحَوْضِهِ نَعْمَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ لِلذَّمْرِ فِيهَا فُوَادُ رَعْدِيدٍ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا صَبْرٌ وَإِنْ بَكَيْنَا فَفَيْرٌ مَرْدُودٍ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ جَزَعْنَا لَهُ فَلَا حَجَبٌ  
ذَا الْجَزْرِ فِي الْبَحْرِ غَيْرٌ مَفْهُودٍ<sup>(٣)</sup>

مطمعونا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاته بالرمح ، وجعله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصدائد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صدائد القدر — أي من دواهيه ونوابه العظام العوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملغ الباطل ، وهو التبخر فيه .

(١) الضر : الكثير ، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والذمر : الشجاع والرعيد : الجبان . يقول : وجد حوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على تقدمه فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا تقع في البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : ففَيْرٌ مردود . أي لم يرد علينا البكاء : أي لا نصاب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجعة به .

(٣) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وإن جزعنا لموته فلا حجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يهد في البحر إذ المهدود في البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه حسب ، ولكن لم يهد فيه أن يجزر حتى ينضب ويحف . والمعنى : قد تقع للصاب ، ولكن لم تمهد مثل هذه المصيبة ، وهذا كقول أعشى باهلة :

فَإِنْ جَزَعْنَا فَمِثْلُ الشَّرِّ أَجْرَعْنَا      وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرُ صَبْرٍ  
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ قَال :

فَلَمَّا صَبَرْتُ فَأَنْتَ كَوَكْبٌ مَمْشَرٍ      صَبَرُوا وَإِنْ تَجَزَعُ فَنَيْرٌ مَفْنَدٍ  
وَأَخَذَهُ الْحَرَمِيُّ قَال :

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمَا لَبَكَيْتَهُ      عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ  
(٢٥ - التي ١)

أَيْنَ الْمَبَاتِ الَّتِي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْوَاحِيدِ (١)  
سَالِمِ أَهْلِ الْوَدَادِ بَعْدَهُمْ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ (٢)  
فَمَا تَرْجَى النَّفْسُ مِنْ زَمَنِ  
أَحْمَدُ حَالِيهِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ (٣)  
إِنَّ نَيْبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي  
أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهُا عُودِي (٤)  
وَفِي مَا قَارَعَ الْخَطُوبَ وَمَا آتَنِي بِالْمَصَائِبِ الشُّودِ (٥)

(١) الزرافات: الجماعات؛ والمراد بالواحد: الأفراد، كأنه أخذها من مواجيد الجبال، وهي أكبات منفردات كل واحدة بائنة عن الأخرى. يقول: إن العطاء انقطع بعوته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من المبات.

(٢) يقول: إن الذي يسلم من القوم التحابين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم، لا ليخلد، لأنه يتبعهم، وإن تأخر أجله عن آجالهم.

(٣) قال ابن جني: أحمد حاله أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن: خلاه الموت والحياة، أي وإذا كانت الحياة هوى أحمد حالى الزمان غير محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراحلين، فماذا ترجى من الزمان؟ وقال الواحدي: أي لارضاء عند زمان أحمد حاله البقاء وهو غير محمود لأن محصله بلاء ومؤجله فناء، وإن شئت قلت أحمد حاله البقاء، ومن بقى شاب، والشيب مكروه مذموم. فيكون كما قال محمود الوراق:

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مَدَّ الْبَقَاءَ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسَهُ فِيهِ أَمَانِيهَا

أَبْقَى الْبَقَاءَ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا مِمَّا يُرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَايَا

(٤) عجم العود: عضة ليعرف أصلب هو أم رخو؟ وعجمت عوده: بلوت أمره وخبرت حاله. قال:

أَبَى عُودُكَ الْمَجْجُومُ لِإِصْلَابَةِ وَكَفَاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسْأَلُ

يقول: قد طالت صحبتي للزمان، وقد جربني وعرف صلابتي وصبري على نوائبه.

(٥) يقول: في من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهيني، ومن

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَفَانَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودٍ (١)  
 يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلَاكِ طُرّاً يَا أَصِيدَ الصَّيْدِ (٢)  
 قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ وَقَعُ قَنَا ائْطَطَّ فِي اللَّغَايِدِ (٣)  
 وَرَمَيْكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ  
 رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَنْهِيدِ (٤)

طول إلفق للمحن ما نفي عن الجزع وصبرني آنس بالمصائب . وعلى هذا يكون : وما آنسني عطفاً على ما قارع ويجوز — كما قال العكبري — أن تكون ما — في وما آنسني — تعبيراً . وعبارة الواحدى : في ما يقارع الخطوب ويؤنسني بالمصائب العظام ، وهو علمه بثواب المصابين كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » والذى آنسه بالمصائب رأيه الذى يره المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلقى الإنسان . والمصيبة إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استغناك وهو فى أسر بنى كلاب أغنته واستغنته من أيديهم ولم تكن سيفاً مغموداً عنه .

(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير فى عنقه فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل فى الملك والرجل العظيم صاحب النخوة ، وأصيد أفضل وصف لا أفضل تفضيل والصيد جمعه قال العكبري : وأصيد الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم صيداً لأن ذلك يفتح كما يفتح أعور العور أى أشد هم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفضل ولأما أفضله .

(٣) اللغاييد : لحمت بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياه ، قال تعالى « ثم إذا شاء أنشره ، وقنا الخطط : الرماح والخطط : موضع بالجمامة تنسب إليه الرماح وجعل أسره قبل ذلك موتاً قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى إياه ، فأنشرته من ذلك الموت بطعن الرماح فى لغاييد الأعداء حتى استغنته منهم .

(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلا يجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ، فكأنك رميت عيونهم بالسهر ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه يجنودك ، فقوله : ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَبَّحْتُهُمْ رِعَالَهَا شُرْبًا      يَبْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ<sup>(١)</sup>  
 تَحْمِيلُ أَعْمَادِهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ      فَأَنْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَادِيدِ<sup>(٢)</sup>  
 مَوْفِقُهُ فِي فِرَاشِ هَامِهِمْ      وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِرِ السَّيِّدِ<sup>(٣)</sup>  
 أَفْنَى الْحَيَاةِ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ      فِي شَرْفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ<sup>(٤)</sup>  
 سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ      مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ<sup>(٥)</sup>

(١) الهاء — في رعالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والرجال : جمع رعة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشرب : جمع شارب ، وهو الضامر . والثبات : جمع ثبة ، وهي الجماعة ، والبايد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زرابطت ووحداناً .

(٢) انتقد الدرهم : قبضها ، والأخايد : جمع أخدود ، وهو الشق في الأرض ، كفى بما تحمل الأعماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف في الأعماد وجعلوها فداء . لأنهم استنفذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضاً كما تقبض الدرهم والدنانير التي تدفع عادة في الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيهم تأثير الأخدود في الأرض : أى نالتهم جراح واسعة كأنها الأخاديد .

(٣) الفراش : عظام رفاق تلى خف الرأس ، والهام : الرؤوس . والسيد : الدئب . يقول : إن هذا الضرب يقع في عظام رؤوسهم فتنشق الدئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأني لأكل لحومهم .

(٤) يقول : إن الحياة التي وهبها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها في بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التي أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكرًا : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جمه سيداً .

(٥) المنجود : المكروب ؛ ويقال استنجذني فأنجذته : أى استعان بي فأعنته ، واستنجذ الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيبته إياه : قد استنجذ عليه ، وكان المرئى قد أصابته جراحة في الحرب فبقى فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون المكروب .



مَّ غَدَا قَيْدَهُ الْحِمَامُ وَمَا      تَخَاصُّ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ<sup>(١)</sup>  
 لَا يَنْقُصُ الْمَالِكُونَ مِنْ عَدَدِهِ      مِنْهُ عَلَى مُضَيِّقِ الْبَيْدِ<sup>(٢)</sup>  
 نَهَبٌ فِي ظَهْرِهَا كِتَابَتُهُ      هُبُوبٌ أُرْوَاهِمَا الْمُرَاوِيدُ<sup>(٣)</sup>  
 أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبْتُ      سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ<sup>(٤)</sup>  
 مَهْمَا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ      فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ<sup>(٥)</sup>

(١) الحمام : الموت ، والصفود : القيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا سيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفده لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقيد : الغل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لا ينتقص به عددك لأن الفلوات تضيق بأتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — في قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول ينقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف النولة .

(٣) الضمير — في ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراويد : الرياح تجيء وتذهب . قال ذو الرمة :

يَادَارَ مِيَةٌ لَمْ يَتْرِكْ بِهَا عَلَمًا      تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالهُجُجُ الْمُرَاوِيدُ

يقول : إن جيوشه تطلع على الفلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهي تم البيد كما تمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ      وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

(٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقمها على الصخور كانت تطبع فيها أثرًا يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاه معز بهذا البيت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لا تقدهما فالفتى : فاعل يعز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير في به : للبيت . وروى — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يعز البننى لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مَنْ بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعْزَى بِكُلِّ مَوْلُودٍ<sup>(١)</sup>

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزوه خرسنة ، ويذكر

الواقعة :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ

وَإِنْ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ<sup>(٢)</sup>

يَرُدُّ يَدَا عَن تَوْبِيهَا وَهَوَ قَادِرٌ

وَيَنْصِي أَلْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهوَ رَاقِدُ<sup>(٣)</sup>

(١) يقول : أمنتنا أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قال ابن جني : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للمعزى : جملك الله وارث الجماعة ، وهو أجود في المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتي يعذلن هذه المرأة - التي هي صاحبة الخال على خدها - في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أى الضجيع ، والطيف : الخيال في النوم . يقول : إنني أعف عنها مع كونى قادراً على ترك المغاف ، وقد صار ذلك سجية لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضاً إذا زارنى في نومي . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هذبة :

وَلَمَّيْ لِأَخْلِي لِلنَّفْتَاةِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالقَلْبُ آلِفُ

قال ابن جني : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروضى : هذا النقد - نقد ابن جني - غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف في حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد في المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة ، ولو أن رجلاً ترك المحارم من غير قدرة لم يأنم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والمجب من أبى الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويخطئ ثم يتكافى النقد ، وقال في قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً

مَتَى يَشْتَنِي مِنْ لَاعِجِ الشَّقْوِ فِي الْمَشَى  
مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ<sup>(١)</sup>  
إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ حَلْوَةٍ  
فَلَمْ تَتَّصَبَاكَ الْحَسَانَ الْخَرَائِدُ<sup>(٢)</sup>  
أَلْحَ عَلَى السُّنْمِ حَتَّى أَلْفَتُهُ<sup>(٣)</sup> وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوْدُ

أن يتحرك في نومه ويصيح ، وليس هذا بشيء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا المشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مرید ، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم ، ولكنه يقول لشدة ما ثبت في طبعي وغريزتي صرت في النوم كالجارى على عادتي .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقه الفؤاد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر في القلب ؛ ولعجه الضرب ، ألمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربيع الهذلي .

مَآذَا يَغْيَرُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا  
إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامْتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا سَبَبَتْ يَلْعَجُ الْجِلْدَا  
« يغير : ينفع ؛ أى لا ينفى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً ، والسبت : جلود البقر المدبوعة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قرينه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بغفانه ؛ وعبارة ابن جنى : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت ؟

(٢) تتصباك ، تدعوك إلى الصبوة ، والخرائد ، الحيات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار في الحلوة بهن . يقول : إذا كنت في الحلوة بهن تتأى عنهن وتعف ، فمالك ولعشق الحسان والزراع إليهن ؟

(٣) ألح عليه : لازمه . ويقال : ألح عليه بالمسألة ، وألح الرجل على غيره في التقاضى إذا واظب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألح ؛ وألحت

مَرَزْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَجَمَعَت  
جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَاهِدِ<sup>(١)</sup>  
وَمَا تُنْكِرُ الدِّمَاهُ مِنْ رَسْمِ مَنَزِلٍ  
سَقَتَهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَائِدُ<sup>(٢)</sup>  
أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَانَتْهَا تُطَارِدُنِي عَنِ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ<sup>(٣)</sup>

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق .  
والعوائد : جمع عائدة ، وهي التي تعود المريض . يقول : لارمني السم فلا يفارقني حتى  
لقد ألفتة ، وقد ملني طبيبي وعوائدى لشدة ما بي من السم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والمحمدة : دون الصهيل ، كالنتنح .  
وشجاء يشجوه : إذا أجزنه ؛ وأشجاء إذا غصه . والمعاهد جمع معهد ، وهو الموضع  
الذي عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأجرة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب  
فجمعت جوادى حينئذ إليها لأنها عرفتها . ثم استفهم متعجبا فقال : وهل الديار تشجى  
المعبوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهامي هذا وزاد  
عليه فقال :

بَكَيْتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا  
ثُمَّ زَادَ السَّرَى الرَّفَاءَ عَلَى هَذَا قَالُ :

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو حَمَامَهَا  
(٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهاء : السوداء . والضرب : اللبن الخائر  
يجلب من عدة لقاح . والشول : النياق التي بعد عهدها بالتاج لجف لبنها . والوليدة :  
الجارية التي تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهاء رسم  
منزل أقامت به تسقيها الولائد فيه لبن النياق فألفتة ؟ وقال الواحدى : « ما » ههنا نفى .  
(٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالى  
تدافنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكانها بذلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا  
أطاردها عن حيلولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِّنَ الْخِلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ<sup>(١)</sup>  
 وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ<sup>(٢)</sup>  
 تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّهَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ<sup>(٣)</sup>  
 مَحْرَمَةٌ أَوْ كَقَالَ خَبْلِي عَلَى الْقَنَا مُحَلَّةٌ لَبَاتُهَا وَالْقَلَائِدُ<sup>(٤)</sup>

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا وحيد؛ ويروى وحيدا - على أنه حال من ضمير أم - يقول: إن مطلوبني عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدنني على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كـرغيف وـرغفان (٢) الغمرة: الشدة « والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتعينني على توارد الضمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار - وهو قوله لها منها عليها - ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد؛ والجملة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد؛ ومنها: حال، (٣) المراد: جمع مرود، وهو حديدة تدور في اللجام - من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح - للين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها لدى الطعان - يسبح المرود يدور مع حلقاته كيفما أدبرت، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفْتَ بِهِ عَلَى مَرُودِهِ لِتُسْدِيرِهِ فَكَأَنَّهُ بَرَكَارُ<sup>(١)</sup>

وهنا قال الواحدى: أخطأ القاضى - يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني - في هذا البيت، وزعم أن هذا من اللقوب، وقال: إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراد؛ وعندده أن المرود مثل المكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالليل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الليل في العين، وهذا فاسد، لأنه يخص الفاصل، وليس كل الطعن في الفاصل لأنه قال تثنى على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالليل في الجفن فلا حاجة إلى تشبيها.

(٤) اللبات: أعالي الصدور. ومحلة القلائد: أي مواضع القلائد من الأعناق.

(١) البركار والبيكار: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر - البرجل -

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ  
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ<sup>(٢)</sup>  
خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ  
فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِثِّي الْقَصَائِدُ<sup>(٣)</sup>  
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ  
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ<sup>(٤)</sup>

يقول : إنه يخوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تتال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر واردها حيا ما لم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعا جلدا ، هلك . هذا : والواو في والمهند : والحوال ، والمهند : السيف الهندي ، أو السيف المشجود .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تتكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة : صلة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعراً . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر باتحال شعره . وعبارة الواحدى : يريد كثرة من يرى من الشعراء المدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذى يأتى بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قال : فكلم منهم الدعوى ومثي القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظر — وإن كاله أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقى الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن فرّقوا في الخلائق

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبِيعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِ  
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَبَيَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ<sup>(٢)</sup>  
أَحْقَمُهُمُ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلَى وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَاةُ<sup>(٣)</sup>

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضى وتعمد ، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأنفة ، ويغمده ما تعوده من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال : انتضى السيف . يقال : نضاه أيضاً ، ونضا الحَضَابُ : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعتها . قال تأبط شراً ولكنني أزوي من الخمر هامتي وَأَنْضُوا الْفَلَاحَ بِالشَّاحِبِ الْتَشْلِشِلِ<sup>(١)</sup>  
(٢) يقول : لما رأيت الناس دونه في المنزلة تبينت أن الدهر ناقد لهم يعطى كلاً على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبي .

(٣) الطلى : الأعناق ، وهذا كالشرح لما ذكره في البيت السابق يقول : إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق - أى شجاعاً - وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب . وعبارة بعض الشعراء : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروى وبالأمر : أى يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلى : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاة أيضاً ، وأطلى الرجل والبحير إطلاء فهو مطل : مالت عنقه للموت أو لغيره قال :

وَسَائِلُهُ تَسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا فَقَلْتُ لَهَا وَقَعْتُ عَلَى الْخَبِيرِ

تَرَكَتُ أَبَاكَ قَدْ أَطْلَى وَمَالَتْ عَلَيْهِ الْقُشْعَمَانُ مِنَ النَّسُورِ

وفي الحديث « ما أطلى نبي قط » أى مامل إلى هواه وأصله من ميل الطلاء أى

(١) يعنى بالمتشلسل الرجل المتخدد اقليل اللحم الخفيف ، والشاحب - على هذا - يريد به الصاحب ، وقيل : يريد به السيف . قال الأصمى : هو سيف يقطر منه الدم ، والشاحب : الذى أخلق جفنه .

وَأَشَقُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلَهَا      بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدٌ<sup>(١)</sup>  
 شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكَتَهَا      وَجَفَنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدٌ<sup>(٢)</sup>  
 مَحْضَبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعَى كَانَهَا      وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ<sup>(٣)</sup>  
 تَنَكَّسَهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ      وَتَطْفُنُ فِيهِمُ وَالرَّمَاحُ الْمَسْكَائِدُ<sup>(٤)</sup>

الأعناق إلى أحد الشقين؛ والطلاء: ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب تسمى الحمر: الطلاء. يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بينها. وفي الحديث: «سيشرب ناس من أمق الحمر يسمونها بغير اسمها» يريد أنهم يشربون النبيذ المسكر المطبوخ، ويسمونه طلاء تخرجاً من أن يسموه حمراً. والطلاء: القطران، وكل ما طليت به، والطلاء: الولد من ذوات انظف والحف والجمع أطلاء.

(١) يقول: إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم، وشقاؤها إنما هو بهذا: أي بكونك تضرب الطلي ولا تكترث لغمرات الحروب، ومع هذا فهم كلهم معترفون بعبدك ولا يجحدون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام.

(٢) شن الغارة: صبا عليهم وفرقها من كل وجه؛ والفرنجة: قرية بأقصى بلاد الروم. يقول: ضيقت الغارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعاً حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفاً وإن كان بعيداً عنك.

(٣) يقول: إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مغلقة—أي مطوية بالخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران— وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض، وإن لم يسجدوا حقيقة. فقوله: محضبة—بالرفع— خبر ابتداء محذوف، ومن نصبه جعله حالاً من الضمير في تركتها. والقوم صرعى: يروى والخيول صرعى، وصرعى: جمع صريع: أي طريح، ومساجد: خبر كان، والجملة المعترضة: حال.

(٤) يقول: تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة. وتأتي عليهم بكيدك: يعني أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح. ولك أن تقول والسابقات جبالهم: أي أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأتها الجبال يستعصمون بها فتكسهم عنها. وعبرة الواحدى: تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين؛ ونكسه: قلبه، والسابقات: الخيول.



وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى  
كَأَسَكَّتْ بَطْنَ التُّرَابِ الْأَسَاوِدِ<sup>(١)</sup>  
وَتَضْحِي الْحُصُونُ الشَّمَخِرَاتُ فِي الذُّرَى  
وَخَيْلِكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ<sup>(٢)</sup>  
عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسَقَمَهُمْ<sup>(٣)</sup>  
بِهَنْزِيطٍ حَتَّى أَيْبَضَ بِالسَّبِي أَمِدُ<sup>(٤)</sup>  
وَأَلْحَقْنَ بِالصَّفَصَاتِ سَابُورَ فَانْهَوَى  
وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ<sup>(٥)</sup>

(١) الهبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها ، فيقال : أ كدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلا وأكدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حبر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتمعن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتنوا تحت الصخور وفى التناور والكهوف كما تكمن الحيات فى التراب .

(٢) الشمخرات : المرتفات . والذرى : أعلى الجبال . يقول : وتضحى الحصون العالية الشامخة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد - بالتحريف -

(٣) اللقان : وهزيط من بلاد الروم ، وآمد : بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأنت عليهم هلاكاً يوم أغرت عليهم بهذا السكان وساقتم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى والعمان ، فالضمير فى عصفن للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفصا وسابور : حصان منيعان للروم ، وانهوى : هوى وسقط . يقول : وألحقن - أى الخيل - أحد الحصنين بالآخر فى التخريب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجراتهما ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رماداً ، فجعل ذلك هلاكاً وقوله : وانهوى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفعل إنما يبنى مما التلاى منه تمتد ، وهذا غير تمتد ؛ وفى النصيح من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَعَلَسَ فِي الْوَادِي بَيْنَ مُشَيْعٍ      مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللَّثَامِينَ عَابِدٌ<sup>(١)</sup>  
 فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتِهِ      تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ<sup>(٢)</sup>  
 أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سَيْوفُهُ      رِقَابَهُمْ إِلَّا وَسَيْحَانُ جَامِدٌ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا      لَمَى شَفْتَيْهَا وَالثُّدَى النَّوَاهِدُ<sup>(٤)</sup>  
 تَبَكَّى عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى      وَهُنَّ لَدَيْنَا مَلَقِيَّاتٌ كَوَاسِدُ<sup>(٥)</sup>

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبهين : أى بالخييل ، والمشيع : الجريء المقدام ، وما تحت اللثامين : الوجه ، واللثام : ما يكون على الوجه . والتلثم عادة العرب في أسفارها ؛ وعنى باللثام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق العنقر . ومبارك الوجه عابد لله ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يتعنى أن تكون البلاد أوسع محامى والزمان أطول . لأن الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمه وجيوشه ؛ وهذا كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فِي فَوَادِهِ هِمَمٌ      مَلِيَّةٌ فَوَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا  
 فَإِنْ أُنِيَ حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ      أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جني : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أظب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان . نهر يبلاد الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا - جمع ظبة - حد السيف . واللمى : سمرة في الشفة تستملح . ونهد الثدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وأنى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد حماها المعنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فَمَا أَبْقَيْتَ إِلَّا مُحْطَفَاتٍ      حَمَى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنُّهُودُ

« الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهم يكون عليهن

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا      مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ<sup>(١)</sup>  
 وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ      عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتُهُ بِكَ فَأَخِرٌ      وَأَنَّ فَوْادًا رُغْتُهُ لَكَ حَامِدُ<sup>(٣)</sup>  
 وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى      وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ<sup>(٤)</sup>  
 نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتُهُ      لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ<sup>(٥)</sup>

ليلا ، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه والتشديد للمبالغة .

(١) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لَشَيْءٍ مَحْيِيًّا      حَتَّى تَلَاقِيَهُ لَأَخَرَ قَاتِلًا

وهو معنى قديم ، ولكن التنبؤ صاغه أبدع صياغة وأوجز .

(٢) موموق : محبوب . والمقة : الهبة ، وفيهم : صلة موموق ، وعلى : بمعنى مع ، والشاكد : الملقى ، شكده يشكده ويشكده شكدا : أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة . يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيم شيئا ، وذلك من شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذي تسفكه يفخر بأنه سفك يديك ، وأن القلب الذي تخيفه يحمدهك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فَإِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتِ قَاتِلِي      فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ، بيد أنه إنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعني أنك أنت مجبول عليهما ، ومن ثم تفودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مديح موجه — أي ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لوعشته لكانت الدنيا مهنة يقاتك فيها خالدًا ، وهذا هو الوجه الثاني في المدح — أنه جملة جمالا للدنيا تنها الدنيا يقاته فيها ، ولو قال : ما لو عشته لقيت خالدًا : لم يكن المدح موجهًا . وقال الربيعي : المدح في هذا من وجوه :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاهِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ<sup>(١)</sup>  
 وَأَنْتَ أَبُو الْمُهَيْبِ بْنِ حَمْدَانَ يَا ابْنَةَ تَشَابَهُ مَوْلُودَ كَرِيمٍ وَوَالِدِ<sup>(٢)</sup>  
 وَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَدُونَ حَارِثٌ وَحَارِثُ لُقْمَانَ وَلُقْمَانُ رَاشِدٌ<sup>(٣)</sup>

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال. الثاني : أنه كثر قتلاه بحيث لو ورت أعمالهم خلد في الدنيا . الثالث : أنه جل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهشت الدنيا . الرابع : أن قتلاه لم يكن ظالماً في قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه ، فذلك قال لهشت الدنيا : أى أهل الدنيا ، وقال ابن جنى : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت للدين راية الله سبحانه الذى عقدها وأحكمها .

(٢) أبو الهيباء : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والهيباء : الحرب تمد وتقصر . يقول : يا ابن أبى الهيباء أنت أبو الهيباء . يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو . وذلك قوله \* تشابه مولود كريم ووالد \*

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . الخ ، أى أن كل واحد من آبائك يشبه أباه فى كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب الصاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسماء فى الشعر ، كقول الشاعر :

إِنْ يَتْلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ بِقَتِيْبَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

واحتذى هذا الفاضل حدوم فقال : وأنت أبو الهيباء - البيتين - وهذا من الحكمة التى ذكر أرسطو وأفلاطون لهذا الخلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذ كان فىك أخلاقه ، وأبوك أبوه - إلى آخر الآباء - فليت شعرى : ما الذى استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : وحمدان حمدون : فليس فى حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟ وبعد : فللملامة المكبرى هنا كلمة لمناسبة ترك للتنبى صرف حمدون ثبتها هنا - حسباً شرطنا على أنفسنا فى هذا الترح - قال المكبرى الكوفى : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، وواقنا الأخفش وابن برهان

والفارسي ، وحببتنا : إجماعنا على جواز صرف ما لا ينصرف في الشعر ضرورة ، فلذلك  
جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر ، وقد جاء كثيراً في أشعارهم . قال الأخطل : —

طاب الأزارق بالكثائب إذ هوت <sup>(١)</sup> بِشَبِيبَ غائلةُ النقوسِ غَدُورِ

فترك صرف شيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

نَصَرُوا بَيْبَهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ <sup>(٢)</sup> بِحُنَيْنِ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ

فلم يصرف حنينا ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخٍ قَصِيدَةً <sup>(٣)</sup> بِهَا جَرَبٌ عُدْتُ عَلَى بَرِّ زَوْبَرٍ

فترك صرف زوبر وهو منصرف ، وقال الآخر :

وَالِ ابْنِ أُمِّ أَنَاسٍ أَرْحَلُ نَاقِي <sup>(٤)</sup> عَمْرٍو فَتُبْلِغُ حَاجَتِي أَوْ تُرْحِفُ

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ،

وبين شيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الحوارج — وفاعل طلب : يعود

على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور :

بدل من غائلة .

(٢) تواكل الأبطال : أى تخاذلهم وانكالمهم على غيرهم .

(٣) بروى هذا البيت لابن أحرر ، هكذا :

\* وَإِنْ قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعَدَّةٍ قَصِيدَةً \*

ويقال أخذ الشيء بزوره : أى بجميعه فلم يدع منه شيئاً ، فهو يقول : نسبت إلى

بكلها ولم أقلها ، وقيل بزورا : أى كذباً وزوراً .

(٤) بعده :

مَلِكٍ إِذَا تَزَلَّ الْوُفُودُ بِبَابِهِ <sup>(١)</sup> عَرَفُوا مَوَارِدَ مَرْبَدٍ لَا يُنْزَفُ

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيويه ، وشارح شواهد الإمام الشنتمرى

الأندلسى . وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبى خازم ، وأخطأ النساج فورد في

اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد في سيويه أناس — بالتونين — وهو

خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وترحف — يقال

= وعمرو هو ابن حجر الكندي - فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هي بنت ذهل بن شيان ، وقال الآخر :

أؤملُ أن أعيشَ وأن يومي بأولَ أو بأهـونَ أو جُبَارِ  
أو الثاني دُبَارَ فإن يفتنى فمؤنِسَ أو عروبةَ أو شِيَارِ

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية : أول : الأحد ، وأهون : الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار : الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أميمة ما لثابت شاخصاً عارى الأشاجع ناحلاً كالنصل<sup>(١)</sup>

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلي :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في جمع<sup>(٢)</sup>

وهذه الرواية جاء في الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه ؛ وقول الآخر :

وقائلة ما بال دوسرَ بعدنا صحاً قلبه عن آل ليلى وعن هـندٍ

فترك صرف دوسر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فاذا جاز حذف الواو التحركة للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعيان فرسنه — ما قابل الحافر — بمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بمض جداته ؛ والوارد : مناهل النساء المورودة . شبه بها عطايه ، وجهه كالبحر للزبد لكثرة جوده ، ومعنى يرف : يستفد ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحدها أشجع . وعارى الأشاجع : أى خفيف اللحم ، وقيل : الأشاجع رؤوس الأصابع : وقيل : عصبها . والنصل : السيف .

(٢) من أبيات لا بن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعطى رجلاً من المؤلفات قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس : [ راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزائن ج ١ ص ١٤٥ ط السلفية ]

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلِّهَا وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ<sup>(١)</sup>  
 أَحْبَبُكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ الشَّهَى وَالْفِرَاقُ<sup>(٢)</sup>  
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بِأَهْرَهُ وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بِأَرْدِهِ<sup>(٣)</sup>

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَعَلَ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ<sup>(١)</sup>

فجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذي ذكرناه ، وصحته ، واقفنا أبو علي وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة البصريين أن الأصل في الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسنان : التي تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتنع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السهي : نجم خفي من بنات نكش الصغرى ؛ ومنه المثل — أريها السهي وترى القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جعله بين الملوك كالشمس والبدر ، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية ؛ يقول : إني أميل إليك بهواي وإن لأمني في ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبرة ابن جني : جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس والقمر إلى السهي والفرقدين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

(١) قال الإمام الشنتمري شارح شواهد سيويه - : يصف الشاعر بغيراً ضل عن صاحبه فيش منه وجعل يبيع رحله ، فينا هو كذلك سمع منادياً يبشر به - إنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب . ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافي عضديه عن كركرته صدره أو زوره - وأبعد له من أن يصيه نأكت أو ماسح أو ضبيب ؛ وهذه كلها آفات وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته - ومعنى يشري : يبيع . وهو من الأضداد .

فإنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْمَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ<sup>(١)</sup>

---

وقد بهرت فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكو لا يعرف القمرا<sup>(١)</sup>  
وعيش بارد : رغد هنيء يقول : إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك  
لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور  
فضلك فلا يستحق الحب ، وعبرة ابن جنى : محب لك لفضلك لا للخير الذي  
أصيه عندك .

(١) الجهل : الحق . قال العكبرى : يريد : أنا أجبك بعقل فينتفع بي ؛ وغيرى  
يجبك بجهل فلا ينتفع به . . ثم قال : ولو قال النبي بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن  
في صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحق :

---

(١) تقدم أنه من آيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هيرة . وقبله :  
ما زلت في درجات الأمر مرتقياً تنبى وتسموبك الفرعان من مضرًا  
[ وروى : حتى بهرت ] .

---

انتهى الجزء الأول ، وبليه - بعون الله وتوفيقه - الجزء الثانى وأوله :

وقال يمدح سيف الدولة بعيد الأضخى إلخ

لكل امرئ من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا



## فهرست الجزء الأول

صفحة

- ۱۵۶ ماذا يقول الذي يفتي ... ذى السماء  
 ۱۵۶ إنما التهنئات للأكفاء  
 ۱۶۰ ألاكل ماشية الخيزلي  
 ۱۶۸ لقد نسبوا الخيام إلى علاء  
 ۱۶۹ أسامرى ضحكة كل راء

### قافية الباء

- ۱۷۱ لميق كل يوم منك حظ ... عجاب  
 ۱۷۱ تحف الأرض من هذا الرباب  
 ۱۷۲ فدينك أهدي الناس سها إلى قلبى  
 ۱۷۴ لا يحزن الله الأمير فإنى ... بنصيب  
 ۱۸۲ فدينك من ربع وإن زدتنا كرابا  
 ۱۹۹ ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا  
 ۲۰۰ أحسن ما يخضب الحديد به. والنضب  
 ۲۰۱ أيدرى ما أرابك من يريب  
 ۲۰۴ بفيرك راعيا عبث الذئاب  
 ۲۱۵ يا أخت خير أئخ يا بنت خير أب  
 ۲۲۵ فهتم الكتاب أبر الكتب  
 ۲۳۳ أبا سعيد جنب العتابا  
 ۲۳۴ لأحق أن يعلأوا ... الأكوبا  
 ۲۳۴ لأى صروف الدهر فيه نعاب  
 ۲۳۷ دمع جرى قفضى فى الربع ما وجبا  
 ۲۵۰ بأبى الشموس الجانحات غواربا

صفحة

- ۳ مقدمة الطبعة الأولى  
 ۱۷ » » الثانية  
 ۲۰ سيرة التنبى  
 ۶۸ ترجمة التنبى بقلم أحد معاصريه  
 ۸۱ شراح التنبى - ابن جنى  
 ۹۰ الواحدى  
 ۹۵ ابن فورجه  
 ۹۶ ابن القطار الصقلى  
 ۹۷ ابن الإفللى  
 ۹۸ الصاحب ابن عباد  
 ۱۰۲ أبو بكر الخوارزمى  
 ۱۰۴ العميدى - صاحب الإبانة عن  
 سرفات التنبى  
 ۱۰۵ ابن وكيع  
 ۱۰۷ الخطيب التبريزى  
 ۱۱۱ العسكري  
 ۱۱۲ ابن الشعربى  
 ۱۱۶ القاضى الجرجانى  
 ۱۲۶ أبو العلاء المعربى

### قافية الهمزة

- ۱۲۹ القلب أعلم يا عدول بدائه  
 ۱۳۴ عدل العواذل حول قلب انتائه  
 ۱۳۸ أنتكر يا ابن إسحاق إئخانى  
 ۱۴۰ أمن ازديارك فى الدجى الرقباء

صفحة

- ٣٤٥ أنصربجودك ألقاظا تركت بها مكبوتا  
٣٤٦ فدتك الحيل وهى مسومات  
٣٤٧ سرب محاسنه حرمت ذواتها

قافية الجيم

- ٣٥٩ لهذا اليوم جد غد أريج

قافية الحاء

- ٣٦٣ بأذى ابتسام منك تحيا القرائح  
٣٦٤ أنا عين السود الجحجاج  
٣٦٥ جلاكا بى فليك التبريح  
٣٨٠ جارية ما لجسمها روح  
٣٨٠ يقاتانى عليك الليل جدا. السلاح  
٣٨١ أباعث كل مكرمة طموح  
٣٨٢ وطائرة تنبها المنايا ... الجناح

قافية الـدال

- ٣٨٤ ماسدكت علة بمورود  
٣٩٠ عواذل ذات الخال فى حواسد

صفحة

- ٢٦١ إنما بدر بن عمار سحاب  
٢٦٣ أم ترىها الملك المرحى... السحاب  
٢٦٤ ياذا للعالى ومعدن الأدب  
٢٦٤ ضروب الناس عشاق ضروبا  
٢٧٣ المجلسان على التميز بينهما. الأدبا  
٢٧٣ تعرض لى السحاب وقد قفلنا. السحابا  
٢٧٣ الطيب مما غنيت عنه... طيبا  
٢٧٤ أياما أحيسنها مقلة... أعجب  
٢٧٤ أعيذوا صباحى فهو عند الكواعب  
٢٨٨ من الجآذر فى رى الأرعاب  
٣٠١ أغلب فيك الشوق والشوق أغلب  
٣١٣ متى كن لى أن البياض خضاب  
٣٢٨ لقد أصبح الجزذالستخير. المطف  
٣٣٠ ما أنصف القوم ضبه  
٣٣٥ آخر ما الملك معزى به  
٣٤١ لما نسبت فكنت ابنا لغير أب  
٣٤٢ لحا الله ورداناً وأمأت به. ثعلب

قافية التاء

- ٣٤٥ لنا ملك لا يطعم النوم همه . لميت